الغيبة الكبري
في
دعوي السفارة

نويسنده:شيخ محمد سند

جلد(۲)

بسم الله الرحمن الرحیم

دعوی السفاره فی الغیبه الکبری (۲)

کاتب:

محمد السند

نشرت فی الطباعة:

محبین

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

دعوی السفارهٔ فی الغیبهٔ الکبری(۲) المجلد ۲

اشارهٔ

سرشناسه : سند، محمد، - ۱۳۴۰

عنوان و نام پدیدآور : دعوی السفاره فی الغیبه الکبری/ تالیف محمد السند

وضعیت ویراست : [ویراست ؟]

مشخصات نشر : موسسه المحبین للطباعه و النشر، ۱۴۲۵ق. = ۲۰۰۴م. = ۱۳۸۳.

مشخصات ظاهری : ط، ص ۲۱۴

شابک : ۹۶۴-۷۱۰۳-۶۲-X

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : چاپ قبلی: مکتبه الداوری، ۱۴۱۱ق. = ۱۳۶۹

یادداشت : عربی

یادداشت : چاپ ششم

یادداشت : کتابنامه به‌صورت زیرنویس

موضوع : محمدبن حسن(عج)، امام دوازدهم، ۲۵۵ق. - -- نیابت

موضوع : محمدبن حسن(عج)، امام دوازدهم، ۲۵۵ق. - -- رویت

رده بندی کنگره : BP۲۲۴/۴/س ۹د۷ ۱۳۸۳

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۶۲

شماره کتابشناسی ملی : م۸۳-۳۵۳۲۷

دعوی السفارهٔ فی الغیبهٔ الکبری (۲)

الفصل الأوّل: العقول والخواطر ... ص: ۲۷۳

عبادهٔ العقل ...: ص: ۲۷۳

بسم الله الرحمن الرحیم

الوجود هو الکمال وله مراتب متفاوتهٔ وأعلی مراتبه هی مرتبهٔ الکمال المطلق والوجود اللامتناهی وهو الحق سبحانه وتعالی الغنی المطلق مفیض الوجود لما عداه، فکل ما عداه مخلوق له محتاج إلیه، وإن کل ما عدا الکمال المطلق لا بدَّ أن یکون طالباً للکمال الأعلی والأشد.

وقد رسم الحق تعالی طریق تحصیل الکمال لمخلوقاته، وهو طریق حصری لا بدیل عنه ولا استثناء فیه وهو طاعته تعالی والخضوع والانقیاد له، فکل ما عدا الله تعالی لا بدَّ أن یخضع ویتضعضع ویطیع وینقاد إلیه تعالی، والعقل من مخلوقاته تعالی فهو محتاج إلیه ولا بدَّ أن یکون سالکاً لطریق العبادهٔ والطاعهٔ والانقیاد، ففی الحدیث عن أبی جعفر (ع) قال: «لما خلق الله العقل استنطقه ثمّ قال له: أقبل فأقبل، ثمّ قال له: أدبر فأدبر، ثمّ قال: وعزّتی وجلالی ما خلقت خلقاً هو أحب إلیَّ منک ولا أکملتک إلّا فیمن أحب، أما أنی إیّاک آمر، وإیّاک أنهی، وإیّاک أعاقب، وإیّاک أثیب» («۱»)، لکن ما هی عبادهٔ العقل؟ وما هو سجود ورکوع العقل؟ هل هو هذا الانحناء

الهندسی؟ أم له نوع خضوع خاص؟

لما کان العقل من الموجودات المجردة فلیست عبادته کعبادة الموجودات المادیة، إذ لیس له حرکات کحرکات البدن من الانحناءات الهندسیة ونحوها، بل عبادة العقل خضوعه.

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۲۷۴

وما هو خضوع العقل؟

هو تسلیمه للحقائق، وإذعانه لها واستجابته لها وعدم تمرده وعدم طیشه علی ما هو الحقیقة، بل یسلم لها أی یخبت لها فهذه عبادة العقل، فإذا سلم وخضع لما هو حقیقة وواقعیة حینئذٍ یکون العقل قد عبد الواقعیة المطلقة وهو الباری تعالی وهو الحق، فعبادة العقل خضوعه وتسلیمه للحق!

لذلک مُدِح المخبتون فی القرآن الکریم حیث قال تعالی: وَلِکُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَکاً لِیَذْکُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلی ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِیمَةِ الْأَنْعامِ فَإِلهُکُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِینَ («۱») فالاخبات نوع تسلیم وإذعان، فعبادة العقل أن یسلم ویعرف الحقیقة والواقعیة، وکما أن الإسلام والتسلیم یعمُّ شأن البدن وشأن الجوارح والجوانح والقوی وما شابه ذلک، فکذلک التسلیم والإسلام والقبول یعمُّ شأن العقل أیضاً.

فإسلام العقل وتسلیمه هو إذعانه للحقائق! إذن فللعقل عبادة، وللعقل تسلیم، وللعقل سجود وهو منتهی خضوعه، وللعقل رکوع وهو انحناؤه أمام الحقائق وعدم تمرده وعدم طیشه علیها، ومن ذلک یظهر معنی قوله تعالی: وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِیَعْبُدُونِ («۲»)، أی لتعبد أبدانهم ولتعبد قواهم النفسیة ولتعبد أرواحهم ولتعبد عقولهم المعبود الواحد، لذا فإنّ التمرد علی الحقائق وعدم التسلیم لنتائج البراهین یعتبر عصیاناً من العقل وعدم طاعة لخالقه، فإنّ الله تعالی اعتبر تسلیم العقل لما وصل إلیه بالدلیل والبرهان هو عبادته وطریق کماله.

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۲۷۵

وقد یستبعد البعض هکذا عصیان من العقل ولا یتصور أن العقل یصل لحقیقة ولا یسلم لها، ولکن هذا الاستبعاد ناشئ من الغفلة، فقد ذکر القرآن الکریم ذلک بقوله تعالی: وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَیْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا فَانْظُرْ کَیْفَ کانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِینَ («۱») فعلموا بأنه الحق والحقیقة ولکنهم لم یسلموا بها، والأعجب أن فی الأزمنة المتأخرة هناک من أنکر الحقائق بعد الاستدلال علیها، کما عن الرازی فی تفسیره لقوله تعالی: وَیَوْمَ نَبْعَثُ فی کُلِّ أُمَّةٍ شَهِیداً عَلَیْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنا بِکَ شَهِیداً عَلی هؤُلاءِ وَنَزَّلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْ‌ءٍ وَهُدیً وَرَحْمَةً وَبُشْری لِلْمُسْلِمِینَ («۲») بعدما وصل إلی حتمیة ولابدّیة وجود شخص شهید وشاهد علی أعمال العباد فی کل أمّة وقرن، ومن الواضح أن ذلک اعتراف بعصمة خلیفة رسول الله (ص) ولم یکن کذلک إلّا علی (ع) فبعد اعترافه بکل ذلک یقول: (نحن نعترف بأنه لا بدَّ من معصوم فی کل زمان إلّا أنّا نقول إن ذلک المعصوم هو مجموع الأمّة وأنتم تقولون ذلک المعصوم واحد منهم) («۳»).

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۲۷۶

وکما عن الطبری بعد أن ثبت له أن المهدی (ع) أفضل من الأنبیاء عدا سید الرسل وأنه یقودهم، بل بعضهم یصلی خلفه بعد الظهور المبارک، فبعد کل ذلک لم یقبل ولم یسلم بأنه (ع) أفضل من الأوّل والثانی، حیث یقول: (لا تقل: إنه أفضل من الشیخین، بل قل: إن الشیخین لیسا بأفضل منه) («۱») وهذا بعد استدلاله للأفضلیة بقوله: (إنه خلیفة الله وأنهما خلیفتا رسول الله) («۲»).

فالعقل قد یعصی خالقه ویترک عبادته وذلک عندما یجحد الحق والحقیقة ولا یسلم لها ولا یخضع بل یتمرد.

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۲۷۷

مرتبة ومساحة حجیة العقل ...: ص: ۲۷۷

قال الإمام الكاظم (ع) لهشام بن الحكم فى الوصية المعروفة: «يا هشام إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمّة (عليهم السلام) وأما الباطنة فالعقول» («١»).

وقال الصادق (ع) لعبد الله بن سنان: «حجة الله على العباد النبى والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل» («٢»).

فإنّ لله على الناس حجتين حجةٌ باطنة أو رسول باطن وهو العقل وحجةٌ أو رسول ظاهر وهو النبى ثمّ تأتى مراتب الحجج الأخرى ولا يمكن لحجة أن ترقى وتعلو إلى مرتبة أعلى من مرتبتها فإنّ مراتب الحجج والدلائل متسلسلة ولا يمكن تخطيها، كما سيأتى بيان ذلك.

فضمن لابدّية معرفة مراتب ومنظومة الحجج هو معرفة مرتبة حجية العقل، ونتيجة عدم الالتفات لتلك المراتب وعدم معرفة حقيقة حجية الحجج وقع البعض فى إفراط وبعض آخر فى تفريط.

فهناك من ارتكب الغلو والافراط فى العقل البشرى وقال بأن العقل يدرك كل شىء كما هو حال العلمانيين أو الغربيين، والحال أنه لو كان يدرك كل شيء لما احتاج للوحى ولما احتاج لتواصل سلسلة الأبحاث العلمية!

فلعدم إدراك العقل لكل شىء وعدم الاحاطة بالحقيقة الوسيعة احتاج الإنسان للسعى والاستمرار والتواصل فى البحث والدراسة ليحصل الادراك شيئاً فشيئاً للحقائق فهى حركةُ ادراكٍ بطيئةٍ كحركة النمل،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٢٧٨

وهذه المسيرة متواصلة ولا ـ تقف دائماً وأبداً، وهذا يكشف ويدلل على أن البشر لا يستطيعون ولا يصلون إلى الاحاطة بالحقيقة الواسعة، وهو اعترافٌ بأن العقل لا يمكن أن يدرك كل شيء ويكذب على نفسه ويخدعها من ادّعى أنه يدرك كل شيء.

وهناك من فرط بالعقل وأنكر إدراكه أى ذهب إلى أن العقل لا يدرك شيئاً كالحشويين («١») وهناك من الفِرَق الضالة فى الغيبة الصغرى فضلًا عن الغيبة الكبرى قديماً وحديثاً إذ شطبوا العقل فأجازوا ارتكاب المحرمات والفواحش واستباحة الدماء وقتل الأنبياء وغير ذلك.

فإنّ العقل البديهى يحكم بالعدل وهؤلاء لما شطبوا العقل استباحوا كل تلك المحرمات، وكيف نتصور إلغاء حجيته فإنّ العقل هو مبدأ الأمور وأن أسس الدين مستندة ومبتنية على بديهيات العقل فلا يمكن أن نتصور شريعة من شرائع السماء تناهض وتناقض وتخالف بديهة العقل، فإنّه باتفاق كل علماء المسلمين وعلماء الكلام وكل الأديان والملل أن معرفة الله إنما تتم ببديهة العقل.

فلا يعقل أن تكون هناك شريعة من شرائع السماء تلغى ضروريات الكتاب أو ضروريات السُنّة وتستحل القبائح أو تنهى عن المحاسن كيف ذلك والله تعالى يقول: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسانِ وَإِيتاءِ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٢٧٩

ذِى الْقُرْبى وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ («١») والرسول (ص) يقول: «إنما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق» («٢») فالعقل يحكم بالعدل والإحسان و...

وعليه فالحق أنه لا إفراط ولا تفريط فلا نقول بأن العقل يدرك كل شىء كما لا ننكر إدراك العقل للأشياء، وهذا ما يظهر من سمو الدين الإسلامى ومدرسة أهل البيت (عليهم السلام) كما ذكر ذلك الإمام الصادق (ع) فى آخر رواية يرويها الكلينى فى كتاب العقل والجهل عن أبى عبد الله (ع) فى حديث طويل ...: « إن أوّل الأمور ومبدأها وقوتها وعمارتها التى لا ينتفع شىء إلّا به، العقل الذى جعله الله زينةً لخلقه ونوراً لهم، فبالعقل عرف العباد خالقهم » («... ٣»).

فلا نغلو فى العقل المحدود الذى لدينا فإنّ له مساحة فى الاعتبار محدودة وهى مساحة البديهيات دون النظريات إلّا أن تستند إلى الأولى بسداد، وإن بديهيات العقل رأس مال خطير، فإنّ مبدأ الأمور هو معرفة الله وهى تحصل بتوسط العقل، قال رسول الله (ص):

«إنما بعثت لا ـتمم مكارم الأخلاق» أى باعتبار محدودية مساحة العقل المحدود فهو لا يعرف تمام مكارم الأخلاق لذلك تتولّد الحاجة إلى الوحى ليرشد إليها فالعقل يحكم بحسن العدل وبقبح الظلم ولكنه لا يدرك مواقعه بتفاصيلها فمثلًا لا يدرك المفاسد التى فى زواج المحارم فيحتاج للوحى فى بيان ذلك لأنه خارج مساحة حكمه، فيأتى الشارع ويقول بحرمة الزواج بالامّ وبالأخت وبالخالة ... الخ، فهناك مكارم أو مفاسد لا يدركها العقل

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۸۰

من نفسه فيأتى دور الوحى ويهدى العقل إليها، فالعقل يدرك أصل الفاحشة والرذيلة لأنها قبيحة، أما دوائرها الوسيعة فلا يدركها إلّا بهداية الوحى.

فللعقل البشرى دائرة إدراك محدودة وهو حجة فيها وهى دائرة البديهيات ولا ـ يمكن إنكار اعتبار حكم العقل فى هذه الدائرة المحدودة.

لاحظ عبارة الإمام الرضا (ع) التى رواها الشيخ الصدوق فى اعتقاداته حيث كان (ع) يقول فى دعائه ...: « اللهم إنى أبرأ إليك من الذين ادعوا لنا ما ليس لنا بحق، اللهم إنى أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله فى أنفسنا ... اللهم أنت خالقنا وخالق آبائنا الأوّلين وآبائنا الآخرين، اللهم لا ـ تليق الربوبية إلّا بك ولا تصلح الآلهية إلّا لك، فالعن النصارى الذين صغروا عظمتك والعن المضاهين لقولهم من بريتك، اللهم إنّا عبيدك وأبناء عبيدك لا نملك لأنفسنا ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، اللهم من زعم أننا أرباب فنحن إليك منه براء، ومن زعم أن إلينا الخلق وعلينا الرزق فنحن إليك منه براء كبراءة عيسى (ع) من النصارى، اللهم إنّا لم ندعهم إلى ما يزعمون فلا تأخذنا بما يقولون واغفر لنا مما يزعمون» («۱»)، يشير الرضا (ع) إلى أن هناك بديهة عقلية وهى أن الله هو الواحد الأحد الفرد الصمد وحجية هذه البديهة لا يمكن أن تقتلع أو تقصى أو أن تزال، وإنما حجية العقل فى دائرة البديهيات لا فى دائرة النظريات التى لا تستند إلى البديهيات فضلًا عن التى تصادمها فبعض الحجج هى فى صدارة الحجج والقمة، لكن فى أىّ مساحة هى لها الصدارة فى القمة؟ كما يقول الإمام الصادق (ع) فى آخر رواية يرويها الكلينى فى كتاب العقل والجهل عن أبى عبد الله (ع) فى حديث طويل ...: « إن أوّل الأمور ومبدأها وقوتها وعمارتها التى لا ينتفع شىء إلّا به، العقل الذى جعله الله زينةً لخلقه ونوراً لهم، فبالعقل عرف

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۸۱

العباد خالقهم » («... ۱») فكيف يتسنى للإنسان ببديهة العقل أن يؤمن بتوحيد الله؟! ثمّ يتابع الإمام الصادق (ع) لكن العاقل علم بأن عقله محدود ولا ـ يهديه إلى كل مراضى الله ولا يجنبه عن كل ما يسخط الله فمن ثَمَّ اضطر وأذعن بضرورة إرسال الله للرسل كى يهدونه، لأن مساحة ومنطقة حجية عقل الإنسان محدودة، كما يستفاد ذلك من بعض الروايات، ففى حديث طويل للإمام الصادق (ع) حيث بين فيه أن بالعقل مبدأ الأمور وقوتها وعمارتها وبه عرف الله وهكذا عرفت صفاته الكمالية وبه عرفت جميع الكمالات قيل له: فهل يكتفى العباد بالعقل دون غيره؟ قال: «ان العاقل لدلالة عقله الذى جعله الله قوامه وزينته وهدايته علم ان الله هو الحق وأنه هو ربه وعلم أن لخالقه محبة وأن له كراهية وأن له طاعة وأن له معصية فلم يجد عقله يدله على ذلك، وعلم أنه لا يوصل إليه إلّا بالعلم والأدب وأنه لا ينتفع بعقله إن لم يصب بعلمه فوجب على العاقل طلب العلم والأدب الذى لا قوام له إلّا به» («۲») فهذه ملحمة معرفية عظيمة يثيرها الإمام الصادق (ع) وهى أن بديهة العقل مبدأ الأمور أى فى مساحة البديهيات وهى منطقة محدودة، وتعديها إلى دائرة النظريات دون وحى السماء فيه إضلال.

، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۸۲

فحجية العقل فى البديهيات مبدأ يتقدم على الإيمان بالله وعلى المعرفة بالله.

والفرق الضالة والمنحرفة لما أقصت ولم تعتبر بديهيات العقل ولم تقم لها وزناً وقعت فى الزيغ والشطط والضلال وانتشار الأباطيل...

وما ذلك إلّا لأنهم ضيّعوا هذا الركن الركين وهو منطقة بديهيات العقل، فإنّ الدين لا يقصى ولا يلغى العقل بتاتاً، أى حجيته فى منطقةٍ ودائرة محدودة وهى البديهات.

أما فى دائرة النظريات فادراكه ليس قوياً فيحتاج إلى الوحى وهداية السماء ولا يمكن ادعاء أنه يدرك كل الحقائق والأشياء، فالعقل هو الحجة الباطنة التى يستند عليها لمعرفة مبدأ الأمور وهو الله ثمّ يتمم ذلك بالحجة الظاهرة وهى الرسل والأنبياء فهذه مساحة حكم وادراك العقل ومرتبة حجيته ثمّ تأتى مراتب الحجج الأخرى.

الخواطر ومسؤولية بناء الذات ...: ص: ۲۸۲

عندما وصل إلى مسامع الإمام الصادق (ع) أن جماعة يؤلهونه كان على الدوام يخرّ لله باكياً شاكياً متبرماً متبرئاً من هذه الفرق المنحرفة الخارجة عن الجادة والصراط المستقيم وفى كل حالاته يخضع لله (عزوجل) باكياً بكاءً شديداً، فيخاطبه أصحابه: يا أبا عبد الله يا جعفر بن محمّد إن هذه مقولة أولئك وما عليك أنت منها، فيقول (ع) كما روى عن مصادف قال: لما أتى القوم الذين أتوا بالكوفة دخلت على أبى عبد الله (ع) (فأخبرته) بذلك فخر ساجداً وألزق جؤجؤه أى أعلى صدره وبكى وأقبل يلوذ باصبعه ويقول: «بل عبدٌ لله قن داخر (صاغر)» مراراً

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۸۳

كثيرة، ثمّ رفع رأسه ودموعه تسيل على لحيته فندمت على إخبارى إيّاه فقلت: جعلت فداك وما عليك أنت من ذا؟ فقال: «يا مصادف إن عيسى لو سكت عما قالت النصارى فيه لكان حقاً على الله أن يصم سمعه ويعمى بصره، ولو سكتُّ عما قال فىَّ أبو الخطاب لكان حقاً على الله أن يصم سمعى ويعمى بصرى» («۱»).

فعلى الإنسان تجاه الفكرة والخاطرة مسؤولية، وهذا مثال لامتحانات الأنبياء والأولياء مع كونهم معصومين، ولكن المقصود بيان مسؤولية الخاطرة والفكرة.

كما يؤيد ذلك الفقرة الأخيرة فى رواية الرضا (ع) المتقدمة «اللهم إنا لم ندعهم إلى ما يزعمون فلا تأخذنا بما يقولون واغفر لنا مما يزعمون» إذ فيها إشارة واضحة للمسائلة والحساب على الخاطرة.

والاعتراض بأن الحساب والمسائلة إنما على العمل دون مجرد النيّة فضلًا عن الخاطرة، ومجرد الفكرة لا حساب عليها. قال تعالى: ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ («۲»).

جوابه: أنه قد ذكر علماء الأصول فى بحث التجرى أن التجرى القلبى قبيح ومذموم عقلًا والإنسان محاسب عليه وإن كان البارى تعالى يعفو عن نية السوء ما لم تخرج إلى صعيد العمل فضلًا عمّا لو أصبحت الفكرة عقيدة إذ تتحول إلى عمل جوانحى.

العمل من جوارح البدن ولا عقاب على مجرد فكرة وخاطرة، أما

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۸۴

إذا كان العمل نفس الاعتقاد والاعتقاد ليس عملًا جوارحياً، فالحساب والعقاب حينئذٍ على نفس ذلك الاعتقاد أى على الفكرة.

فالمسألة إن كانت اعتقادية فهى ميدان ومجال العمل والتطبيق فيها نفس الخاطرة ونفس الفكرة وفى هذا بحثٌ، فهل المراد بها الميول أم الانجذاب أم التشبث؟

فالإعتقاد والخاطرة عملٌ جوانحى وقلبى وبالتالى فهو نوعٌ من الاعتقاد والإيمان قال تعالى: الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ («۱») فأفعال القلب يحاسب عليها الإنسان إذا كانت المسألة اعتقاديةً.

نعم إن كانت المسألة من الأمور الجوارحية التى يأتى بها البدن فالخاطرة مع ذلك يتعلّق بها الذم وكذا استحقاق العقوبة إذا كانت هناك نية معصية، كما يقرّر ذلك أكثر الأصوليين من باب التجرى.

وفعل عيسى (ع) أو الإمام الصادق (ع) من الشكاية والتبرم والبكاء له تفسير على وفق القواعد الفقهية أيضاً لأن أحد مراتب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو الموقف القلبى والفكرى، فحتّى الفكرة نحن مسؤولون عن الموقف تجاهها.

فلسفة استعراض الماضى ...: ص: ٢٨٤

ومن هنا نعلم وجه ذكر الأحداث الماضية للأمم السابقة، فالقرآن كأنما يستدرجنا لامتحان موقفنا تجاه تلك الأحداث كقتل قابيل هابيل وغيرها، فالذى يعنينا هو أن نحدد موقفاً ندين قابيل فى قتله لهابيل أى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٢٨٥

نتضامن مع هابيل وندين قابيل فمع أن الموقف قلبى إلّا أن سعته أوسع من المقطع الزمانى الذى نعيشهُ، فوجود الإنسان ذو درجات وطبقات (روح وعقل وقلب) وجود الإنسان لا يحبس ولا يسجن فى بيئة البدن الزمانية، بل له بيئة وسيعة تستشرف الماضى والمستقبل بتوسط المعرفة والادراك، لذلك يطالبنا القرآن الكريم دوماً بموقف حتّى تجاه الأفكار والخواطر، فهو (هذا الموقف) داخل فى قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر القلبى، الذى لا- يسقط لأنه لا يمكن أن يخضع لإرهاب أو إرعاب أو ضغط ونحوه، فهو واجب فكرى قلبى روحى لا يسقط بحال ويُمتحن به الإنسان ويفتتن به.

وبعبارة أخرى نحن مسؤولون عن الموقف القلبى والميولات والأفكار، هل نتضامن فيها مع قابيل فيما فعلهُ أم مع هابيل، هل نتضامن ونؤيد جانب الحق أم جانب الباطل؟!

فتلك القصص يذكرها القرآن من ظلامات المظلومين لنكتة وهى أنّا مطالبون بموقف ولو قلبى نحاسب ونسأل عنه.

فهذه الأحداث وإن كانت فى غابر الأزمان إلّا أنها تنخر فى جسد الأمّة وفى عقل البشرية وتعمل فى تكوين هويتها لأنّ البشرية تعيش كأنما فى بيئة واحدة وفى سطح واحد وإن تقاسمتها الأزمان والأجيال لكنها بيئة واحدة مجتمعة فى الهوية الإنسانية فى مرتبة العقل وفى مرتبة الروح فكأن البيئة واحدة وكأن الزمان واحد وكأن المقطع واحد.

إذن القرآن الكريم يخاطب قوة الفكر وامتحان الفكر والعقل كما يحدّثنا عن أصحاب الأخدود وغيرهم من ظلامات المظلومين فى سلسلة التاريخ.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٢٨٦

فالقرآن الكريم يربى المسلمين فى كل سورة وكل آية يقرءونها من خلال اتخاذ موقف تجاه الأحداث الماضية وحتّى اتجاه الأحداث اللاحقة بل حتّى فيما وراء الدنيا لأن الذى يصنع هوية الإنسان ومركز التحكم فيه هو العقل، وموقف العقل يستشرف الأزمان فلا تحده الفترات الزمانية ولا البقع الجغرافية ولا عالم من العوالم، فالعقل يستشرف عوالم عظيمة.

فبالعقل تكون الهوية والبطاقة الشخصية للشخص وللأمم وللشعوب وللملل، فصياغة الهوية مرهونة بصياغة العقل والمعرفة والبصيرة، فتلك الأمّة هل هى أمّة فاتكة أم مسالمة، وظالمة أم عادلة ... ذلك مرهون بمعرفة تلك الأمم وصياغة البصيرة عند أفرادها.

وهذا ليس بمنهج قرآنى فحسب بل موجود فى ثقافة الشعوب والمجتمعات وإنما يشير إليه القرآن.

فمثلًا فى الآونة الأخيرة برزت بين اليابان والصين أزمة علاقة شديدة شعباً ودولة بناءً على موقف رئيس الوزراء اليابانى من زيارة قبور قيادات الجيش اليابانى الذين قاموا بمذبحة ومجزرة فى الحرب العالمية الأولى تجاه الشعب الصينى حيث إن الزيارة تعتبر تضامناً وتأييداً.

فبناءً على هذا الموقف من تلك القضية تتحدد طبيعة العلاقات بين الدولتين والشعبين مع أنها قضية تاريخية ماضية فى غابر التاريخ وأنهم يرون بأن الموقف اليابانى تجاه تلك القضية التاريخية يحدد الوضع الحالى بين الشعبين، هل هو عدوانى أم لا؟ وهل هذه الدولة والشعب دولة عدل وإنصاف أم لا؟

فالتاريخ يصنع ويكوّن عقلية ونفسية الأمّة البشرية وهذا هو الذى يركز عليه القرآن.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۸۷

من هنا نفهم كيف أن قول الإمام الحسين (ع): «كونوا أحراراً فى دنياكم» («۱») هى صرخة ونداء لكل الأجيال.

فالـذين يتسائلون: لماذا أنتم تحيون ذاكرة التاريخ فى عاشوراء؟ فنجيبه: إنّا لسـنا ممن يدعو إلى ذلك من أنفسنا بل هى دعوة القرآن لنا.

إذ القرآن يـدعونا إلى اسـتعراض كل سلسـلة المظلومين والتضامن معهم والتنديـد والادانـة للظالمين وعبر تلك الأحداث التى يدعونا القرآن لـذكرها كواقعـة كربلاـء، فنحن لاـ زلنـا نُمتحَن بواقعـة كربلاـء من خلاـل إبراز موقف منهـا، لأنّ القرآن الكريم والفقه يطالب بتحديد موقف قلبى وفكرى من معسكرات الحق والباطل وهو كله امتحان فإحياؤنا لعاشوراء ليس إلّا لدعوة القرآن الكريم لذلك.

وفى السُـنّة كذلك، قال رسول الله (ص): «المرء يحشـر مع من أحب حتّى لو أحب أحدكم حجراً حشـر معه» («۲»)، عن عطية سمعت حبيبى رسول الله (ص) يقول: «من أحب قوماً حشر معهم، ومن أحب عمل قوم اشرك فى عملهم » («... ۳») الخبر، وهلم جراً.

وهذا ما سيأتى بيانه من كونه أحد معانى الامتحان والافتتان

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۸۸

الفكرى والقلبى فنحن دوماً فى امتحان مع تلك الهواجس العقليـة والنفسـية ولا يظن أنه قد شط بنا التاريخ عن الأمم السابقة بل لا زلنا نعيش معهم فى بيئـة وجوديـة واحـدة، كـل مـا أصـيبت به الأمم السابقـة من امتحانات وتجاذبات وصـراعات يكلفنا الـدين الإسـلامى بموقف منها بضرورة الفقه وقاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولو كان قلبياً.

فنحن فى امتحان مسـتمر من هذا الجانب وهو منهج قرآنى تربوى حيث يكرس القرآن الكريم ويربينا على ندبة ونصرة المظلوم ورثاءه والتنفر من الظالم، ويعتمد القرآن الكريم فى هذه التربية على عقل وفكر الإنسان لأن صـنع الإنسان وتربيته ومركز التحكم فيه هو عقله ودركه ومعرفته.

وبتوسط هـذه المعرفـة يستشـرف الإنسان الـدنيا من أوّل وجودها إلى يوم القيامة، بل يستشـرف العوالم الأخرى لا الدنيا فقط، وبذلك تترقى مسؤولية الإنسان، ويربينا القرآن الكريم على الانجذاب إلى الجنّة والخوف من النار، فمطالبة القرآن لنا بالانجذاب للجنّة والنعيم والخشـية من النار ونقمـة الله وسـطوته هى فى حين كونها تربيةً قرآنية فهى طريقة معرفية إيمانية، فإنّ الإيمان عمل يتقوّم بالمعرفة وهو من أعظم أعمال المخلوق.

ثمّ إن عصـارة الامتحانـات وتكريسـها من أوّل الـدنيا إلى يومنا هـذا تقع فى كيفيـة الثبات بشـكل مسـتقيم وسديـد فى الاعتقاد بالإمام المهدى (ع) ومنظومة هذا الاعتقاد وما يلابسها من إثارات وشبهات والتباسات وتعويمات ونحوها.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۹۱

الفصل الثانى: منظومة المعارف الدينية ... ص: ۲۹۱

اشارة

إذا كانت لـدينا مجموعـة حجج فلا بـدَّ من تنظيمها بحيث لا تتقاطع مع أن لكل مرتبة منها حق التشريع والاتّباع فكيف تنظم وما هى مساحة حجية كل منها؟!

لو لاحظنا جملـة من الآيات والروايات يتضـح لـدينا أن فى منظومـة التشـريع والمعرفـة الدينية سـتة محاور هى: الدين والملة والشـريعة

والمنهاج والطریقة والحکمة، ونحتاج لتصویر وبیان مبسط لکل واحد من هذه المحاور الستة:

المحور الأوّل: الدین ...: ص: ۲۹۱

اشارة

الـدین هو ضـرورات وفرائض الله تعالی، أی أصول الأرکان وضـروریات فرائض الله تعالی، فـدائرة الـدین هی العقائـد وأرکان الفروع امّهات وأصول الواجبات وأصول امّهات المحرّمات، وهـذه الدائرة موحدة بین جمیع الأنبیاء والرسل إذ بُعِثَ جمیع الأنبیاء بدین واحد، کما فی قوله تعالی: شَرَعَ لَکُمْ مِنَ الدِّینِ ما وَصَّی بِهِ نُوحاً وَالَّذِی أَوْحَیْنا إِلَیْکَ وَما وَصَّیْنا بِهِ إِبْراهِیمَ وَمُوسی وَعِیسی أَنْ أَقِیمُوا الدِّینَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِیهِ کَبُرَ عَلَی الْمُشْرِکِینَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَیْهِ اللَّهُ یَجْتَبِی إِلَیْهِ مَنْ یَشاءُ وَیَهْدِی إِلَیْهِ مَنْ یُنِیبُ («۱»)، وهـذا الـدین هو الدین الإسلامی کما قال تعالی: إِنَّ الدِّینَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ («۲») فکل الأنبیاء کانوا علی دین الإسلام، قال تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۲۹۲

آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ («۱») فکل الأنبیاء والرسل جاءوا بتوحیـد الله ونبوة سـید الرسل ووصایـة سـید الأوصـیاء والمعـاد، ومن ثَمَّ الکـل مأمورون باتّباع دین الله، قال تعالی: أَفَغَیْرَ دِینِ اللَّهِ یَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِی السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَکَرْهاً وَإِلَیْهِ یُرْجَعُونَ («۲») أی التسلیم لله بالتوحید والعدل والنبوة والإمامة والمعاد.

وهذا الدین یتجاوز محیط النشأة الأرضیة ودار الدنیا فیرتبط بعوالم أوسع سرمدیة إلهیة کعالم ما قبل الدنیا وعالم البرزخ وعالم الآخرة، فالدین ثابت لا یتغیر ولا یُنسخ إنما النسخ فی الشـرائع کما سـیتبین هذا فی الدین الصـحیح بغض النظر عن تحریف بعض أتباع الأنبیاء لـذلک الـدین کما حُرّفَ عنـد الیهود إلی الیهودیـة وعنـد النصاری إلی النصـرانیة، ... فقـد یُنسب النسـخ مسامحـة للدین بعد تحریفه کالیهودیة والنصـرانیة، وإلّا فإنّ تغییر بعض الأحکام فی الدین من الفرائض والضـروریات کانکار نبوة سید الرسل، ومن أرکان الفروع کانکار بعض الواجبات وغیرها، فإنّ هذا لا یعد نسـخاً وإنما تحریفاً للدین، فإنّ أصول الأرکان وضرورات فرائض الله دائرة موحدة بین جمیع الأنبیاء والرسل ولیس من صـلاحیات أی نبی أو رسول أن یتخطی هذه الدائرة فضلًا عن غیرهم فهی دائرة لیست قابلة للنسخ فلا یتصور نسـخ التوحیـد ولا نسـخ المعاد ولا نسخ لنبوة سـید الرسل محمّد (ص) ولا نسخ لوصایة سـید الأوصـیاء علی بن أبی طالب (ع) ووصایة الأئمّة من بعده (علیهم السلام)، فإنّ رسالة سید الرسل ووصایة سید الأوصیاء عقیدة فی دین الله ولیست مختصة بشریعة محمّد (ص).

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۲۹۳

فإنّ ولایـة أمیر المؤمنین (ع) والأئمـة الطاهرین عقیـدة فی الـدین قـد بشَّر بها جمیع الرسل السابقین، لـذا قال تعالی فی یوم غـدیر خم: الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی وَرَضِیتُ لَکُمُ الإِسْلامَ دِیناً («۱») فهو یوم إکمال الـدین ولیس إکمال الشـریعة لأنّ ولایـة علی (ع) من العقیـدة ولیست من تفاصـیل فروع الدین الجزئیة، فولایة أمیر المؤمنین لما کانت عقیدة والعقیدة من الدین والدین واحد وقد بُعِثَ کل الأنبیاء به لذا فإنّ جمیع الأنبیاء بُعثوا بولایة علی (ع)، فهذه دقائق لطیفة فی الآیات یجب أن نلتفت إلیها.

ولـذا کان جمیع الأنبیاء یبلغون بنبوة محمّـد (ص) ووصایة علی (ع) والأئمّة (علیهم السـلام)، بل یبشـرون بدولة الحق والعدل للمهدی (ع) قبل تبلیغ شـرائعهم لأنها من الدین والدین واحد وهو لله، فالأنبیاء یبلّغون دین الله تعالی ثمّ یبلغون شرائعهم، من هنا یتضح لنا لماذا کان جمیع الأنبیاء یتقربون لله تعالی بطاعة ومحبة ومودة محمّد وآله، ولِمَ کانوا یبکون علی مصاب الحسـین (ع) قبل واقعة الطف، فما ذلک منهم إلّا لأنّ محبـة ومودة أهل البیت (علیهم السـلام) من الـدین وهو الإسـلام، وأن جمیع الخلق لا بـدَّ أن یـدینوا لله تعالی بهـذا الدین الواحد بما فیه من العقائد والأرکان والتی منها محبة ومودة محمّد وآله (علیهم السلام) وأن عقیدة الإمام المهدی (ع) من الدین

وليست من الشريعة تبعاً لولاية أمير المؤمنين، فإنّ جميع الأنبياء السابقين (عليهم السلام) كانوا يعتقدون به، بل وإن تبليغهم وإرشادهم الناس كان تمهيداً لدولته المنشودة.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۹۴

ومن ضعاف العقول أو ممن يدجل فى الدين من يحاول عبثاً أن يجعل عقيدة الإمام المهدى (ع) عند الناس عقيدة وليدة الأزمنة المتأخرة، وأنه بعد أن عانت بعض المجتمعات من الظلم والطغيان فكانوا يؤملون ويمنون أنفسهم بوجود مخلص ومنقذ، حيث يقول بعض ضعاف النفوس: إن عقيدة الإمام المهدى (ع) استحدثتها حركات التحرر التى تعبىء وتنهض الساحة الجماهيرية من خلال هذه الأفكار.

ولكن الصحيح أنه لا يمكن الاتيان بعقيدة أو فكرة فى الدين لم تكن مقبولة سلفاً عند المجتمعات ذات الاتجاه الدينى، فالحركات الثورية حتّى لو أرادت تعبئة الجماهير من خلال الدين فلا بدَّ أن تستخدم مسلمات موجودة سلفاً فى الثقافة الإسلاميّة، وحينئذٍ نقول: إن الأمر بالعكس، فإنّ اعتماد الحركات الثورية التحررية على عقيدة الإمام المهدى لاستنهاض الجماهير يكشف عن رسوخ هذه الفكرة فى عقيدة الناس وتدل على أن هذه عقيدة مسلمة ومتلقاة من الأنبياء وخصوصاً سيد الرسل (ص) وأن استخدامها فى أدبيات حركات التحرر إنما كان اعتماداً على هذه المفروغية وإلّا لما آمن بذلك أحد منهم.

وقد يتوهم البعض أن عقيدة الإمام المهدى (ع) ضمن عقائد مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) دون بقية المدارس الدينية بناءاً على وجود خلاف فى هذه المسألة ولكن الصحيح أن كل المدارس الدينية وخصوصاً الإسلاميّة تعتقد بالإمام المهدى، نعم هناك خلاف فى بعض الجزئيات والمشخصات له (ع) كاسمه الشريف أو اسم أبيه ونحو ذلك، فالكل يعتقد بأن المهدى يظهر فى آخر الزمان وهو من ولد الرسول (ص) بل ومن ولد على وفاطمة (ع) وأنه يملأ الأرض عدلًا وقسطاً بعدما مُلِئت ظلماً وجوراً، كما هو الحال فى حديث خلفاء

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۹۵

الرسول الاثنى عشر وأن كلهم من قريش الواردة عن العامة، قال رسول الله (ص): «هذا الأمر لا ينقضى حتّى يمضى فيهم إثنا عشر خليفة»، قال: ثمّ تكلم بكلام خفى على، قال: فقلت لأبى: ما قال؟ قال: «كلهم من قريش» («۱»).

وهذا بيان نظرى لدفع مثل هذه الشبهة من هذا الجانب وإلّا فإنّه قد ثبت من طريق الشرع وبالروايات المتواترة عند كل من الفريقين أن مسألة الإمام المهدى (ع) مسألة عقدية أى من الدين ومما لا بدَّ أن تثبت بأدلّة قطعية لا بالظن والاحتمالات.

موالاة أهل البيت (عليهم السلام) من الدين ...: ص: ۲۹۵

فى القرآن الكريم والسُنّة النبوية منهجة تربوية لبيان أن مودة ومحبة والاعتقاد بأفضلية أهل البيت (عليهم السلام) من الدين وليس من تفاصيل فروع الشريعة قال تعالى: فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ («۲»)، رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ («۳»).

يذكر السيوطى وهو من أهل السُنّة فى كتاب الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريدة قال: قرأ رسول الله (ص) هذه الآية: فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ فقام إليه رجل فقال: أى بيوت هذه يا رسول الله؟ قال: «بيوت الأنبياء»، فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها لبيت على وفاطمة قال: «نعم من أفاضلها» («۴»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۹۶

فالنبى (ص) لم يقل: (نعم منها) بل قال: «من أفاضلها»، والملفت للانتباه أن علياً وفاطمة لم يتوهم متوهم أنهما من الأنبياء، فما الذى دعا أبا بكر أن يسأل هذا السؤال؟ وما العلقة بين بيت على وفاطمة وبين بيت الأنبياء؟

وما ذلك إلّا كاشف ودال على أن القرآن الكريم والرسول (ص) لهم تربية خاصة للمجتمع الإسلامى ولوسط المسلمين بأن أهل البيت (عليهم السلام) حجج معصومون، فبالتالى هناك مناسبة أنه إذا قيل شىء فى الأنبياء قيل شىء أيضاً فى الأوصياء.

فهذا الحديث دال على المرتكز فى عقلية المسلمين أن علياً وفاطمة حجج، بل لهم أفضلية على الأنبياء طبعاً إلّا سيد الرسل (ص)، والملفت للانتباه أن هذه الرواية ليست من طرقنا بل من طرق العامة، وعلى ضوء مفادها لا بدَّ أن يلتزموا بأفضلية أهل البيت (عليهم السلام) وإلّا فماذا يعنى أن بيت على وفاطمة من أفضل بيوت الأنبياء؟

وعليه فإنّ بيوت أهل البيت (عليهم السلام) بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فهى ليست مساجد فقط، بل من المشاعر التى شعرها الله تعالى فإنّ مراقدهم (عليهم السلام) من المشاعر بروايات أهل السُنّة فضلًا عن رواياتنا، والمشاعر أعظم من المساجد، إذ المسجد ربما تنتهى وقفيته أو يزال لسبب ما كضرورة إقامة شارع ونحوه، فإنّ الضرورات تقدر بقدرها، أما المشعر فلا فإنّه كالمزدلفة ومنى وغيرها من مناسك الحج.

يقول الشيخ كاشف الغطاء: (هذه بيوت شعَّرها الله فهى أعظم من المساجد) («۱») فهذه المراقد الشريفة يجب أن تعمر وتعظم بنص كل

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۹۷

المسلمين، وكذا أفضليتهم على الأنبياء بنصّ الرواية عند المسلمين وهذه من الدين.

المحور الثانى: الملّة ...: ص: ۲۹۷

الملّة باختصار هى الأعراف الحسنة التى يجذرها الأنبياء، فمن ملّة إبراهيم (ع) التوحيد الحنيف لذا لا نتصور نسخ الملّة فى جملة من مواردها لأنّ الملّة تتضمن أعرافاً حسنة مسلمة عند كل الأنبياء فلا تقبل النسخ فى تلك الموارد، فالنبى إبراهيم (ع) بنى أعرافاً تبقى حتّى لو فرضنا نسخ ما جاء به من شريعة، كما أن النبى محمّد (ص) بنى أعرافاً لم يكن النبى إبراهيم (ع) قد بناها، وعليه فللنبى محمّد (ص) ملّة أيضاً، ولكنها ليست ملّة أخرى غير ملّة إبراهيم (ع) بل هى مكملة ومتممة لها، حيث يقول سيد الرسل (ص): «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» («۱»)، فإنّ المجتمع آنذاك كان لديه الكثير من الأعراف الحسنة التى ورثها عن إبراهيم (ع)، ثمّ جاء نبى الرحمة ليجذرها ويكملها ويتممها فيكون هو النبى الخاتم بحق حيث أكمل كل المحاور الستة فى منظومة علاقة المخلوق بالخالق.

فعندما يقال: إن النبى محمّداً (ص) على ملّة إبراهيم أى ليست ملته مخالفة لملّة إبراهيم لأنها ملّة واحدة جاء ببعضها إبراهيم (ع) ثمّ تممها سيد الرسل (ص)، وإلّا فإن إبراهيم (ع) تابع لدين محمّد (ص).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۹۸

المحور الثالث: الشريعة ...: ص: ۲۹۸

الشريعة هى عبارة عن تفاصيل أحكام الأصول كتفاصيل أحكام الصلاة وتفاصيل أحكام الصوم و ... وهذا المعنى مناسب جدّاً لأصل معنى اللفظة لغة.

قال تعالى: لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَلكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِى ما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ («۱») فكل نبى له شريعة تخصه يبين فيها ما يناسب قومه من تفاصيل أحكام الدين وينسخ ما لا يناسبهم من تفاصيل الأحكام التى بيّنها من سبقه من الأنبياء، فتسمى تلك التفاصيل شريعة وتنسب لذلك النبى وتسمى باسمه فيقال شريعة موسى وشريعة عيسى وشريعة محمّد (ص).

فإذن حجية الرسول محدودة فى الشرائع وليست فى فرائض الدين، فليس للنبى أن يبدل فرائض وضرورات دين الله، وإنما يثبتها أوّلًا

ثمّ یغیر فی تفاصیل الأحکام بما یناسب قومه، أی ینسخ الشریعة السابقة ویأتی بشریعة جدیدة، وهذا من صلاحیات وشأن الأنبیاء (علیهم السلام).

المحور الرابع: المنهاج ...: ص: ۲۹۸

المنهاج هو ما یخطه الأوصیاء تبعاً لشرائع الأنبیاء وقد مرَّ قوله تعالی: لِکُلٍّ جَعَلْنا مِنْکُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً («۲»)، لذلک نقول فی دعاء التوجه: «وجهت وجهی للذی فطر السماوات والأرض حنیفاً مسلماً علی ملّة
دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۲۹۹
إبراهیم ودین محمّد (ص) وهدی علی وفی بعض النقول ومنهاج علی» («۱»).

المحور الخامس: الطریقة ...: ص: ۲۹۹

الطریقة هی الاستقامة علی تلک المحاور الأربعة قال تعالی: وَأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَی الطَّرِیقَةِ لَأَسْقَیْناهُمْ ماءً غَدَقاً («۲»)، فالدین لله والشریعة للأنبیاء والمنهاج للأوصیاء والأئمّة.

المحور السادس: الحکمة ...: ص: ۲۹۹

اشارة

وهی حسن التدبیر فی تطبیق کلیات الفرائض والشرائع علی الموارد الجزئیة کما فی قوله تعالی: ذلِکَ مِمَّا أَوْحی إِلَیْکَ رَبُّکَ مِنَ الْحِکْمَةِ («۳»)، وقوله تعالی: یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِکَ وَیُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَالْحِکْمَةَ («۴»).

مساحات التشریع ...: ص: ۲۹۹

لیس من صلاحیات الأنبیاء نسخ الأدیان أو تغییرها، بل إن الدین واحد مطلقاً، ولهم نسخ الشرائع السابقة والاتیان بشریعة جدیدة، ولیس من صلاحیات الأوصیاء نسخ الشرائع، نعم لهم بیانها ومنهجتها.
، دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۰۰
ومن باب التشبیه والتمثیل لتقریب المعنی وبیان علاقة المساحات التشریعیة فی الدین والشریعة والمنهاج نذکر هذا المثال، وهو علاقة وارتباط التشریعات الدستوریة ثمّ النیابیة ثمّ الوزاریة ثمّ البلدیة حسب ما هو موجود فی القوانین الوضعیة، فهذه المراتب التشریعیة الأربع فی القانون الحدیث لا یحصل فیها تجاوز ونسخ من الدانی للعالی، فالتشریع النیابی فی ضمن هیمنة التشریع الدستوری والتشریع الوزاری فی ضمن هیمنة التشریع النیابی والتشریع البلدی فی ضمن هیمنة التشریع الوزاری، فالتشریع النیابی امتداد وانحدار وتنزل للتشریع الدستوری، والتشریع الوزاری امتداد وانحدار للتشریع النیابی وهکذا، فطبیعة علم القانون وعلم الأحکام طبیعة توالدیة تنزلیة انحداریة تشعبیة أی تتشعب کلما انحدرت وتنزلت فهی عبارة عن معادلات ودوائر تتوالد منها دوائر ومعادلات أخری.
فالدین هو فرائض الله، یأتی بعده سنن الأنبیاء وشرائعهم، وهی لیست بدیلة ولا رافعة ولا ناسخة لتشریعات فرائض الله بل هی امتداد وانحدار وتوالد وتنزیل لفرائض الله لمرتبة أقرب للمصادیق، ثمّ تأتی مناهج الأوصیاء ویعبر عنها سنن وطرائق الأئمّة وهی أیضاً تشریعات تأتی بالمرتبة الثالثة بعد تشریعات الله والأنبیاء.
فتشریعات الأنبیاء محکومة ومحدودة وفی ظل هیمنة التشریعات الإلهیة، وتشریعات الأئمّة محدودة وفی ظل هیمنة التشریعات الإلهیة

وتشريعات الأنبياء وسننهم.

ومن هنا نفهم لِمَ ينسب دين الإسلام وهو دين الله للنبى محمّد (ص) لأن الرسول الأعظم (ص) أكمل كل تلك المحاور الستة، فأثبت

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۰۱

كل ضرورات وفرائض الله وأكمل تجذير جميع الأعراف الحسنة أى أكمل الملّة هذا فضلًا عن إكمال شريعته كما أن أوصياءه (عليهم السلام) أكملوا المنهاج والطريقة.

فلما كانت أمّة سيد الرسل (ص) خاتمة الأمم فشريعته بمقتضى ذلك لا بدَّ أن تكون خاتمة الشرائع ولا بدَّ أن تكون تفاصيل الأحكام المبينة من قبله (ص) تناسب هذه الأمّة التى وصل فيها العقل البشرى والكمال الإنسانى إلى أعلى مراتبه من حيث الاستعداد والقابلية، فلا بدَّ أن تعطى هذه الأمّة أحكاماً تامة كاملة موصلة لغاية الكمال الفعلى من خلال القرب الإلهى بما تبين من أحكام فى الشريعة الخاتمة، وبناءً على ذلك فإنّ المنهاج والطريقة لأوصياء سيد الرسل (عليهم السلام) لا بدَّ أن تتناسب مع تلك الشريعة الكاملة فتكون مناهجهم أكمل وأرقى وأعلى المناهج، من هنا نفهم لِمَ ورد على لسان سيد الرسل (ص): «علماء أمّتى خير أو أفضل من أنبياء بنى إسرائيل» («۱») لأن علماء أمّة محمّد (ص) اتبعوا أكمل الأحكام فى الدين وفى الشريعة الخاتمة وأتوا وطبقوا أكمل المناهج وهو منهاج أهل البيت (عليهم السلام)، لذا حصلوا على الكمال والقرب الإلهى ما لم يحصل عليه غيرهم فى بقية الأمم من الأنبياء فضلًا عن غيرهم حيث صار سير أمّة محمّد (ص) وعملهم فى المحاور الستة الدين، الملّة، الشريعة، المنهاج، الطريقة، الحكمة على أكمل وجه وأعلى مرتبة لأنه

(ص) أكملها وتممها.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۰۲

بعض شبه العلمانية ...: ص: ۳۰۲

قد يتوهم البعض أن هذه الفرائض فى الدين والسنن إنما شرعت لتناسب زمان وظرف خاص وليس هذا زمانها فلا يصح للمسلمين الاهتمام بتلك الفرائض والسنن، نعم لا بأس بالحفاظ عليها كموروث دينى لا لأجل العمل بها، وبالتالى نحتاج لتشريعات جديدة تناسب هذا الزمان وهذا الظرف.

وهذه فى الحقيقة هى بعض شبهات العلمانيين، وقد تسربت لمدعى المهدوية، بل مع الأسف هناك من الأقلام الرخيصة فى الوسط العلمى من يشيع هكذا شبهات، ولكنها ترتفع بالتأمل والالتفات لحقيقة الحجج فإنّ دين الله تعالى من فرائض وسنن شرعها الله تعالى بمقتضى علمه بما يصلح البشر ولما كان علمه تعالى أبدياً سرمدياً وليس علماً مؤقتاً، فإنّ ما يشرعه لا بدَّ أن يكون فيه صلاح وإصلاح البشر فى جميع الظروف والأزمان والأحوال، فإنّه تعالى خالق البشر وهو اللطيف الخبير العليم الذى لا يعزب عنه شىء إلّا ويعلم بما يصلح البشر عبر كل الأجيال إلى يوم القيامة، فإنّ علمه لا محدود، فكيف تكون شريعته وفرائضه محدودة، فمن يحد ويحصر فرائض الله فى ظرف محدود ليس ذلك منه إلّا لقصور عقله عن إدراك حقيقة حجية الله تعالى، وإما لجحده ومكابرته وتبنيه لمثل تلك الأفكار البائدة والأراجيف، وإلّا كيف يكون البشر وهم خلق الله يستطيعون فى سعيهم فى العلوم التجريبية اكتشاف أشياء تناسب وتنفع البشر لا يعلمها خالقهم، قال تعالى: أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِى السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ («۱»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۰۳

فما ذلك إلّا هلوسات وإيهامات يحاولون الاستهزاء بها على العقول القاصرة إذ كيف نتصور خالق الكون والدنيا والآخرة والجنّة والنار و ... لا يعلم ويشرع تشريعات وقتية؟!

فإنّ فرائض الله وسننه مبنية على عدم مخالفة البديهية العقلية، وقد حرم الله تعالى الزنا واللواط والسحاق والربا والسرقة والقتل وسفك

الدماء والاعتداء...

وأوجب الصلاة والصوم وصلة الرحم والاحسان والرأفة والمحبة و...

وهذه كلها يحكم العقل بثباتها وعدم تغيرها، فهى تناسب طبيعة الإنسان على مدى أجياله المتعاقبة، وفيها إصلاح الفرد والمجتمع الإنسانى وتنظيم حياته، نعم هناك فى الإنسان جوانب متغيرة كما أن فيه جوانب ثابتة، وهذه الأحكام والتشريعات كانت بمقتضى الجوانب الثابتة، فإنّ الإنسان على مدى أجياله المتعاقبة لا يختلف من جهة حاجته للأكل والنكاح والروابط والعلاقات الاجتماعية و... وما شرعه الله تعالى مناسب لهذا الجانب.

أما العلمانيون فيتشبثون بأمور متغيرة، ويدعون الحاجة لنسخ تلك الأحكام من خلال بحوثهم فى العلمانية الحديثة أو الحداثويات من الفلسفات الغربية فيحاولون القفز والتمرد على ثوابت الشريعة المقررة لثوابت الطبيعة الإنسانية والبيئية المحيطة، سواء أكان ذلك بواسطة الفرق الضالة أم نشر أفكار علمانية أم فكر حداثوى مستورد و...

وقد تأثر بهذه الشبهات البعض وصار يدعو لتحديث الشريعة ونسخ ما جاء به الأنبياء، وغفل أو تغافل أن تلك التخرصات من العلمانيين لأجل نشر ثقافتهم فحسب ونشر الفساد والاباحية و ... وإلّا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۰۴

كيف يعقل أن تفشى انتشار الزنا واللواط والسحاق فيه حياة المجتمع ورقى الفرد الإنسانى بحسب دعواهم بالنسبة للمجتمعات الحديثة مع أن الله تعالى حكم وكذا العقل بأن هذه الأمور من الفساد والاباحية فيها هلاك المجتمعات، إذ الاباحية تفتك بالمجتمعات وتفقدها تنظيمها، سواء أكانت فى الماضى أم الحاضر أم المستقبل، ولكنهم لم يعرفوا الله ولم يعرفوا الرسول، فإنّهم لو عرفوا الله وصفاته من القدرة والعظمة والعلم والسناء و ... لما وقعوا فى هذه التوهمات قال تعالى: ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً* وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً («۱») فإنّه تعالى يعلم بخلقه وأجيالهم وأطوارهم وقد شرع كل ما فيه الصلاح والخير والبناء.

ولكنهم قصرت معرفتهم بالله فقصرت معرفتهم بتشريعاته، فظنوا أن عقولهم كاملة ويستطيعون نسخ شريعة الله والاتيان بشريعة جديدة، فاستباحوا المحرمات وتركوا الواجبات، وانخدع معهم بذلك السذج والبسطاء فوقعوا فى الفتنة والضلال، وما ذلك إلّا لعدم انضباط منظومة الحجج وعدم الوعى فى البصيرة والمعرفة فبوغتوا وغُدِرَ بعقولهم ومعرفتهم.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۰۷

الفصل الثالث: فتنة البصيرة ... ص: ۳۰۷

فتنة البصيرة أشد الفتن ...: ص: ۳۰۷

الامتحان الإلهى للعباد عموماً وللإنس والجن خصوصاً هو حكمة إلهية بالغة ليتكاملوا به فى خطى لقاء الله (عزوجل)، والتبجح فى رحاب جناته.

وهذا الامتحان لا ريب أنه على أشكال وأنواع وألوان، إذ يختلف شدةً وضعفاً بحسب موازين وضوابط معينة ومحدودة.

وربما يخالجنا أن الامتحان والافتتان الذى ينتاب البشر فى جانب الشهوات والغرائز والنزوات وبقية صفات النفس ونزعاتها أمر عصيب شديد.

ولكن المشاهد فى لسان القرآن الكريم ومنطقه الحكيم أن الفتنة والامتحان فى البصيرة هى من أشد الامتحانات وأشد الفتن، فربما تكون النزوات شديدة، والغرائز ملحة، والقوى التى يزود بها الإنسان تأخذه يميناً وشمالًا وتتجاذبه بشدة، حتّى البيئات المختلفة

المحیطة بالإنسان تتجاذبه یمیناً وشمالًا، ومن الشهوات والنزوات ما ربما فیها عاصفة جارفة للإنسان، ولکنها حسب بیان ومفاد الآیات القرآنیة الکثیرة هی فی کفة أو فی جانب والفتنة والامتحان فی البصیرة، وفی معرفة الإنسان لطریق الهدایة فی جانب وکفةٍ أخری.

وبعبارة أخری أنه فی جملة من الآیات الکریمة أن الامتحان فی البصیرة، وفی المعرفة من أعظم وأشد الامتحانات ومن أثمنها وأثمرها، حتّی أن البشر بل المعصومین من الأنبیاء والرسل یتفاضلون فی نفاذ

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۰۸

البصیرة وإن کان المعصومون من الأنبیاء والأوصیاء لا- کلام فی عصمتهم وسدادهم، إلّا أنهم یتفاضلون فی درجات السداد وفی درجات الحکمة، قال تعالی: تِلْکَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلی بَعْضٍ («۱») فإذا کان المعصومون خاضعین لقانون الامتحان والاختبار والافتتان وأنهم یتفاضلون بذلک فکیف بغیر المعصومین، فهم خاضعون لذلک بلا- ریب، وإن کانت درجات الافتتان والاختبار متفاوتة ولیست علی وتیرة واحدة!

فالامتحان فی البصیرة وفی المعرفة أمر بالغ الأهمیة، بالغ الصعوبة تفتتن به الأمم ویفتتن به الأفراد، ویأخذ ألواناً وأشکالًا عدیدة وکثیرة. ومن ثَمَّ أن البنیة المعرفیة أو البنیة فی البصیرة هی دعامة الإیمان والفلاح والنجاح وحسن العاقبة، ولأجل هذا تکرر فی القرآن الکریم قوله تعالی: قُلْ هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَالَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ («۲»)، لأنه بلحاظ نفس حکمة ومرکزیة الامتحان فی المعرفة وفی البصیرة یرفع الله الذین آمنوا والذین أوتوا العلم بهذا اللحاظ قال تعالی: یَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَالَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِیرٌ («۳»)، حیث یحدّثنا القرآن الکریم أیضاً أن المخاطب فی الرعیل الأوّل فی القرآن الکریم هم ذوو الألباب قال تعالی: یُؤْتِی الْحِکْمَةَ مَنْ یَشاءُ وَمَنْ یُؤْتَ الْحِکْمَةَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْراً کَثِیراً وَما یَذَّکَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ («۴») أو الذین یعقلون، قال تعالی: إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ («۵»)، فالمخاطب فی القرآن الکریم هم أولوا الألباب أو

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۰۹

الذین یعقلون أو الذین یعلمون أو الذین آمنوا وغیرها من التعابیر فی آیات عدیدة تشیر إلی نفس المرکز ونفس النقطة والناحیة وهی أن المسار فی المعرفة مسار خطیر کما ورد («۱») فی تفسیر قوله تعالی: وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِیَعْبُدُونِ («۲»)، أی لیعرفوا حکمة الخلقة، فالمعرفة قمتها العالیة وسنامها الرفیع، یعنی الامتحان فی الحکمة وفی المعرفة.

وما ذکره أهل البیت (علیهم السلام) دللوا علیه بالبرهان فقوله: لِیَعْبُدُونِ، بمعنی لیعرفون؛ لأن العبادة لیست شأن البدن فقط، فالعبادة أیضاً تخص وتتأتّی من الروح وتخص وتتأدّی من النفس وتخص وتصدر من کل قوی الإنسان بما فیها العقل کما تقدم فی الفصل الأوّل، فبیان أهل البیت (علیهم السلام) هو علی مفاد برهانی بدیهی واضح.

وبعبارة أخری أن الامتحان فی المعرفة، والفتنة فی المعرفة والبصیرة هو من أعظم مراحل الامتحان الإلهی.

إذ یحدّثنا القرآن الکریم عن ملاحم خطیرة فی الأمم أشدها فی افتتان الأمم وانحرافها أو استقامتها هی فی البصائر والتبصر، أی فی الفتنة المعرفیة.

تفاوت البصائر ...: ص: ۳۰۹

مما لا شکّ فیه أن عقول الناس وبصائرهم وإدراکاتهم مختلفة ولیست علی مستوی واحد، وبالتالی إدراک الحجج أیضاً یختلف تبعاً لذلک.

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۱۰

فمثلًا فی واقعة الطف کل من الحر الریاحی وحبیب بن مظاهر الأسدی أدرک حجیة الحسین (ع) وأنه علی حق، ولکن الحر لم یدرک ذلک إلّا بعد کلام الحسین (ع) وإلقاء الحجج علیهم وما ذکره من بیان، فی حین أن حبیباً رضوان الله علیه أدرک ذلک لمجرد أنه

الحسين (ع).

لـذا فبعض البصائر تحصل لها يقظـة وإبصار ولو من حجـج نازلة بل ويحصل لها تمييز الحجج العالية من المتوسـطة والنازلة فضـلًا عن التمييز للمزيف من الحجج، فى حين أن هناك بصائر لا يحصل لها إدراك والتفات إلّا مع الحجـج القويـة، وليست لها قـدرة إدراك الحجج المتوسطة أو النازلة بل قد تنخدع بالمزيف منها.

لذا نجد من أوصاف أبى الفضل العبّاس (ع) أنه نافذ البصيرة («۱») كما وصف بعض أصحاب الحسين (ع) بأنهم ذووا بصائر.

لـذا فإنّ اختلاف الفتن وشـدتها تختلف باختلاف البصائر، فإنّ الله لا يكلف إلّا بمقدار قال تعالى: لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْـعَها («۲»)، من هنـا لا بـدَّ أن يكون الـدعاء لله تعالى بأن يفتـح بصائرنا وأن يمكننا من تخطى ما نبتلى به من فتن، فقـد ورد أن رجلًا قال عنـد أمير المؤمنين (ع): أعوذ بالله من الفتن، فقال له الإمام (ع): «لا تقل ذلک، الفتنـة لا بـدَّ منها، الله خلق الإنسان ليختبره ويفتنه ويمتحنه»، قال الرجل: إذن ما أقول يا أمير

المؤمنين؟ قال: «قل: أعوذ بالله من مضلات الفتن، فاستعن بالله واستجر

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۱۱

بالله» («۱») أى اللهم نور بصيرتى لئلّا أضل فى الفتن، وإلّا نفس الفتن لا بـدَّ منها، نعم يكون الـدعاء لتنوير البصـيرة أو أن تكون الفتن بحسب بصائرنا.

اليهود وفتنة العجل ...: ص: ۳۱۱

من امتحانات وفتن البصـيرة التى ذكرها القرآن الكريم قصـة قوم موسـى (ع) قال تعالى: وَاتَّخَـذَ قَوْمُ مُوسـى مِنْ بَعْـدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوارٌ أَ لَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكانُوا ظالِمِينَ* وَلَمَّا سُـقِطَ فِی أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَـلُّوا قالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنا رَبُّنا وَيَغْفِرْ لَنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ («۲»)، فإنّ السامرى كان من حوارى النبى موسى (ع) وليس من سقطة الناس أو عاديى البشـر، بل كانت له مكانـة وجاه، وكان ذا مهارات وذا فنون وكان صائغاً من الصاغـة الماهرين والمتمرسـين، ومن شدة دراية السامرى أنه عندما سأله النبى موسى (ع) ماذا صنعت حتّى فتنت القوم؟

قال قبضت قبضةً من أثر الرسول، قال تعالى: قالَ بَصُرْتُ بِما لَمْ

يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُها وَكَذلِكَ سَوَّلَتْ لِی نَفْسِی («۳»)

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۱۲

أخذت تربة من أثر الرسول فنبذتها فى جسد العجل الذى صنعته وكذلك سولت لى نفسى.

ولكن السؤال فى المقام: ما هى قصة أثر الرسول؟ وما المراد بالرسول؟

المراد بـالرسول هو جبرئيـل (ع) إذ لما أراد جبرئيل (ع) أن ينجى بنى إسـرائيل من بطش فرعون وسار بهم فى البحر يبساً كان جبرئيل (ع) على فرس من الملكـوت كمـا فى الروايـات («۱»)، وطبيعـة عـالم الملكوت عنـدما يماسـس عالم المادة أنه يفرز لها ينبوع الحياة، ويشـير القرآن الكريم لـذلک فى قوله تعالى: وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوانُ («۲») يعنى أن عنفوان الحيـاة هناک فى الآخرة وليس هنا فى الدنيا، وهذا شبيه ضعف الطاقة وقصر الطاقة، ونحوه وشبيه الممات، فالناس نيام إذا ماتوا انتبهوا («۳»).

فالسامرى شاهد أن ذلك الفرس الملكوتى كلما يماسس أرضاً

فإنّ التربـة تنبع منها الزراعـة والأشـجار أى الحياة فى نفس الآن، أى فى نفس زمان المماسة، كما تحدّثنا روايات ظهور الإمام المهدى (ع) أن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۱۳

الرقی البشری والازدهار فی عهد دولته (ع) یصل إلی هذا الحد یعنی أنه تتفجر الحیاة بینبوع وعنفوان («۱»).

وهذا بیان قرآنی لتکوینیة التوسل والتبرک، وأنه أمر له حقیقة وله واقعیة، حیث یستفاد ذلک من نفس الآیة الکریمة فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ یعنی التراب الذی وطأه فرس جبرائیل له هذا الأثر، فتراب فرس جبرائیل ولیس جبرائیل ولیس فرس جبرائیل بل تراب فرس جبرائیل، فکیف بتراب سید الرسل، أو کیف بتراب بضعة الرسول، أو تراب أخی الرسول علی بن أبی طالب، أو تراب سبط الرسول، وهذا بحث آخر یأتی الحدیث عنه لاحقاً إن شاء الله تعالی.

فأخذ السامری هذا التراب وعرف أن فیه کبریتاً وإکسیر الحیاة، ومن ثَمَّ نبذه فی العجل الذی صاغه کجسد مجسم، فأصبح لذلک الجسد

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۱۴

خوار أی (صوت) کأنما بعثت فیه شبه الحیاة، فافتتن به بنوا إسرائیل، قال تعالی: فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوارٌ فَقالُوا هذا إِلهُکُمْ وَإِلهُ مُوسی فَنَسِیَ («۱»).

ثمّ فی کلام النبی موسی (ع) مع الله تعالی قال: ربی الفتنة بدأت من السامری لکن من أحدث الصوت فی العجل إنْ هِیَ إِلَّا فِتْنَتُکَ تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ وَتَهْدِی مَنْ تَشاءُ («۲»)، فإنّ الله تعالی أراد بذلک الامتحان والافتتان لبنی إسرائیل لیضل به من یشاء ویهدی من یشاء.

فأین وقعت هذه الفتنة؟ وقعت فی البصیرة والمعرفة، فرؤیتهم الجسد ینطق وله صوت لیست فتنة فی شهوة، ولیست فی غرائز، ولیست فی نزوات، بل هذه الفتنة فتنة فی المعرفة وفتنة فی البصیرة، وهی أعظم فتنة مرت علی بنی إسرائیل کما یحدّثنا بها القرآن الکریم. فما هی الحکمة من ذلک؟

الحکمة من فتن البصائر ...: ص: ۳۱۴

مما لا شکّ ولا ریب فیه أن الله تعالی میّز الإنسان عن بقیة المخلوقات بنطقه العقلی أی بعقله الذی هو أعظم شیء فی وجود الإنسان، قال تعالی: الرَّحْمنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ* خَلَقَ الْإِنْسانَ* عَلَّمَهُ الْبَیانَ («۳»)، فإنّ استبیان المعلومات والادراک من أعظم المیزات التی أتحف الله (عزوجل) بها الإنسان عن بقیة المخلوقات ومن ثَمَّ تکون أعظم

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۱۵

الامتحانات هی من نصیب العقل الإنسانی وهو امتحان المعرفة وامتحان البصیرة فهذه میزة مهمة.

فما یسطره لنا القرآن الکریم من تشابه الدلائل وتشابه البینات من محکم ومتشابه کی یُصْحِح بصیرة الإنسان، فالقرآن الکریم نور البصیرة فی الإنسان فیجب علی الإنسان أن یتبع نور البصیرة.

وبعبارة أخری یجب أن یُفَعِّل الإنسان قوة عقله وقوة درکه وقوة تمییزه ویکون فی یقظةٍ تامة دوماً دؤوباً وبشکل مستمر کی لا تجذبه الفتن یمیناً ویساراً ویقع فی الزیغ والضلال.

فالعقل أعظم تحفة أنالها الله (عزوجل) الإنسان، فلا یمکن أن تظل معطلة راکدة، بل یجب أن تکون دوماً مُفَعَّلة کبرج مراقبةٍ.

ولذلک فالامتحانات کثیرةٌ لهذه القوة، وهی قوة العقل فی الإنسان وبأشکال وألوان وتلوینات وصور قد لا یکون الإنسان عهدها من قبل.

وإنما یتمّ النجاح فی الامتحان والافتتان مثمراً وناجحاً إذا کان الإنسان دوماً فی حالة إعداد لنفسه، قال تعالی: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ («۱»).

وحتّی الشعوب تفتتن وتضلل وتُعَوم، وذلک من خلال الهجوم الثقافی أی التضلیل الثقافی والغسیل الثقافی، یعنی أن الشعوب تستقوی أو تستضعف من خلال الثقافة والمعرفة.

والمنهج القرآنی والإسلامی ومدرسة أهل البیت مفعمة بمحوریة البیان والبرهان والدلائل والتعقل فهی حکمة مهمة، وهذا ما لم یُعهد

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۱۶

عنـد بنی إسـرائیل ومع ذلـک امتحنهم الله به، ألم یخـاطبهم الله (عزوجـل): أَفَلا یَرَوْنَ أَلَّا یَرْجِعُ إِلَیْهِمْ قَوْلًا وَلا یَمْلِکُ لَهُمْ ضَـرًّا وَلا نَفْعاً («۱») أن هـذا لا یرجع لکم قولًا أی جواباً، وإن سـمعتم منه صوتاً ولکن بقیـة کمالات الالوهیة غیر موجودة فیه. کیف إذاً اسـتجبتم مع أنه نوع من الطلسم الملکوتی ونوع من المسحة الخلابة ونوع من التشویش فی الادراک.

ولـذا انتـابت بنی إسـرائیل الفتنـة، مـع أن الله (عزوجـل) أعطی کـل بنی البشـر قـدرة تمییز، فلمـاذا لم یمیّزوا؟ فهو امتحـان فی أصـعب وأحلک بحوث الادراک.

النصاری وفتنة قتل عیسی (ع ...): ص: ۳۱۶

مثال آخر یـذکره لنا القرآن الکریم امتحن الله به النصاری وبنی إسـرائیل وهی قضـیة قتل النبی عیسـی (ع)، قال تعالی: وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِـیحَ عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلکِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِینَ اخْتَلَفُوا فِیهِ لَفِی شَکٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ وَما قَتَلُوهُ یَقِیناً («۲»).

فی کلمات المفسّـرین کالفخر الرازی صاحب التفسـیر الکبیر والآلوسـی وغیرهما، وحتّی مفسری مدرسة أهل البیت عندما یصلون إلی هذه الآیة التی فیها ملاحم معرفیة خطیرة جدّاً فإنّهم یتسائلون ماذا یرید

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۱۷

أن یسـطر لنـا القرآن؟، هل یریـد أن یقول: إن الحس لیس بحجـة؟! حیث أن النصاری أو بنی إسـرائیل بتوسط إدراک الحس والبصـر رأوا شبیه النبی عیسـی (ع) باعتبار أن الله (عزوجل) جعل شـبه النبی عیسـی علی أحـد أنصاره کما فی روایة أهل البیت («۱»)، أو علی عدوه یهوذا کما فی روایات المدارس الإسـلامیّة الأخری («۲»)، أیّاً ما کان فإنّ الباری تعالی شـبه النبی عیسـی (ع) علی شخصٍ آخر، فَقُتِل ذلک الشخص الآخر أمام مرأی وعین الیهود والنصاری.

والیهود هم الـذین قـاموا بتـدبیر هـذه المؤامرة. قـال تعـالی: فَقَـدْ سَأَلُوا مُوسـی أَکْبَرَ مِنْ ذلِکَ فَقالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَـذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ * ... وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِیحَ عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلکِنْ شُبِّهَ لَهُمْ («۳»).

القرآن یقول بأن الاعتقاد بقتل النبی عیسی وعدم الاعتقاد بحیاة النبی عیسی هذا کفرٌ وضلالٌ.

هـذا الامتحان فی العقیـدة الـذی امتحن الله (عزوجل) به النصاری والیهود مع أنهم اسـتندوا إلی الحس والحس من البدیهیات، کما أن الأجیال المتأخرة للیهود والنصاری أیضاً یعتقدون بقتل النبی عیسی (ع) وصلبه بحسب ما نقل إلیهم بالتواتر، فکیف القرآن یفند التواتر مع أن مستند التواتر هو الحس؟

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۱۸

والمفسـرون تبلبلوا هنـا تبلبلًا وحارت أفهامهم وأبحاثهم فی هـذه الآیـة، ماذا یریـد أن یسـجل ویسـطر لنا القرآن الکریم فیها؟ یعنی أن المفســرین الإسـلامیین فی حالـة حیص وبیص فی تبیـان مفـاد هـذه الآیـة، إذ کیـف القرآن الکریـم یـذم ویندد اسـتناد بنی إسـرائیل والنصاری إلی الحس؟ فلم یعطوا جواباً شافیاً عن هـذه الأبحاث، وکأنما الآیـة لا زالت من ضـمن الطلسـمات فی نظام المعرفـة أو نظام البصیـرة أو نظام المنهج المنطقی الذی یرید أن یسـطره وینظمه القرآن الکریم بحیث یدین انحرافاً رئیسیاً أساسیاً عند النصاری والیهود وکأنه مبتنی علی نوع من الغموض، وحاشا لله أن یغمض الحجة البالغة.

ولکن المقصود أن هذا الامتحان یحتاج إلی نوع من البصیرة ویحتاج إلی نوع من نفاذ المعرفة ونافذیة الادراک، وهذا الجواب موجود فی ذیل هذه الآیة بحسب روایات أهل البیت (علیهم السلام) ولو راجع المفسرون من الفریقین النکات المعرفیة فی روایات أهل البیت فی التفسیر لرأوا أن الأجوبة موجودة.

فروایة أهل البیت تشیر إلی أن الموازنة فی الامتحان المعرفی الذی هو من أعظم الامتحانات التی امتحن بها الیهود والنصاری فی هذه الواقعة هی أن النبی عیسی (ع) قد أتی بالمعجزات والبینات وأخبر الیهود والنصاری أنه باقٍ حی إلی دولة الإمام الثانی عشر (ع) وسوف یکون وزیراً من وزرائه ویصلی خلفه. فهو أنبأهم بتوسط إعجاز الوحی والمعجزات التی ظهرت علی یدیه، وهم ترکوا تلک المعاجز واستمسکوا بالحس، والحس لا ینهض ولا یناهض المعجزة.

فالقرآن یفند الحس إذا کان ینکر ما ثبت بالمعجزة، فتلک الأمم

باتّباعها الحس کبنی إسرائیل وعبادة العجل أو النصاری وشبهة قتل وصلب عیسی (ع) وغیرها استندت إلی یقین محدود دانی فیه سفل وترکهم لما فیه علو، وهذا افتتان وامتحان ویا له من امتحان وافتتان

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۱۹

صعب غامض دقیق. مع أن لله الحجة البالغة دائماً وحججه بیّنة أبین من الشمس ولکن الإنسان عندما تعتوره الکدورات نتیجة الأعمال والأفکار المنحرفة یقع فی اللبس والغموض.

ولا یقال: إن هذا الامتحان باعتباره أعمق من الحس یکون خروجاً عن طاقة البشر، وذلک: لأن الله (عزوجل) زوّد الإنسان بقوة العقل وهی قوة جبارة یقدر بمقتضاها تمییز الأبتلاءات الإلهیة من مثل هذه الامتحانات الکبیرة.

الفتنة محک البصیرة ...: ص: ۳۱۹

یقول منبع البراهین والبینات والدلائل علی بن أبی طالب (ع) عن ما جری فی حرب الجمل وصفین والنهروان فی إحدی خطبه (ع): «أما بعد أیها الناس فأنا فقأت عین الفتنة ولم تکن لیجرأ علیها أحد غیری بعد أن ماج غیهبها واشتد کلبها فاسألونی قبل أن تفقدونی» («۱»)، لنفهم ماذا یرید أن یقول (ع).

ولو تأملنا جیّداً لعلمنا أنه یقول: إن حرب الجمل أو حرب صفین أو حرب النهروان فتحت فتوحات فی بصائر ووعی الأمّة الإسلامیّة وأسست فتوحاً بیّنةً فی وعی الأمّة الإسلامیّة وما کان لغیر أمیر المؤمنین لیجترئ علی فتح تلک الأبواب العظیمة فی البصیرة ووعی الأمّة.

ففی حرب الجمل مثلًا کان الطرف الآخر ربما یتوهم أنه یتمتع ببعض الأوصاف القرآنیة التی یُحسب أنها تعطیه صلاحیات کبیرة والتی من خلالها یرید أن یوسع أو یؤسس صلاحیات له فی مشروع الدین

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۲۰

الإسلامی علی طول التاریخ، فمَنْ الذی أیقظ فی الأمّة ذلک الوعی وقال: إن تلک الأوسمة القرآنیة لیس لها مؤدی إعطاء الصلاحیة لذلک الطرف أبداً؟ وکذلک مواجهة من یرفع شعاراً حقاً لکنه یؤسس لبناء باطل کالخوارج، أو مقاتلة من یتمترس بالانتماء إلی الإسلام لکنه یبغی علی ولی الحق کما فی صفین. ومن کان یستطیع أن یُوجِدَ ویبنی فی وعی الأمّة مثل هذه البصائر لولا علی (ع)، ولولا ما قام به فی حرب الجمل، أو حرب صفین أو حرب النهروان، من کشف الاغتشاش والالتباس، والایهام، واللبس، والتشابه الواقع فی وعی البشر نتیجة التباس ما لیس بحجة مع ما هو حجة، أی إلتباس ما ربما له درجة من درجات الحجیة مع ما له درجة حجیة کبیرة.

وکذا الخوارج الجدد التکفیریون ترکوا محکمات القرآن ومحکمات السُنّة وضروریات الإسلام وتشبثوا بدلائل ظنیة واهیة وجعلوها

محوراً للدين فأقصوا ما هو محور وتشبثوا بما هو متشابه وبما لا تقوم له قائمة إذ الفرع والرافد لا يمكن أن يكون نهراً كبيراً ولا يمكن أن يكون منبعاً للنهر الكبير وإنما يبقى رافداً وفرعاً.

التوسل بالنبى وآله من الاختبارات فى البصيرة ...: ص: ٣٢٠

القرآن الكريم يأمرنا بأن نتوسل بالنبى وأهل بيته (عليهم السلام) قال تعالى: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ

تَوَّاباً رَحِيماً («١») لنرى ماذا تقول الآية هل تقول استغفروا أم تشترط شرطاً، نعم هناك شرط جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ فجاءوك باللغة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٢١

الدارجة تعنى: (دخيلك يا رسول الله) أى القرآن يقول التجىء، لذ، استعذ بالنبى (ص) وَما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ («١») فالرسول وأهل بيته (عليهم السلام) معاذ، ولواذ، وأمان بصريح الآية، وهذه فريضة عظيمة من فرائض الدين، ومع ذلك فإنّ الخوارج الجدد يحرمونه ويجحدونه ويكفرون به ويكفرون من عمل به، يقول الله تعالى فى وصف المنافقين: وَإِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ («٢») فنرى الدعوة تَعالَوْا إلى أين؟ ليلوذوا وليلتجئوا، بمن؟ يقول الله تعالى: يستغفر لكم الرسول.

ولكنهم لووا رؤوسهم ويعرضون ويصدون وهم مستكبرون. فهذه آيات بيّنة على فريضة ومشروعية التوسل، بل الآيات تدلل على ركنية التوسل، ولكن الجاحدين يتشبثون بالمتشابه ضالين مضلين، وقد وصف الخوارج بأنهم كلاب أهل النار لأنهم بلا هداية ولا نور وعدم رؤية منظومة الحجج وعدم ارتسامها عندهم بالشكل الصحيح، فالتوجه والالتجاء للرسول (ص) ولأهل البيت (عليهم السلام) من الامتحانات والاختبارات المهمّة فى البصيرة يمتحن الله بها الأمّة على مدى الأزمان والدهور.

وفاروق هذه الأمّة قسيم الجنّة والنار (ع) فرّق بين الحق والباطل فبيّن الحق للأمّة، فإنّ واقعة صفين والنهروان رسمت فى وعى الأمّة أن المسلمين أرادوا أن يفككوا فى التمسك بالقرآن الصامت ويتركوا القرآن الناطق، ولكن

فاروق الأمّة فتح فتحاً مبيناً وبنى وأسّس ولله الحمد فى وعى الأمّة أن القرآن الكريم ذو مراتب وحجج مترتبة، والتفكيك فى التمسك بالقرآن الصامت وترك القرآن الناطق ليس إلّا ضلالًا.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٢٢

فصرف كون الشىء دليلًا لا يكون مبرراً لاتّباعه منعزلًا عن بقية الأدلّة إلّا أن يكون ضمن كتلة ومجموعة دلائل ومراتب تحفظ حقيقة الدليل، فاتّباع البعض دون البعض ضلال وانحراف وغواية، واتّباع المجموع ضمن المراتب هداية.

يقول صاحب الجواهر: لو أراد فقيه أن يتبع ظواهر العمومات بلا- أن يرتب الأدلّة كمجموعة واحدة لكانت تلك العمومات تضره وتضله، وهل يفكك أحدٌ من المسلمين فى اتّباع بعض الكتاب وترك الآخر بعد أن ندد القرآن بالتجزئة والتفكيك، قال تعالى: الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ («١») أى لم يجعلوا القرآن كمجموعة وكتلة واحدة.

فلم ينسقوا ولم يناسقوا ولم ينسبوا، ولم يناسبوا، مجموعات الأدلّة بعضها مع البعض الآخر لتكون ككيان هرمى منظومى يشرف فيها الحجة والدليل الأقوى على الحجة والدليل الأضعف، قال تعالى: أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ («٢»)، فالإيمان بالبعض دون البعض الآخر ضلال عن الحقيقة.

فلو أراد فقيه أن يحكّم البعض دون البعض من قواعد الدين وسار على النظرة التجزئية كما ابتليت بذلك هذه الأمّة والأمم السابقة لتهدمت أركان الدين، واختل التوازن والتعادل واضطربت القواعد.

تعدد الرؤى والأنظار ينمى البصيرة ...: ص: ٣٢٢

ومن ذلك الظاهرة الواقعة فى المسار العلمى لدى أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بل حتّى المذاهب الإسلاميّة الأخرى وهو ما يعرف

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٢٣

بالنزعة الإخبارية والنزعة الأصولية ونحن لسنا هنا بصدد تصويب طرف دون طرف إلّا أن هاتين الظاهرتين خلقت حالة توازن فى النظرة العلمية، فأصحاب المسلك الإخبارى كانت لديهم تحفظات وكذا المسلك الأصولى فخلق هذا نوعاً من النضج فى الرؤية المتكاملة وإن استهلكت جهوداً وطاقات بل ربما فتن اجتماعية، وكذا أصحاب النظرة الفلسفية والكلامية والعرفانية والصوفية فى قبال نظرة الفقهاء والمفسرين وما نجم عن ذلك من مطارحات ومصارعات فكرية شديدة، فقرون مرت كانت هذه التجاذبات مؤثرة فى الفكر والرؤية ولكنها خلقت نظرة متوازنة محيطة ومجموعية وسطية، وولدت رؤى متكاملة لمجموع دلائل الدين كما ورد عن أبى جعفر (ع) قال: قال رسول الله (ص): «إن الدين متين فأغلوا (فأوغلوا) فيه برفق ولا تكرهوا عبادة الله إلى عباد الله، فتكونوا كالراكب المنبت الذى لا سفراً انقطع ولا ظهراً أبقى» («١») فالدين بحر غير متناهى والايغال فيه بسرعة وبحدة ودون نظرة متوازنة متكاملة فيه خطورة وإضلال للبصيرة، كما أن الايغال فيه برفق مع وجود تلك الفتن والامتحانات يقوى وينضج البصائر.

فالمعادلة المهمّة جدّاً هى الاستفادة من الفتن والامتحانات والاختبارات الإلهية لزيادة الوعى والبصيرة وإعمال القواعد العقلية وتحكيمها ووضع الأمور فى مواضعها، لئلّا نقع فى الضلال والزيغ.

تنوع الآيات امتحان للبصائر ...: ص: ٣٢٣

لننظر تعبير القرآن الكريم فى سورة آل عمران: هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٢۴

عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ («١») فإنّه يصنف الآيات القرآنية إلى آيات لها امومة ومحورية ومركزية وأخرى متشابهات ليس لها امومة، فالذين فى قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه، فذمهم القرآن لاتّباعهم هذا، وهذا من بديع حكمة القرآن أن يذم اتّباع الآيات التى أنزلها الله وحياً على نبيه لتكون قرآناً خالداً إلى يوم القيامة، ولكن ذلك لا لمطلق الاتّباع بل لاتّباع الآيات المتشابهة حيث جعلت لها الريادة والقيادة والامومة والمركزية، فإنّ جعل ذلك لها فيه إضلال، فإذا كان القرآن يذم اتّباع تلك الآيات فماذا نتبع؟

نتبع آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ امّ الكتاب أى امومة ومحورية الآيات المحكمات، وإلّا فاتّباع الصنف الدانى دون اتّباع الصنف العالى الذى له المحورية يضل الطريق والمنهاج، فالقرآن يقول بأن اتّباع الآيات المتشابهة دون المحكمات يكون إضلالًا.

وهذا منهج قرآنى يبين لنا معادلة خطيرة وعظيمة، وهى أن منظومة الحجج منظمة فى درجات وسلم هرمى يجب ألّا يفقد الأعلى باتّباع الأسفل، فيجب التمسك بالدانى فى ظل وهيمنة العالى، فإنّ اتّباع الدانى فى غير هيمنة ما هو أعلى يكون إضلالًا، لأنّ طبيعة القرآن عبارة عن حقيقة ومنظومة متماسكة وليست متشتتة ومبددة، وإن اتّباع المتشابه

دون الاستمساك بالمحكم تبديد لمنظومة وحقيقة القرآن الكريم، كما يقول عزّ من قائل فى محكم كتابه الكريم أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ («٢») فالحفاظ على تلك المنظومة متماسكة هو إبقاء هيمنة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٢۵

ومحورية ما هو أقوى حجية على ما هو أضعف، فإنّ رايات الضلال والإضلال والزائفات والفرق المنحرفة تنشأ بسبب فقد البصيرة فى هذه المعادلة المهمّة، وهى أن الحجج ذات مراتب يجب حفظ محورية المحكمات والامهات ومراتب الدلائل.

ومن هـذا الـذم ذم النصارى واليهود فى اتّباعهم الحس مع أنه من مصادر اليقين البـديهى، لأنهم اتّبعوا الدانى وتركوا ما هو أعلى وهو الاعجاز الذى بينه القرآن الكريم على يد النبى عيسى (ع) حيث أخبرهم أنه سيبقى حيّاً ويكون وزيراً وتابعاً للإمام الثانى عشر الخليفة والوصى لخاتم الأنبياء، فتركوا ما هو أكثر برهانيةً ويقيناً ودلالةً واتّبعوا ما هو أضعف يقيناً، ومما يشهد لتراتبية الحجج ما نلمسه ونشاهده من إعداد وتعبئة للقاعدة الجماهيرية المهدوية من خلال تجنيد الكوادر الأيمانية الملتهبة والمتلهفة فى مسار أهل البيت لا ما روى فقط من أن الإمام المهدى (ع) هو الذى ينصر الإمام الحسين (ع)، فإنّ سيد الشهداء (ع) كما روى أيضاً هو السفينة الأوسع والأسرع فى لجج البحار وهداية القاعدة الجماهيرية لتحقيق دولة العدل الإلهية دولة ابنه الإمام المهدى (ع)، هذا التجنيد الحسينى للبشر فى كل مكان وحتّى من غير المسلمين تهوى قلوبهم انعطافاً وانجذاباً لقضية سيد الشهداء، ولهذا فإن التلألؤ الشفاف والجمال لسيد الشهداء (ع) هو الذى يعد العدة لابنه وهو الذى ينصره.

أصحاب الكساء ركن المهدوية ...: ص: ٣٢٥

فإنّه لا تقوم للإمام المهدى قائمة دولة ولا عمود دولة بلا سيد الشهداء ولا يمكن استبعاد مشروع سيد الشهداء، فالذى يعّد ويبنى ويحفظ قاعدة وأساس دولة الإمام المهدى (ع)، هو قضية سيد الشهداء (ع)، فمعنى أفضلية الإمام الحسين على الإمام المهدى، بل وأفضلية

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٢٦

الخمسة أصحاب الكساء على الإمام المهدى هو أن مشروع الإمام المهدى (ع) العظيم والعالمى لا يمكن فيه استبعاد سيد الشهداء ولا يمكن استبعاد الخمسة أصحاب الكساء.

فلا يمكن لأدبيات الدولة المهدوية العالمية أن يستبعد فيها منهاج وهدى ونور على بن أبى طالب ونور الزهراء ونور الحسن المجتبى ونور الحسين (عليهم السلام).

فهذه هى البصيرة فى مراتب الحجج، فالدين كتلة واحدة متماسكة إنْ حَكَمَ ما هو أعلى إلى ما هو أدون رست وانضبطت وتمنهجت منظومة الدين ككتلة واحدة وكجسم واحد.

فالفتن والامتحانات على اختلاف أشكالها وأنواعها وشدتها توقض فى الأمّة الوعى والبصيرة، وبالنتيجة يتبين من خلالها البصيرة المستقيمة والوعى العالى كما تتبين الانحرافات والزيغ وإلّا فمن دون توسط الفتن والامتحانات لا مائز بين أنحاء البصائر ومراتب الوعى فالفتن محك البصيرة.

طريق تخطى فتن البصائر ...: ص: ٣٢٦

من الأمور المهمّة جدّاً والمصيرية والحساسة أن نعرف طريق

التخطى والتخلص من زلة الافتتان والنجاح فى امتحان البصائر أو انزلاق الافتتان فى المعرفة.

وهو بنحو إجمالى الركون إلى الدليل وإلى ما هو حجة، وأما بنحو تفصيلى فالأمر يحتاج إلى الكثير من التأمل والتدبر والمحاسبة إذ كيف يميّز الإنسان بين ما هو دليل وحجة وبين ما ليس هو دليلًا وحجةً

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٢٧

وهذا الأمر يتطلب تثبتاً وتحرياً ودراسةً ومعرفةً وسعياً فكرياً حثيثاً لأن الالتباس والزيغ والتشابه إنما ينجم ويحصل من تشابه ما ليس بدليل فى مرحلة ما مع ما هو دليل فى نفس تلك المرحلة، وتشابه ما ليس بحجة فى مرتبة ما مع ما هو حجة فى نفس المرتبة، وكما مرت بعض الأمثلة من تشابه الأدلّة فى مراحلها المختلفة كاعتماد الحس فى قبال الإعجاز وغيرها مما استعرضها لنا القرآن الكريم،

ولیس هذا التشابه بالتشابه السهل الیسیر.

حقیقة التباس الحجج ...: ص: ۳۲۸

ربما لا یتصور البعض کیف یتشابه ویلتبس الدلیل مع ما لیس بدلیل أصلًا؟
وفی الحقیقة لیس الأمر کذلک، فکثیراً ما یتشابه ما یکون دلیلًا فی بعض الأحوال وفی بعض المراتب وفی بعض المراحل مع ما هو دلیل بدرجة أرفع ودرجة أعلی وأقوی بلحاظ نفس تلک الأحوال والمراتب والمراحل.
أما تشابه الدلیل مع ما لیس بدلیل أصلًا أی ما لیس فیه شأنیة واقتضاء الدلیلیة فهذا لیس بالأمر الصعب ولیس بالأمر الشائک ولا بعسیر التمییز وإنما الصعوبة تکمن وتنجم من التباس ما هو دلیل فی بعض حالاته ولیس بدلیل فی بقیة الحالات مع ما هو دلیل بدرجة أرفع وأعلی، فینجم الاشتباه والالتباس والتعمیة بین ما هو دلیل من درجة دانیة مع ما هو دلیل من درجة عالیة، ویحصل الالتباس بین ما هو دلیل بدرجة متوسطةٍ وضعیفةٍ، مع ما هو دلیل من درجة قویة وشدیدة وعالیة،
دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۲۸
فیستبدل الضعیف بالشدید، ویستبدل الدانی بالعالی وهذا هو الذی یقع فیه الالتباس.
فلیس المنقذ من ظلامیة الفتن والاثارات فی البصیرة والمعرفة هو فهم ومعرفة أصل حجیة الحجة بل هو معرفة منظومة الحجج وتراتبیتها ومرتبة کل حجة فی تلک المنظومة.
وربما یقال: کیف یکون الدلیل الضعیف لیس بدلیلٍ بقولٍ مطلق، والدلیل الذی هو بدرجة متوسطة کیف لا یکون دلیلًا بقول مطلق؟ ما هو دلیل بدرجة دانیة أو دلیل بدرجة وحجة متوسطة لو جعل فوق مرتبته لکان فیه غوایة وإضلال وعمایة.
إذ بعض الظُلَم والمسارات المظلمة لا یکفی فیها نور خفیف، بل لا بدَّ من نور مجهز مسلح ونور شدید، فإنّ بعض الظلم والمتاهات الحالکة شدیدة الستار وشدیدة الظلمة لا یمکن أن یقتحمها إلّا نور شعشعانی شدید، وهو الحجة القویة والبرهان القوی بحیث أن الاهتداء بالنور الضعیف یتسبب بالغوایة والضلال والزیغ عن الصراط المستقیم فلأنه نور ضعیف فهو یُشِبه ویشبّه ویلبس الطریق، فإنّ النور الضعیف یری ما لیس بجادة جادة ویری ما لیس بطریق طریقاً فیلبس المسار
ویعمی السائر!

اتّباع بقیة الأنبیاء فی زمن سید الرسل ضلال ...: ص: ۳۲۸

فی روایة رواها الفریقان أن النبی (ص) قال: «لا تسألوا أهل الکتاب عن شیء، فإنّهم لن یهدوکم وقد ضلوا، وإنکم إما أن تصدقوا بباطل وإما أن تکذبوا بحق، وإنه والله لو کان موسی حیّاً بین أظهرکم ما
دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۲۹
حل له إلّا أن یتبعنی» («۱»)، وفی بعض الأحادیث: «لو کان موسی وعیسی حیین لما وسعهما إلّا اتّباعی» («۲») وفی حدیث آخر أنه (ص) قال: «والذی نفسی بیده لو أصبح فیکم موسی (ع) ثمّ اتّبعتموه وترکتمونی لضللتم» («۳») فإن موسی فی هذه الفقرة الحساسة «لما حلّ له إلّا أن یتبعنی»، «لضللتم» فإنّه نبی من أولی عزم کیف لا یتبع ما یوحی إلیه، بل اتّباعه ضلال إذا لم یکن ضمن ما یوحی لسید الرسل (ص)!
فهو معصوم ومرسل ونبی ولیس فی الأنبیاء زلل ولا خطل فلا ریب أن الأنبیاء متبعون ولکنهم هل یتبع بعضهم بعضاً؟

جمیع الأنبیاء علی دین الخاتم ...: ص: ۳۲۹

بعبارة أخری یذکر المختصون أن الأنبیاء بعد إبراهیم (ع) کانوا علی ملّة إبراهیم (ع)، والکثیر یبحث أن سید الأنبیاء (ص) من أوّل حیاته إلی الأربعین من عمره علی أیّ ملّة کان؟

یذهب البعض أنه (ص) کان علی ملّة إبراهیم (ع) وهذا التعبیر مجحف

فی حق سید الأنبیاء فکل الأنبیاء کانوا علی دین محمّد (ص) ولیس هو (ص) علی دینهم بل هم علی دینه، قال تعالی: وَوَصَّی بِها إِبْراهِیمُ بَنِیهِ وَیَعْقُوبُ یا بَنِیَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفی لَکُمُ الدِّینَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ* أَمْ کُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ یَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِیهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِی قالُوا نَعْبُدُ إِلهَکَ وَإِلهَ آبائِکَ إِبْراهِیمَ وَإِسْماعِیلَ وَإِسْحاقَ إِلهاً واحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ («۴»)، فالرسل أوّل ما یبلغون اممهم بعد توحید

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۳۰

الله نبوة سید الأنبیاء ووصایة سید الأوصیاء، هذا البحث دلّت علیه آیات فضلًا عن الروایات، وقد أشار إلیها أهل البیت (علیهم السلام) أن جمیع الأنبیاء بُلّغوا بنبوة سید الأنبیاء وبوصایة سید الأوصیاء، فکانت الأنبیاء جمیعاً علی دینه (ص)، وأوّل أصل من أصول الدین الذی بلغت به الأنبیاء هو التوحید، وثانی أصل لیس الاقرار بنبوتهم بل الاقرار بنبوة سید الأنبیاء وبوصایة سید الأوصیاء ثمّ بنبواتهم، فلا یستبدون بما یوحی إلیهم عن اتّباع سید الأنبیاء، لذا جاء هذا التعبیر فی الحدیث الشریف: «لو کان موسی وعیسی حیین لما وسعهما إلّا اتّباعی» («۱») إذ کان ما یوحی إلیهما فی الواقع یقودهما إلی اتّباع سید الأنبیاء.

هذا یرسم لنا أن حجیة سید الانبیاء تعلو وتعظم حجیة موسی وعیسی (ع) بل حجیة جمیع الرسل، وفی إحدی الزیارات لسید الشهداء (ع) («۲») والأدعیة وأیضاً بعض الزیارات لأمیر المؤمنین أن الحکمة أقرّت بنبوة سید الأنبیاء قبل أن تثبت وتدلل المعاجز علی نبوته، والتعبیر بالدعاء یعنی برهانیة وبیانیة ودلائل نبوة سید الأنبیاء، وهی بدرجة مفعمة ومرکزة من قبل الباری تعالی بحیث لا یستطیع أیّ حکیم

أو عاقل أن ینکرها، فإنّه یشاهد المعجزات من سید الأنبیاء ودلائل نبوته ذات مساحة عظیمة جدّاً قال تعالی: وَما أَرْسَلْناکَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِینَ («۳»).

والمستفاد من الأدلّة کما سیأتی بیانه أن للحجج مراتب بحیث لو استعملت حجیة التی هی فی دائرتها المحدودة حجة خارج تلک المحدودیة والدائرة ووضعت فی غیر مکانها لکانت ضلالًا، ولکانت

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۳۱

تشریعاً محرماً، ولکانت بدعة فی الدین، نعم لو أزیلت وأقصیت عن مقرها ومنطقتها وعن درجتها لکانت خطأ أیضاً، فإنّه لا إفراط ولا تفریط فی الحجج بل کل من الحجج بحسب مرتبتها.

هذا هو عصب البحث وبیت القصید، فالحجج کمجموعة لها منظومة تسلسلیة ذات حلقات ودرجات إن لم یحافظ ویتحفظ علیها تکون الفوضویة فی تلک المنظومة، ویختل نظامها فإنّ أحد الاشتباهات الکبیرة والعمیقة التی وقع فیها الخوارج خوارج ذلک الزمان معروفون وخوارج العصر هم التکفیریون هو تمسکهم ببعض الحجج ذات المراتب الدانیة، وترکهم الحجج العالیة، وهذا یسبب ضلالًا ویا له من ضلال، فهم رفعوا شعاراً (لا حکم إلّا لله) وهو شعار صحیح ولکن کیف یدبلج ویترجم لیکون تطبیقه فی محله، فإنّ حاکمیة الله فی التشریع هی الاقرار بالنبوة وحاکمیة الله فی السیاسة والقیادة هی الأقرار بالإمامة، لأن الإمامة عبارة عن توحید الله فی الحاکمیة فإنّنا نقول بأن الإمام شخص منصوب من قبل الله تعالی یتلقی أوّلًا بأوّل برامج الحکم والإمامة عن الله (عزوجل)، وحیث أنهم تمسکوا بظاهر الکتاب وترکوا کثیراً من المحکمات ضلّ بالخوارج الطریق.

فلکی نکون فی خلاص ومأمن من الفتن فی البصیرة ولا نقع فی

التباسات وتخالطات الحجج لا بدّ أن تکون منظومة الحجج لدینا واضحة ومفهومة ومرتبة بالترتیب الصحیح، کما لا بدَّ من الالتفات

إلى مدى حجية كل حجة، أى مساحة حجيتها، لكى تحكم فى تلك المساحة وتحكم غيرها فى مساحة أخرى، وهكذا، فحينئذٍ نكون فى مأمن من الفتن ولا نقع فى الزيغ والعياذ بالله.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٣٥

الفصل الرابع: حقيقة ومراتب الحجج ... ص: ٣٣٥

حقيقة معرفة الحجج ...: ص: ٣٣٥

الحكمة هى وضع الشىء فى محله وموضعه، وهذا فرع معرفة محل وموضع ذلك الشىء وإلّا لما أمكن وضعه فيه، وبعد معرفة موضع ومحل الشىء فإنّ الحق هو عدم مخالفة ذلك وعدم التقصير والغلو فيه، فإنّ الغلو آفة كما أن التقصير آفة أيضاً، فكل من الافراط والتفريط زيغ.

إذاً لا بدَّ من معرفة أصل حجية الحجة ولا بدَّ من معرفة مرتبة حجية الحجة فى منظومة الدين وهذه من المعادلات المصيرية المهمّة فى دفع غائلة الافتتان فى البصيرة والمعرفة وهو معرفة مراتب الحجية، وأن معرفة مراتب الحجية هو فى الحقيقة مساوٍ ومساوق لأصل معرفة حجية الحجج، فإنّ معرفة أن الشىء حجة من الحجج غير كافٍ للاعتماد والاستناد عليه كدليل وحجة، بل لا بدَّ فى حقيقة معرفة حجية الحجة معرفة مرتبة حجيتها من بين منظومة الحجج، يعنى هل أنها فى مرتبة حجية أولى أم ثانية أم ثالثة ... وحقيقة ذلك أى حقيقة معرفة مرتبة الحجة أن يُعلمَ أن كل دليل ودلالة وحجة هى حجة فى مرتبتها ولا ترقى لتكون دلالة وحجة فى المراتب الصاعدة، فهى ليست بحجة فى غير مرتبتها.

فمثلًا حجة وبينة من المرتبة الرابعة لا يمكن أن يصاعد بها إلى المرتبة الثالثة، أو لو كانت من المرتبة الثالثة لا يمكن أن يصاعد بها إلى المرتبة الثانية وهلم جراً، وما ذلك إلّا لأنّ مراتب الحجية فى الحقيقة هى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٣۶

من قوام ذوات الحجج نفسها.

وبعبارة أخرى إن مراتب الحجية تساوق وتساوى أصل اعتبار حجية الحجة ضمن منظومة الحجج.

مثلًا خبر الآحاد حجة من الحجج، ولكن مرتبة حجيته لا تنهض فى الحجية لمقاومة الخبر المستفيض لأن الخبر المستفيض أقوى حجية، أى أن الخبر المستفيض ذو مرتبة أعلى من خبر الآحاد فى الحجية وإن كان خبر الواحد صحيحاً، وكذلك الخبر المستفيض لا ينهض ولا يمكن أن يتصاعد فى حجيته لمقاومة ومناهضة ومجاذبة الخبر المتواتر لأن الخبر المستفيض ذو مرتبة أدون من مرتبة الخبر المتواتر، فى الحجية وهلم جراً، وهذا معنى تراتبية الحجج.

معنى المتشابَه ...: ص: ٣٣۶

ومن هذا القبيل وصف القرآن التمسك بالمتشابَه بأنه زيغ أو سبب للزيغ لأن التمسك بالمتشابَه فى مرتبة حجية المحكم هو تصاعد بالمتشابَه إلى مرتبة أعلى وهى مرتبة المحكم.

ربما يُظن أن المتشابه هو الذى ليس لديه دلالة أو حجية فى نفسه، مع أن الحال ليس كذلك فإنّ التمسك بالمتشابه هو تمسك بالحجية الأضعف فى مرتبة دليل وحجية أقوى.

وبعبارة أخرى إن نبذ الدليل فى مرتبته والعمل بدليل وحجة من مرتبة أدون هو تمسك بالمتشابه، إذن المحكم والمتشابَه أمرٌ نسبى

ولیس أمراً ذاتیاً، فالمحکم هو کل دلیل وحجهٔ أقوی ومهیمنهٔ ومشرفهٔ علی حجهٔ أضعف وأن التمسک بالمحکم هو العمل بالحجهٔ والدلیل فی

دعوی السفارهٔ فی الغیبهٔ الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۳۷

مرتبته والتمسک بالمتشابه هو عمل بالحجهٔ والدلیل فی غیر مرتبته أی فی مرتبهٔ أعلی من مرتبته.

فذم القرآن النصاری لتمسکهم بالحس مع أنهم رأوا قتل وصلب النبی عیسی (ع) لأن الحس لا- يناهض ولا يصاعد به لمقاومهٔ الاعجاز، فالتمسک بالحس فی قبال الاعجاز هو تمسک بالمتشابه فی قبال المحکم.

ومن اتّباع المتشابه ما وقع فیه بنوا إسرائیل من اتّباعهم للحس وهو العجل الذی له خوار وترکهم للبدیهة العقلیهٔ الیقینیهٔ وهی أن الإله لا یکون جسماً ولا- یکون مغلوباً علی أمره وأنه مؤثر مطلقاً، وإن کان الحس یقینیاً إلّا أن المحسوس مؤثراته ضعیفهٌ فی قبال مؤثرات المعلوم من الأوّلیات والفطریات العقلیهٔ.

الحس یقین وظن ...: ص: ۳۳۷

بل إن القرآن الکریم یعبر عن الحس فی مثل ذلک بالظن وهذا من الظرائف العلمیهٔ للقرآن الکریم إذ کیف یصف القرآن الحس بأنه ظن مع أن الحس من البدیهیات والیقینیات؟

وما وصف القرآن للحس بأنه ظن إلّا لأنه صوعد به إلی درجهٔ أعلی من مستواه فیعبر القرآن الکریم عنه حینئذٍ بأنه تمسکٌ بالظن.

ثمّ یقول القرآن الکریم إن الظن لا یغنی من الحق شیئاً وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِیحَ عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلکِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِینَ اخْتَلَفُوا فِیهِ لَفِی شَکٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ وَما قَتَلُوهُ یَقِیناً («۱») فالقرآن الکریم سماه اتّباعاً للظن مع أنهم رأوه بامّ أعینهم مقتولًا مصلوباً.

دعوی السفارهٔ فی الغیبهٔ الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۳۸

نعم الحس یقین ضمن دائرته المحدودهٔ، وأما لو حاولنا توسیع هذه الدائرهٔ لنتمسک بالحس فی تلک الدائرهٔ الوسیعهٔ فحینئذٍ یکون التمسک تمسکاً بالظن ولیس تمسکاً بالیقین.

وبمثال حسی مقرب لو کان عندنا مصباح ذو درجهٔ (۱۰۰ واط) فإذا أرید له أن یضیء فإنّ إضاءته فی دائرته المحدودهٔ إضاءهٔ جیدهٔ، ویمکن أن تستعلم الأشیاء فی ضمن تلک الدائرهٔ بذلک الضوء، أما إذا أرید له أن یضیء مساحهٔ أکبر ودائرهٔ أوسع فإنّ نوره یکون متشابکاً مع الظلام فیضعف نوره والنور عندما یضعف یصیر کالظلمهٔ، فالاستصباح بمصباح لیس ذا قوهٔ شدیدهٔ لا یری إلّا مساحهٔ قریبهٔ، أما البعد الشاسع فلا یری بالنور الضعیف، ونفس ذلک النور یلبس ویشبه الأشیاء فی البعد الشاسع والدائرهٔ الأوسع، بل فی دائرته المحدودهٔ أیضاً لو ارید الإبصار به للأشیاء النواعم الظریفهٔ لکان خارج عن قدرته وصلاحیته.

إذاً المتشابه فی المفهوم القرآنی للحجج لیس بمعنی أن الشیء بما هو هو لیس بحجهٍ، ولیس الظن المریب بالمفهوم القرآنی وأن الشی بما هو هو لیس بیقین، إنما الشیء فی نفسه لیس بحجهٔ أو لیس بیقین إذا کان التمسک به فی مقابل حجهٔ أقوی منه فیکون ظناً ویکون متشابهاً أی یجعل الحقائق متشابهةً، کما أن النور الضعیف یشبه الأشیاء عندما یستضاء به فی طریق یحتاج لنور قوی لنفس النکتهٔ وهی الحفاظ علی تراتبیهٔ الحجج.

لا تقاطع ولا إقصاء فی الحجج ...: ص: ۳۳۸

منظومهٔ الحجج هی مجموعهٔ من الحجج مرتبهٔ ومنظمهٔ بشکل خاص ووفق موازین خاصهٔ وبهندسهٔ إلهیهٔ محکمهٔ، ولهذه المنظومهٔ

دعوی السفارهٔ فی الغیبهٔ الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۳۹

عدة خصائص ومیزات من أهمها أن لکل حجة مساحة خاصة تکون هی المحکمة فیها دون غیرها من الحجج الأخری، وبالتالی فاعطاء الحجیة لحجة ما لا یعنی سلب الحجیة عن أخری، ولا یعنی أنهما قد یتقاطعان أو یتضاربان، بل بمقتضی هذا النظم الخاص فی الحجج لیس هناک إقصاء لأیّ حجة وإن کانت هناک حجة أعلی منها، وما ذلک إلّا لتعدد المساحات.

فمثلًا حجیة النواب الخاصین لا تقصی حجیة الفقهاء أو النواب العامین، فضلًا عن کونها لا ترقی ولا وتعلو حجیة المعصوم، فالسفراء الأربعة للإمام المهدی (ع) وهم العمری وابنه والحسین بن روح ومحمّد بن علی السمری (رض) کانت لهم حجیة بلا إشکال وهذه الحجیة تأتی بعد حجیة الإمام فهم الباب للإمام وهذا واضح.

ومما یشهد لعدم التقاطع والإقصاء ما ذکره الشیخ الطوسی فی کتاب الغیبة حیث قال: (أنفذ الشیخ الحسین بن روح (رض) کتاب التأدیب إلی قم وکتب إلی جماعة الفقهاء بها وقال لهم: أنظروا فی هذا الکتاب، وانظروا فیه شیء یخالفکم؟

فکتبوا إلیه إنه کله صحیح، وما فیه شیء یخالف إلّا قوله: فی الصاع فی الفطرة نصف صاع من طعام، والطعام عندنا مثل الشعیر من کل واحد صاع) («۱»).

فإنّ النائب الثالث الحسین بن روح النوبختی (رض) کتب مجموع الروایات التی رواها عن رواة أصحاب الأئمّة فی الفقه فی کتاب ثمّ

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۴۰

عرضها علی فقهاء ورواة ومحدّثی قم، لأنّ قم کانت مرکزاً للأشاعرة الذین نزحوا من الکوفة بایعاز من الإمام الصادق (ع) کی تکون هناک تعدد دوائر ومنابع لمدارس أهل البیت (علیهم السلام).

وبعد عرض کتابه علیهم خطّأوه فیما رواه فی زکاة الفطرة، حیث روی أن زکاة الفطرة نصف صاع، فقال فقهاء قم له: إن الفطرة فی مذهب أهل البیت (علیهم السلام) هی صاع ولیست نصف صاع.

وهذه الروایات التی جمعها النائب الثالث فی کتابه وعرضها علی رواة ومحدّثی قم لم یکن قد نقلها عن الإمام الثانی عشر (ع)، وإنما هی مجموع الروایات التی رواها عن أصحاب الأئمّة السابقین، وإلّا فما ینقله عن الإمام الثانی عشر کیف یصححه غیره، فهو سفیر الحجة ولا- یعقل عرض روایات الإمام الثانی عشر علی غیر السفیر لیصححها، وإنما تلک الروایات نقلها عن الرواة والصحابة للأئمّة السابقین، ومن هذه الجهة أی کون النائب الثالث یؤدی عن رواة الأئمّة فإنّه کشأن بقیة الرواة قد یصیب وقد یخطئ لذلک خطّأه فقهاء قم.

وهذا حصل من النائب الثالث لأن دائرة حجیة النواب والسفراء فی دائرة ومساحة لا تتقاطع مع دائرة حجیة الفقهاء ولا تلغیها، کما أن حجیة الفقهاء فی الغیبة الصغری لم تکن تتقاطع وتتنافی وتتصادم مع حجیة السفراء والنواب الأربعة فکل له دائرته ومساحته، فمساحة حجیة النواب مساحة غیر مساحة حجیة الفقهاء ولا تلغی إحداهما الأخری ولا تقاطعها.

کما أن حجیة النواب لا تعلو المساحة والدائرة المحدودة الخاصة بهم، فهم وإن کانوا نواباً خاصین بحق وصدق لا بزیف کما هو الحال فی الدعوات الباطلة إلّا أن دائرة حجیتهم محدودة.

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۴۱

حجیة الفقهاء فی دولة الظهور ...: ص: ۳۴۱

والکثیر ربما تسوّل له نفسه أن حجیة الفقهاء ملغاة فی دولة الظهور للإمام المهدی (ع)، وهو تفکیر عجیب وغریب!!

فإنّ صلاحیات الفقهاء وحجیتهم وإن کانت محدودة لکنها تبقی فی ظل وهیمنة دائرة حجیة المعصوم، لذا لم یکن دور الفقهاء ملغیاً فی دولة الرسول (ص) فإنّ قوله تعالی: وَما کانَ الْمُؤْمِنُونَ لِیَنْفِرُوا کَافَّةً فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ کُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِیَتَفَقَّهُوا فِی الدِّینِ وَلِیُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَیْهِمْ لَعَلَّهُمْ یَحْذَرُونَ («۱») تشیر إلی دور ومنصب الفقهاء فی زمن دولة الرسول (ص)، والرسول (ص) أعظم من

الإمام، فإذا لم يلغَ دور الفقهاء فی دولة الرسول (ص) كيف نتصور إلغاءه فی دولة المهدی (ع).

وهكـذا لم يلغَ دور الفقهاء فی دولـة أمير المؤمنين (ع) وهو أعظم من الإمام المهدی (ع)، ولم يلغَ دور الفقهاء فی دولة الإمام الحسـن المجتبی (ع) وهو أعظم من المهـدی (ع)، وهكـذا جميع الأئمـّة من الإمـام الحسـين (ع) سـيد شـباب أهـل الجنّـة إلی الإمـام الحسـن العسـكری (عليهم السـلام) لم يكن هناك أیّ إلغاء وإقصاء لـدور الفقهاء، فكيف نتصور إلغاء أو إقصاء فی دولـة الإمام المهدی (ع)، فـإنّ الكوفـة فی عهـد الإمام الصادق (ع) كانت تعـج وتضـج بالفقهاء، بل ويكثر فيها بيوت المرجعيـة كزرارة حيث كان بيتاً من بيوت المرجعية فی الكوفة، وهكذا محمّد بن مسلم وعمّار بن موسی الساباطی وهشام بن الحكم

دعوی السفارة فی الغيبة الكبری(٢)، ج٢، ص: ٣٤٢

وبريـد بن معاويـة العجلی، فـإنّ البـاقر (ع) يقول لأبـان بن تغلب: «إنی أحب أن يُری فی أصـحابی مثلـك، أجلس فی المجالس وافتِ النـاس» («١»).

فإنّ الرسول (ص) والمعصومين (عليهم السلام) عموماً وإن كانوا علی أعلی مستويات العصمة والقيادة والعلم و ... ولكنه بحكم الحياة البشـرية لا يرتبطون حساً مع كل فرد بشـری من أفراد المجتمع؛ لذا لا بدَّ من جهاز وذراع وأيدی لاتصالهم بالقواعد الجماهيرية، وهذا الجهاز قد حدّده الله تعالی وهو الفقهاء، فهم أيدی وسواعد المعصوم، فمن يتفقه للدين ويكون ورعاً تقياً فهذا هو دوره بنص وفريضـة من الله، أی يجعل عوناً من أعوان المعصوم وإصبعاً من أصابع المعصوم وخادماً من خدام المعصوم، وهذا فرض من الله (عزوجل) وأن هـذه الآيـة آيـة النفر لا ـ تنسـخ بل سـتظل خالـدة إلی يوم القيامـة، فمن ذا الـذی تسوّل له نفسه أن يقول: إن هناک قطيعـة بين الفقهاء الصـالحين العـدول وبين مسـار المعصـومين، وإلّا لو لم يعتمـد المعصوم علی الفقهـاء والعلمـاء و ... فمن يكون المعين له ومن يكون ساعده وذراعه وواسطته للناس؟! أيعقل أن يكون الجهال والعياذ بالله هم سواعد المعصوم ورابطته بالناس، وإنما أمره الله تعالی

،،،،،،،

دعوی السفارة فی الغيبة الكبری(٢)، ج٢، ص: ٣٤٣

باتخاذ العلماء ومن يكون ذا كفاءة فی الفقه والتفقه لا الجهل والجهالة أمناء علی شريعتهم ودين الله.

لذلک قال جعفر بن محمّد (ع): «علماء شيعتنا مرابطون فی الثغر الذی يلی إبليس وعفاريته، يمنعونهم عن الخروج علی ضعفاء شيعتنا، وعن أن يتسـلط عليهم إبليس وشـيعته النواصب، ألا فمن انتصب لذلک من شـيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترک والخزر ألف ألف مرة، لأنه يـدفع عن أديان محبينا، وذلک يـدفع عن أبدانهم» («١») أی ثغور المعرفة وثغور البصـيرة، فلا يسـتطيع أصحاب الدجل والعـداء والحيـل والزيـف والباطـل أن ينفـذوا إلی حومـة الـدين مـا دام جنود المعصومين موجودين وهـم الفقهـاء، فـإنّهم وإن كـانت حجيتهم نقطـة فی محيطات سـماء المعصومين (عليهم السـلام) ولكن هـذه النقطة هی نظام جهاز المعصومين بهندسة وتخطيط من الله (عزوجل)، لأن الله (عزوجل) أراد لهذا الجهاز أن لا يخترق وأن يكون حصـيناً، لذلک قال أئمّة أهل البيت: «الفقهاء حصون الإسـلام» («٢»).

فالمعصوم لا بـدَّ أن يتخذ حصـناً وأعواناً له يعينوه بنص الآية الكريمة آية النفر قال تعالی: وَما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِی الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ

دعوی السفارة فی الغيبة الكبری(٢)، ج٢، ص: ٣٤٤

يَحْذَرُونَ («١») لـذلک لم تلغ حجيـة الفقهاء فی الغيبة الصـغری وفی ظل نيابة السـفراء الأربعة، إذ هو نظير الدائرة أو الوزارة فيها مدير ورؤسـاء شـعب وموظفون وعمـال وكـل له دائرة عمـل خاصـة لا تتقاطع مع دوائر عمل الآخرين، أو نظير الوزارات والـدوائر المتعـددة تحت ظل رئاسة موحّدة للوزراء.

فـإنّ السـفراء الأربعـة فی الغيبـة الصـغری نظير الوزير والوزارة فلهم مسؤوليات معينـة لا تتقاطع مع مسؤوليات الإمام (ع) ولا تتقاطع مع

مسؤوليات الفقهاء الباقين، فإنّ حجية النواب والسفراء فى الغيبة الصغرى لم تكن حجية مطلقة بل هى محدودة، أما فى الغيبة الكبرى فقد قامت الدلائل والبراهين على بطلان كل مدّعى للسفارة والنيابة الخاصة، وإنْ كان للمهدى (ع) فى دولة الظهور ولاة ونواب خاصون وهم أصحابه الثلاثمائة والثلاثة عشرة كما سيأتى بيان ذلك.

وهكذا الفقهاء الباقون من غير السفراء سواء كانوا فى الغيبة الصغرى أو الكبرى، وحتّى فى زمن الظهور فإنّ لهم مهاماً ومسؤوليات غير مهام ومسؤوليات الإمام (ع) وغير مسؤوليات السفراء، ولا يُتصور إلغاء أىّ من الحجج لحجة أخرى، فكما لا تقاطع فى النظم الإدارية كذلك لا تقاطع فى مراتب الحجية وتراتب الحجج.

ولذلك نلاحظ ترحم الإمام المهدى (ع) على على بن بابويه والد الصدوق (رض) وعلى غيره من الفقهاء مع أنهم لم يكونوا سفراء ولا نواباً خاصين وإنما كانوا فقهاء فحسب.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۴۵

وهكذا لم نلاحظ أحداً من السفراء (رض) حاول إلغاء دور الفقهاء، بل على العكس كما لاحظنا موقف الحسين النوبختى (رض) فى عرض كتابه على فقهاء قم، وما ذلك إلّا لعدم تقاطع الأدوار والمسؤوليات والحجج وأن الفقهاء وزراء معيّنون من قبل الله تعالى كخدام وأنصار للأئمّة (عليهم السلام)، إذ لما كان الأئمّة (عليهم السلام) يحتاجون للمعين والناصر فى نشر وإرساء الدين الإسلامى، فمما لا ريب فيه أن يكون الناصر والمعين لهذه المهمة من الشرفاء النجباء الحلماء العلماء الاتقياء الصلحاء ... لا من أىّ جنس ونوع كان، قال تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ («۱»).

امومة بديهيات العقل فى المعرفة ...: ص: ۳۴۵

نعم، لو قلبت المقاييس وألغينا العقل أمكن كون أعوان وأنصار الأئمّة من المفضولين والجهّال...

ولكن كيف ذلك؟ فإذا كان الله تعالى يستدل على ألوهيته بأنه ليس بظلام للعبيد أى كأنه يقول استشرفوا واستكشفوا الوهيتى بعدالتى وعدم مخالفتى لبديهيات العقل! فكيف نلغى العقل ونعمل خلاف الموازين العقلية فى اختيار وانتخاب أنصار وأعوان الأئمّة (عليهم السلام) فى نشر دين الله تعالى؟!، وإلّا فإنّ جعل أعوان الإمام (ع) من غير الفقهاء بأن يكونوا جهّالًا هو عين المخالفة لبديهيات العقل، إذ العقل حاكم بوجوب تقديم العالم وأهل الاختصاص والخبرة والنخبة ووجوب الاعتماد على الفقهاء فى نشر الفقه.

من هنا نفهم سذاجة البعض المتشبّث بمتشابه دلالة الروايات

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۴۶

والتى لا سند لها، حيث يقول بأن المهدى المنتظر (ع) عندما يظهر يقتل الفقهاء والعلماء («... ۱») فهو ظن فى ظن وتخبط لعدم معرفة الحجج،

وبالتالى فهو زيغ وضلال.

،،،،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۴۷

كما يتضح اندفاع توهم المتوهم بأنه مع ظهور الإمام (ع) لا تبقى حاجة ولا دور للفقهاء ولا للاستنباطات الظنية لأنه يمكن حينئذٍ للناس تحصيل العلم بالأحكام الواقعية من الإمام (ع) مباشرةً، لاسيّما وأن الإمام (ع) يقوم بإكمال عقول وعلوم الناس فلا يبقى هناك جهل؟

أنه مع تكامل علوم الناس وعقولهم فذلك لا يعنى كونهم أنبياء كما لا يعنى أن الطريق الذى يتلقون منه العلم هو قناة الوحى كما لا يعنى صيرورتهم فى مستوى علمى واحد، بل يبقى بينهم تفاوت وفوارق فى المستوى العلمى والعقلى حتّى مع حصول تطور علمى

وتكنلوجى هائل وتوفر وسائل الاتصال السريعة بحيث يكون بامكان كل شخص الاتصال بالإمام مباشرةً ليأخذ الحكم الشرعى القطعى الواقعى منه، فإنّه مع كل ذلك تبقى الفوارق العلميـة والعقليـة بين الناس، ومن ثَمَّ لا يكونون كلهم بدرجـة حواريى وأصحاب الإمام (ع) ال- (٣١٣) وإذا وجـدت الفوارق العلميـة والعقلية بين عموم الناس فبالتالى يحتاجون إلى من هو أعلم منهم وأكثر إحاطة ليرجعوا إليه فيما قد جهلوه، أى ليكون واسطة بينهم وبين الإمام (ع) لايصال الأحكام ونحوها.

كما أن السُنّة التكوينيـة لقيام دولـة الظهور ودولة الرجعة ليست قائمة على إيصال العلم لعموم الناس عبر قناة واحدة، بل تبقى القنوات الظنية على حالها ويبقى الدور المناسب فى كل مجال لأهل التخصـص والخبرة، وبالتالى يرجع الأقل علماً إلى من هو أكثر علماً، وهذا هو معنى رجوعهم إلى الفقهاء.

وبعبارة أخرى إن قوله تعالى: وَما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لا

نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٤٨

لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ («١») لا يطرأ عليها النسخ، فهى تبين ترسـيماً من الله تعالى لكيفية جهاز عمل المعصوم بعد قوله تعالى: وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالًا نُوحِى إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الـذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ («٢»)، فلا بـدَّ للإمام من جهاز عمل وواسـطة بينه وبين الناس، وإلّا بمقتضـى طبيعـة البشـر لا يمكن اتصال ملايين الناس بشـخص واحد على درجة واحدة من الارتباط والفهم والتلقى، نعم تحدد قنوات تشـعبية تنازليـة الأكثر علماً فى الأعلى ثمّ الأقل فالأقل ويكون الإمام (ع) على رأس الهرم، وهذا التنظيم فى الشـريعة لا ينسخ حتّى عند ظهور الإمـام (ع) لاسيّما أن مفـاد آيـة النفر فى سورة التوبـة متطـابق مع مفـاد آيـة الحكم: إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فيها هُـدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذينَ أَسْلَمُوا لِلَّذينَ هـادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبـارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللَّهِ وَكانُوا عَلَيْهِ شُـهَداءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآياتى ثَمَناً قَليلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ («٣»). فى سورة المائدة كما تقدم بيان ذلك.

كما أن أصل حكم رجوع الجاهل للعالم يحكم به العقل ويشير إليه قوله تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ («٤») فإنّ مفاد هذه الآية أشار إلى نفس هذا الحكم العقلى الفطرى.

فإنّ الناس بالتالى يأخذون من الفقهاء الأحكام والتى تكون

ظاهرية بلحاظ علم الإمام (ع) لأن ما عند الإمام (ع) أكثر واقعية، وقد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٤٩

ثبت فى محله من علم الأصول أن الحكم وإن كان فى رتبته واقعياً ولكنه بلحاظ حكم واقعى أكبر يكون ظاهرياً («١»).

فما يعطيه ويبينه الفقهاء حينئـذٍ حكم واقعى فى رتبته ولكنه ظاهرى بلحاظ ما عنـد الإمام (ع)، وهكـذا من جهة كونه ظنياً أو يقينياً فإنّه تقـدم أن اليقينى بلحـاظ يقينى أعلى يكـون ظنـاً كمـا أن الحس يقينى واعتـبره القرآن ظنـاً فى قبـال المعجزة فى فتنـة بنى إسـرائيل والنصارى فما يبينه الفقهاء حينئذٍ هو حكم يقينى فى مرتبته ولكنه ظنى بلحاظ ما عند الإمام (ع).

فما دام هناك تفاوت وفوارق فى اسـتقاء العلم فلا محالـة يبقى لأهل التخصـص والاختصاص دور وشأن، وهـذا من ضـروريات طبيعة الحياة والنظام الاجتماعى والنظام المعيشى البشرى فى عيشه العلمى والمعلوماتى.

وما هذه الشبه والإشكالات على الفقهاء ودورهم إلّا لأجل

استهدافهم وبالتالى استهداف النخبة فى الدين لتحصل الفوضى فيه وهو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٥٠

مراد الأعداء، إذ من الطبيعى أن اسـتهداف أىّ مجال من مجالات الحياة إنما يكون بالنيل من المتخصصـين فيه لتحصل الفوضى حينئذٍ بـذلك الاسـتهداف، فمثلًا من يريـد النيـل من مجـال الطب لتعم الفوضـى فيه وبالتـالى يسـتغل الموقـف فى تحقيـق مـآربه إنمـا يبـدأ

باستهداف الأطباء الماهرین وبذلک یکون الطب فوضی، وهکذا فی مجال الهندسة لمن یرید أن تحصل الفوضی فیها وذلک بالنیل من المهندسین الماهرین، وهکذا الکلام فی بقیة المجالات، لأنه فی کل مجال من هذه المجالات هناک ترتب ونظم متسلسلة، وبمقتضی هذا النظم والتراتبیة تحصل الحمایة من التسویف واللصوصیة والتدجیل.

فإنّ الرجوع لأهل الخبرة والاختصاص فی کل مجال هو من فطرة البشر وضمن حدود معینة، وإلّا فالبدیهیات محافظ علیها فی کل المجالات.

وعلیه فاستهداف الفقهاء إنما هو من هذا القبیل، إذ یسلک الأعداء هذا الطریق لتحصل الفوضی فی الدین والمناصب الدینیة لیکون بإمکانهم الدجل والاختراق والتلصص فی مناصب الدین، لذلک نجد أن أهل البیت (علیهم السلام) وضعوا قوانین خاصة وضوابط فی تحدید المرجعیات والمناصب الدینیة لا یمکن تجاوزها إذا حافظنا علی أصول ثقافة الدین بالشکل الصحیح ونشر هذه الثقافة بین أتباع أهل البیت، وإلّا فمن البساطة جدّاً التدجیل علی الجهال وخداع السذج.

أنواع الحجج مفتاح البصائر ...: ص: ۳۵۰

مما لا ریب ولا شکّ فیه أن العاصم والمانع من التأثر بالشبهات

وأن قوام استکشاف البصیرة فی الفتن المعرفیة أو العقائدیة هو بمعرفة

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۵۱

مراتب الحجج ویجب أن تکون مبیَّنة وبیِّنة لدی المکلف والمؤمن، فإنّه إذا استبانت واتضحت مراتب الحجیة فسوف یفوِّت الفرصة علی الشبهة والمتشابهات، فإنّما تدب وتنتشر الشبه والاستناد للمتشابهات إذا ضاعت والتبست مراتب الحجیة ومدارجها وتسلسلها، لذا تقدم أن المنقذ من ظلامیة الفتن والاثارات فی البصیرة والمعرفة هو معرفة مراتب الحجیة ومنظومة الحجج، ولا یکفی معرفة أصل حجیة الحجة.

ثمّ بعد معرفة أصل حجیة الحجة ومعرفة مرتبة تلک الحجة فی منظومة الحجج لا بدَّ من قواعد رقابیة استکشافیة تبین علاقة الحجج بین بعضها البعض ونظامها ومحدودیة کل حجة وأن تلک الحجة لا زالت فی مرتبتها وحدودها، وأیضاً تکشف زیف وبطلان المدعی لحجیة حجة فی غیر مرتبتها.

أما منظومة وسلسلة الحجج ففی أعلی مراتبها بدیهیات وضرورات العقل، ثمّ توحید الله تعالی، ثمّ بعده لسید الأنبیاء، ثمّ لسید الأوصیاء، ثمّ الأئمّة (علیهم السلام)، ثمّ الفقهاء والنواب بالنیابة العامة أو الخاصة، فهذه السلسلة الهرمیة لکل منها حجیة فی مدی وحدود معینة ومساحة خاصة.

فمن روائع القرآن الکریم أنه یجذر ویبنی ویؤسس مثل هذه النظم فی منهج المعرفة، فکم من الأمم تضلل وتغش عقلیتها ویصادر وعیها إذا حسبت أن الحجة حجةٌ بالاطلاق والتعمیم، یعنی بالاعتماد علی الحجج بنحو اطلاقی غیر محدود بحدود، فالآفة تنجم وتنشأ من ذلک الاطلاق والتعمیم.

مراتب الحجج ...: ص: ۳۵۱

نقرأ فی الدعاء فی الحدیث الشریف: «اللهم عرفنی نفسک، فإنّک

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۵۲

إن لم تعرفنی نفسک لم أعرف رسولک، اللهم عرفنی رسولک، فإنّک إن لم تعرفنی رسولک لم أعرف حجتک، اللهم عرفنی حجتک، فإنّک إن لم تعرفنی حجتک ضللت عن دینی» («۱»)، فهذه أربعة محاور ولیست ثلاثة:

۱ معرفة الله (عزوجل).

۲ معرفة النبى (ص).

۳ معرفة الحجة والإمام (ع).

۴ معرفة الدين.

فمعرفة الدين وليدة لمعارف ثلاث متراتبة متسلسلة متدرجة، والذى لا تستتب ولا تتم لديه معرفة الله تعالى بشكل توحيدى سديد وصائب لا ـ تتم لديه معرفة النبى (ص)، فإنّه إذا لم تعرف قدرة وحكمة وعظمة وصفات الله سبحانه وتعالى لم يعرف مقام النبوة والرسالة لأن مقام النبوة والرسالة ليس مقام خلافة وتبليغ عن مخلوق ما، بل هو مقام خلافة وتبليغ عن خالقٍ جبارٍ متكبرٍ عظيم حكيم عزيز، ... فبقدر معرفة عظمة الله سبحانه وتعالى نستطيع أن نتفهم من ينسب وينتسب إليه فى الخلافة والتبليغ.

،،،،،،،،،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۵۳

فمن الجهالات التى ترى فى جملة من الرؤى فى المدارس الإسلاميّة حول مقام النبوة ما يكون منبعها جهالات فى معرفة الله، لأنه لو عظم الخالق فى كل شىء عظم من يستخلفه، لأنه يبلغ عمن نصبه وأرسله، فإذا عرفنا وعظمنا صفات المرسِل عرفنا عظم صفات المرسَل.

وإذا عرفنا عظمة وصفات المرسل والخليفة والمبلغ ومقاماته العظيمة وشؤونه العالية فلا محالة سوف نعرف عظمة الإمام وخليفة الرسول.

فهذه المعارف الثلاث متراتبة يعنى لا يمكن أن تتم معرفة النبى بسداد وصواب إلّا بعد معرفة الله سبحانه وتعالى بسداد وصواب، فمعرفة الله تعالى متقدمة على معرفة النبى (ص)، ومعرفة النبى متقدمة على معرفة الإمام، أى أن مراتب الحجية متراتبة متسلسلة متدرجة، ولذلك نلاحظ أن البينات والحجج العقلية وغير العقلية على توحيد الله تعالى أكثر بياناً وبرهاناً وجلاءً من البراهين والحجج التى على نبوة الأنبياء أو على نبوة سيد الأنبياء، وكذلك البراهين والبينات والحجج القائمة على نبوة سيد الأنبياء أكثر من البراهين والبينات القائمة على إمامة ووصاية سيد الأوصياء، وكذلك البراهين والبينات والحجج القائمة على إمامة سيد الأوصياء أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) أكثر من البراهين والبينات القائمة على إمامة الحسنين (ع)، والبراهين القائمة على إمامة الحسنين (ع) أكثر من البينات والبراهين القائمة على إمامة الأئمّة

التسعة من ولد الحسين (عليهم السلام). نعم، الإمام المهدى (ع) أفضل التسعة المعصومين كما فى بعض الروايات، وكذا فى خطبة الغدير للنبى (ص...): «

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۵۴

تاسعهم هو باطنهم وهو ظاهرهم وهو أفضلهم » («... ۱»)، فيكون مقام الإمام المهدى (ع) بعد الخمسة أصحاب الكساء (عليهم السلام)، لأن الأدلّة على إمامته أكثر من الأدلّة القائمة على إمامة التسعة (عليهم السلام)، فلا بدَّ من الالتفات لتلك المراتب، فإنّه كلما ازدادت البيانات ازدادت الحجية فإنّ الحجية تشتد وتضعف تبعاً لزيادة البيانات والدلائل وقلتها، وكلما ازدادت شدة ودرجة الحجية ازداد وارتفع وعلا ـ مقام تلك الحجية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الفضائل والصلاحيات مختلفة أيضاً، ولذلك فإنّ سيد الرسل (ص) هو إمام أيضاً إلّا أنه إمام للأئمّة الاثنى عشر، فإنّ لسيد الرسل مقام النبوة والرسالة والإمامة، لذا فإنّ الأئمّة تابعون مطيعون مسلمون لرسول الله (ص) كما أنه (ص) تابع ومطيع ومسلم لله تعالى.

يقول الإمام الرضا (ع ...): « لأن رسول الله (ص) لم يكن ليحرم ما أحلّ الله، ولا ليحلل ما حرم الله، ولا ليغير فرائض الله وأحكامه فى ذلك كله متبعاً مسلماً مؤدياً عن الله وقول الله (عزوجل): إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٥٥

إِلَيَّ («١») فكان متبعاً لله مؤدياً عن الله ما أمره به من تبليغ الرسالة»، قلت: فإنّه يرد عنكم الحديث فى الشيء عن رسول الله (ص) مما ليس بالكتاب وهو فى السُنّة ثمّ يرد خلافه، فقال: «وكذلك قد نهى رسول الله (ص) عن أشياء نهى حرام فوافق فى ذلك نهيه نهى الله، وأمر بأشياء فصار ذلك الأمر واجباً لازماً كعدل فرائض الله تعالى، ووافق فى ذلك أمره أمر الله تعالى، فما جاء فى النهى عن رسول الله (ص) نهى حرام ثمّ جاء خلافه لم يسع استعمال ذلك، وكذلك فيما أمر به، لأنّا لا نرخص فيما لم يرخص فيه رسول الله (ص)، ولا نأمر بخلاف ما أمر رسول الله (ص) إلّا لعلّة خوف ضرورة، فأما أن نستحل ما حرم رسول الله (ص)، أو نحرّم ما استحل رسول الله (ص) فلا يكون ذلك أبداً، لأنّا تابعون لرسول الله» («٢»).

فهذه السلسلة محفوظة، فلا يمكن للرسول (ص) والعياذ بالله أن يرد على الله تعالى أو يتخلف عن تبعية أوامره تعالى، فالأسس والأساس فى التشريع من الله (عزوجل) وسُنّة النبى (ص) تابعة لفرائض وأوامر وتشريعات الله وليست هى فى عرض تشريعات الله بل هى تابعة وتأتى فى الدرجة الثانية لفرائض الله، ولا يمكن أن نتصور ونفرض بأن سنن النبى ترفع فرائض الله، وكذلك سنن المعصومين (عليهم السلام) من أئمّة أهل البيت تابعة لسنن النبى (ص) ولفرائض الله تعالى،

ولا يمكن حينئذٍ أن تكون سنن الأئمّة المعصومين (عليهم السلام) رافعة أو مضاددة لسنن النبى (ص) وفرائض الله والعياذ بالله.

وكذلك فتاوى الفقهاء تابعة وفى كنف فرائض الله وسنن النبى وسنن أئمّة أهل البيت (عليهم السلام)، ولا يمكن لفتاوى الفقهاء أن تخرج عن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٥۶

فرائض الله ولا عن سنن النبى ولا عن سنن الأوصياء، فإنّ جميع فقهاء مدرسة أهل البيت يذكرون أن التقليد واتباع الفقيه فى الفتاوى إنما هو فى غير الضروريات المعلوم حكمها من فرائض الله وسنن النبى وسنن الأوصياء.

يعنى أن فتوى الفقيه لها دائرة محدودة معلمة ومخطوطة بخطوط حمراء، وتلك الخطوط الحمراء هى ضرورات فرائض الله وضرورات سنن النبى وضرورات سنن الأوصياء، فبالتالى ما علم أنه من فرائض الله بالضرورة وما علم أنه من سنن النبى بالضرورة وما علم أنه من سنن الأوصياء بالضرورة لا يمكن للفقيه أن يتجاوزه، فهو يستنبط ويستكشف ما هو نظرى فى دائرة النظريات من أحكام الله وأحكام الرسول وأحكام أئمّة أهل البيت، كل ذلك فى كنف فرائض الله وسنن النبى والأوصياء، ولا تخرج تلك الاستنباطات عند الفقهاء عن دائرة تلك الضروريات.

وربما يتوهم البعض وجود تهافت فى كلام علماء الأصول، حيث إنهم من جهة يقولون: إن إجماع الفقهاء من غير دخول المعصوم فيه ليس بحجة، ومن جهة أخرى يقولون بأن فتوى الفقيه حجة، فكيف تكون فتوى الفقيه منفرداً حجة مع أن مجموع الفقهاء من غير المعصوم لا قيمة له فى الحجية، فهل هذا تهافت أم ماذا؟!

ويرتفع توهم التهافت إذا دققنا فى مساحة حجية الفقهاء، فإنّ

فتوى الفقيه إذا كانت فى غير العقائد وغير الضروريات وكان الفقيه مستنداً للموازين الشرعية المقررة فى مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) أى إذا كانت فتواه وفق الموازين الشرعية وفى مجال النظريات والمتشابهات من الفقه فإنّ فتواه حجة.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٥٧

أما فتوى الفقيه بل لو أجمع الفقهاء على الافتاء فيما يخالف الضروريات أو العقائد الأصلية أو ما لم يكن على الموازين بحسب البحث الاستدلالى لدى فقيه آخر فحينئذٍ فتواهم ليست بحجة، فإنّ هكذا قضايا وموازين ليست ضمن مساحة حجية الفقهاء ولا لأهل الخبرة وإنما لا بدَّ من إعمال البراهين والرجوع للبديهيات والضروريات، والتمييز بين هاتين المساحتين واضحة وسهلة مع وجود الوعى فى البصيرة.

فلا يمكن لفقيه أن يرفع فرضاً كوجوب الصلاة بل حتّى لا يمكن للنبى (ص) أن يرفع مثل هذا الوجوب لمحدودية سنن النبى وكونها فى كنف فرائض الله، فإنّ أصل وجوب الصلاة والصوم وباقى الفرائض الضرورية هى من فرائض الله، كما أن زيادة الركعتين فى الصلاة الرباعية عند كل المسلمين من سنن النبى (ص)، فهذه سُنّةٌ للنبى فى كنف وظل وتابعية فريضة من فرائض الله وهى وجوب الصلاة، وكذلك سنن الأئمّة المعصومين (عليهم السلام) هى فى كنف وظل فرائض الله وسنن النبى، يعنى أنها لا ـ تتجاوز وجود الفرائض الإلهية والسنن النبوية، كذلك فتوى الفقهاء فى حرمة الزنا وحرمة اللواط والربا مثلًا لا تتجاوز فرائض الله وسنن النبى ومناهج الأئمّة.

ومن لم يحافظ على هذه التراتبية والمحدودية وقع فى زيغ وفهم خاطىء لبعض الروايات كرواية الدين الجديد، حيث قال أبو جعفر (ع): «يقوم القائم بأمر جديد، وكتاب جديد، وقضاء جديد، على العرب شديد، ليس شأنه إلّا السيف، ولا يستتيب أحداً، ولا تأخذه فى

الله لومة لائم» («١») حيث فهم أن الإمام المهدى (ع) عند ظهوره يأتى بدين جديد وقرآن جديد ويدعو إلى شيء غريب ... فيفهم أن الإمام والعياذ بالله يرفع وجوب الصلاة ووجوب الزكاة والحج ويرفع حرمة الفواحش والربا ويأمر بقطع الرحم ... الخ، وهذا مستحيل، لأنّ صلاحيات الإمام لا تخرج عن صلاحيات الله وصلاحيات رسوله.

بل إن هذا هو معنى الغلو لأنّ معنى عدم الغلو فى الأئمّة أن لا نعتقد أنهم يأتون بشريعة جديدة تناهض وترد على شريعة الرسول والعياذ بالله بل نقول هم مسلمون وتابعون ومطيعون لله ولرسوله (ص)، فالاعتقاد الصحيح بإمامة أهل البيت (عليهم السلام) هو أنهم أئمّة منصوبون من الله تعالى وهم خلفاء الله ورسوله ومرتبطون بالغيب وليسوا بأنبياء، فلا ـ يأتون بشريعة غير شريعة الرسول، ولا يخرجون عن دائرة شريعة سيد الرسل وخاتم الأنبياء.

كيف نتصور أن شخصاً يتشبث برواية أو روايتين أو حتّى عشرة أو مئة، ويتوهم بحسب هذا الفهم والتفسير الخاطىء أن المهدى (ع) يأتى بدين جديد بمعنى أنه يأتى بدين غير منضبط ضمن قوالب الحجية، وأنه والعياذ بالله يأمر باستباحة المحرمات التى حرمها الله تعالى ورسوله (ص) ويأمر بترك الواجبات التى فرضها الله تعالى، كيف يتصور ذلك وأىّ عاقل يقبل به.

بل حتّى لو فرضنا أنه يأتى بدين جديد فلا بدَّ أن يكون ذلك الدين منظماً ومنضبطاً ضمن مراتب وقوالب الحجية، وإلّا كان الضلال

والاضلال كما هو الحال فى الفرق الضالة والمنحرفة والمدعية للزيغ فى الغيبة الصغرى، كما يذكرها الشيخ الطوسى («١») فى كتاب الغيبة كالشلمغانية والشريعية وغيرها، وما ذلك إلّا لاختلاط وعدم ترتب منظومة الحجج عندهم فضلوا وأضلوا جماهيرهم بتصويرهم أن حجية الإمام (ع) فوق حجية الرسول (ص).

وكيف نتصور أو يعقل أن تأتى مدرسة من المدارس الإسلاميّة بخبر أو رواية حتّى لو فرضنا صحتها ينسبونها للرسول (ص) فيها ردّ على القرآن الكريم وتحريم ما أوجبه الله تعالى فيه، فمثلًا بعد أن ثبت أن القرآن الكريم يدعو إلى التوسل بالنبى (ص) ويجعله من الأركان ومن أصول الإيمان فى قوله تعالى: وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً («٢») فيأتى البعض ويحرم التوسل اعتماداً على روايات ينسبها للنبى (ص) مع أن التوسل باب معنوى لطلب الاستغفار من الله تعالى، بل التوسل بالنبى وآله من أركان الدين كما تقدم بنص القرآن حيث يأمر: توسلوا وتوجهوا بالنبى (ص)، فقوله: جاؤُكَ معناه بالعامية الدارجة

(دخيلك يا رسول الله) فهو توجه وتوسل بالله تعالى، لكن لا مباشرةً، بل من طريق الباب وهو الرسول (ص)، لذا يأمر القرآن بالتوجه والتوسل ولو عن بعد المسافات، أليس كل المسلمين يقولون فى صلاتهم: (السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته) مخاطبين الرسول بذلك، و (الكاف)

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۶۰

فی اللغة العربیة للمخاطب الحاضر، وهو تشریع فی ضروری من ضروریات المسلمین، بل فی فعل توحیدی وهو الصلاة، حیث شرع فیها خطاب وتوسل وتوجه للنبی (ص).

کما أن فقهائنا کالشیخ الطوسی والشیخ المفید والسید المرتضی والشیخ الصدوق والشیخ الحلبی والشیخ ابن إدریس والشیخ ابن زهرة والشیخ سلار وکافة القدماء (رح) یفتون باستحباب السلام علی الأئمّة (علیهم السلام) بعد التسلیم علی الرسول (ص) وقبل (السلام علینا وعلی عباد الله الصالحین) حیث یقولون: یستحب أن تقول: (السلام علی الأئمّة الراشدین المهدیین من آل طه ویاسین) («۱»).

إذن کافة المسلمین یتوجهون فی الصلاة بالتسلیم علی النبی وهم لم یخرجوا من الصلاة وهذا من ضروریات المسلمین فقوله: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُکَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ («۲») یعنی لا یتوجهون إلی الله إلّا بأن یطرقوا باب الله الأعظم وهو الرسول (ص)، فطرق الباب أوّلًا ثمّ التمکن من الولوج فی الساحة الربوبیة، قال تعالی: وَلَیْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُیُوتَ مِنْ ظُهُورِها وَلکِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقی وَأْتُوا الْبُیُوتَ مِنْ أَبْوابِها وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ («۳») والنبی (ص) هو باب الله الأعظم، وباب الرسول (ص) هو علی بن أبی طالب (ع)، قال رسول الله (ص) کما تواتر عنه: «أنا مدینة الحکمة وأنت یا علی بابها» («۴»)، فمن أراد المدینة والحکمة فلا بدَّ أن یأتیها من بابها.

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۶۱

فمن وفودنا علی وصی النبی نستطیع أن نفد علی النبی (ص)، ومن وفودنا علی النبی (ص) والتجائنا وتوجهنا وتوسلنا ولواذنا به نکون قد وفدنا علی الساحة الربوبیة وتوجهنا إلی الله (عزوجل).

وأیضاً فی قوله تعالی: وَإِذا قِیلَ لَهُمْ تَعالَوْا یَسْتَغْفِرْ لَکُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَرَأَیْتَهُمْ یَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَکْبِرُونَ («۱»)، فلم یقل: تعالوا إلی الله مباشرةً، إذ الباری لا یباشر ولا یتباشر ببشرة، بل لا بدَّ من الوفود علی الرسول (ص) أوّلًا فهو الشافع المشفع، ولکن ما هو فعل المنافقین؟ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَرَأَیْتَهُمْ یَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَکْبِرُونَ، فالقرآن الکریم یبیّن أنهم لیسوا موحدین، بل هم مستکبرون.

والاستکبار صفة وسُنّة إبلیس اللعین إذ استکبر ولم یسجد لآدم (ع) حیث یقول: قالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِیناً («۲») فسُنّة إبلیس الاستکبار عن التوسل والتوجه.

قال الله تعالی: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِیثاقَ النَّبِیِّینَ لَما آتَیْتُکُمْ مِنْ کِتابٍ وَحِکْمَةٍ ثُمَّ جاءَکُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَکُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلی

ذلِکُمْ إِصْرِی قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَکُمْ مِنَ الشَّاهِدِینَ* فَمَنْ تَوَلَّی بَعْدَ ذلِکَ فَأُولئِکَ هُمُ الْفاسِقُونَ («۳») هذه الآیات من سورة آل عمران یحدّثنا القرآن فیها أن نبوات الأنبیاء نالوها بشفاعة سید الأنبیاء محمّد (ص).

وهکذا الآیات من سورة الأعراف: إِنَّ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا وَاسْتَکْبَرُوا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ وَلا یَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّی یَلِجَ الْجَمَلُ فِی سَمِّ

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۶۲

الْخِیاطِ وَکَذلِکَ نَجْزِی الْمُجْرِمِینَ («۱») تبیّن لنا بأنه من دون التوسل بالنبی (ص) لا یدخل المسلم الجنّة ولا ترتفع لدیه عقیدة، حیث یقول: کَذَّبُوا بِآیاتِنا وَاسْتَکْبَرُوا عَنْها أی تکذیب واستکبار ولیس تکذیباً فقط، وإنما تکذیب واستکبار علی الأنبیاء والرسل والأولیاء الصالحین، وهم آیات من آیات الله تعالی، قال تعالی: وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْیَمَ وَأُمَّهُ آیَةً وَآوَیْناهُما إِلی رَبْوَةٍ ذاتِ قَرارٍ وَمَعِینٍ («۲») وأکبر وأعظم آیات الله هو الرسول محمّد (ص) وأهل بیته الأطهار (علیهم السلام).

ثمّ إن القرآن عبّر: اسْتَکْبَرُوا عَنْها ولم یعبر: (استکبروا علیها)، فما الفرق بین استکبروا علیها وبین استکبروا عنها؟

ذکر فی کتب الأدب واللغة أن فعلًا ما قد یضمن معنی فعل آخر ثمّ یؤتی بأداة تناسب المعنی المتضمن، فالمعنی حینئذٍ استکبروا وصدوا عنها، فیقول القرآن: إن أولئک استکبروا وصدوا عن التوسل والتوجه لرسول الله (ص) ولووا رؤوسهم ویصدون وهم

يستكبرون، أى كما فعل إبليس اللعين إذ استكبر عن آيات الله.

وأكبر آيات الله هو الرسول (ص)، فالتوجه والتوسل والخضوع لآيات وحجج الله شرطٌ وركن ركين كى تنفتح أبواب السماء لعملك ولعقيدتك مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ («۳») فالصعود والرفع مشروط بالخضوع والتوجه والتوسل لنبى الله (ص) ولحجج وآيات الله.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۶۳

والمستكبر عن آيات الله محالٌ أن يدخل الجنّة كما يعبر القرآن حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ («۱») إذن لا ننجو ولا يقبل ولا يصح إيماننا إلّا بالاتيان بفريضة إيمانية من فرائض القرآن الكريم وهى التوسل والتوجه للنبى (ص).

إذن لا بدَّ أن نقرأ رواية الدين الجديد الذى يأتى به المهدى (ع) فى ظل هذه المسلّمات، يعنى فى منطقة غير الضروريات من فرائض الله تعالى وسُنّة النبى (ص) ومنهاج الأئمّة (عليهم السلام) أى فى تلك المنطقة الوسيعة وهى منطقة النظريات التى اكتنفها تشابه وريب واختلاط عبر القرون، ومع ذلك لا يأتى (ع) فى تلك المنطقة إلّا بما هو حق حقيق.

لذا نقرأ فى دعاء الندبة:

«أين المدخر لتجديد الفرائض والسنن، أين المتخير لإعادة الملّة والشريعة، أين المؤمل لإحياء الكتاب وحدوده، أين محى معالم الدين وأهله» («۲»).

وكذا فى دعاء العهد:

«واجعله اللهم ... ومجدداً لما عطل من أحكام كتابك ومشيداً لما ورد من أعلام دينك وسنن نبيك (ص)» («۳»).

وهكذا فى دعاء الافتتاح أيضاً:

«اللهم اجعله الداعى إلى كتابك والقائم بدينك» («۴»).

‌‌‌‌

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۶۴

وهكذا فى دعاء يدعى به فى زمن الغيبة والمروى عن صاحب الزمان (ع ...): « وجدد به ما امتحى من دينك وأصلح به ما بدل من حكمك وغُيِّر من سُنّتك حتّى يعود دينك به وعلى يديه غضاً شديداً صحيحاً لا عوج فيه ولا بدعة فيه» («۱»).

وغيرها من الأدعية.

ففى دعواتنا والتزاماتنا وتوجهاتنا أنه (ع) يحى دين الله ويعمل بكتابه وسُنّة رسوله ويسير على نهج الأئمّة السابقين، لا كما يذكر من الفهم المعوج المزعوم استظهاره من آحاد الروايات والعياذ بالله تعالى وحاشاه (ع) من أنه يميت القرآن وسُنّة النبى ونحو ذلك.

فبالاعتماد على انحفاظ تراتبية الحجج ومعرفة مراتب الصلاحيات نفهم الرواية بالفهم الصحيح، أما إذا اختلطت علينا مراتب الحجج ودلائل الدين وصارت فوضى وفوضوية فى البصيرة والمعرفة نصل لفهم واستنتاج خاطئ ومعوج ونتزلق فى متاهات وظلمات ونخرج من الدين.

إذاً هناك تراتبية فى منظومة الحجج لا يمكن هدمها ولا تقديم شىء منها على غيره، فإنّ توحيد الله تعالى إنما يتم وفق الموازين العقلية

وبديهياته فتكون بديهيات العقل فى أعلى مراتب الحجج ثمّ توحيد الله، وأن نبوة أىّ نبى لا بدَّ أن تكون من خلال توحيد الله، فنبوة الأنبياء لا بدَّ أن تكون فى كنف وظل وهيمنة توحيد الله، وهكذا إمامة أىّ إمام بالنسبة لنبوة الأنبياء، وهكذا بالنسبة للفقهاء مع الأئمّة (عليهم السلام)، فتكون الحجج مرتبة بالترتيب الهرمى هكذا بديهيات العقل ثمّ توحيد الله تعالى ثمّ نبوة الأنبياء ثمّ وصاية الأوصياء ثمّ النواب الخاصون والنواب العامون.

، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٦٥

وسيتضح هذا الترتيب جلياً من خلال بيان كيفية إعمال القواعد الرقابية فى الفصل الآتى (الخامس).

تراتب حجية الأئمّة ...: ص: ٣٦٥

قد يستفهم البعض عن لابدّية الضبط والانضباط فى الحجج ضمن نظام خاص ومنظومة خاصة؟

ولكن بالالتفات لما تقدم والاغراض والحِكَم التى لأجلها أوجد الله تعالى هذا الخلق العظيم فإنّه تعالى أراد لهذا الخلق التكامل والسير فى طرق تحصيل الرضا منه تعالى.

ولما كان الشيطان قد وضع حبائله وعمل بأساليبه الخبيثة لايجاد طرقٍ مزيفة لإضلال الناس وإيقاعهم فى الزيغ ليتركوا الطريق الذى رسمه الله تعالى لهم.

من هنا جاءت الحاجة لطريق وقناة اتصال بالحق وبعالم الغيب ولابدَّ أن تكون قناة يقينية الصدق وهى قناة المعصومين (عليهم السلام) فكان سيد الرسل محمّد (ص) القناة الوحيدة الذى له القدرة على الاتصال بعالم

الحق ومن خلاله يتصل عالم الإمكان بعالم الحق تعالى، فإنّ ما يتلقاه سيد الرسل عن الله تعالى يعظم حتّى ما يتلقاه جبرائيل (ع) ليوصله للنبى ويعظم ما يتلقاه روح القدس ليوصله للنبى، وهذا مؤيد ومدلل عليه بروايات عنه (ص) حيث نقل أنه (ص) تعرضه الغشية، وفى بعض الروايات أن ذلك حينما لا يكون بينه وبين الله تعالى ملك ولا وسيط، وكما ورد عنه (ص): «لى مع الله حالات لا يسعها لا ملك مقرب ولا نبى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٦٦

مرسل» («١») وفى بعض الروايات (لنا) بدل (لى) أى أن قناة الاتصال من العظمة والشأن بحيث لا يتحملها إلّا محمّد وأهل بيته (عليهم السلام).

ومما يؤيّد ذلك ما ورد فى آية الإسراء وروايات أهل البيت (عليهم السلام) أن النبى (ص) رآى فى المنام بنى أمية وبنى مروان ينزون على منبره فغم الرسول (ص) لذلك، فنزل عليه جبرائيل وسأله عن سبب اغتمامه فأخبره الرسول بما رآى، فقال جبرائيل: إن ذلك شىء لم أعلمه فعرج إلى الله تعالى فأنزل هذه الآية من قوله تعالى: وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْناكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِى الْقُرْآنِ («٢») أى أن هناك من عالم الحق وعالم الغيب ما يوصله الله تعالى للنبى (ص) مباشرةً من دون المرور بجبرائيل ولا غيره.

لذلك تقدمت حجية الرسول (ص) وصارت بعد حجية الله تعالى،

ثمّ جاءت حجية الأئمّة (عليهم السلام) بعد حجية الرسول وقبل حجية جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين، ويشير لذلك ما فى الزيارة الجامعة ... « حتّى لم يبق نبى مرسل ولا صديق ... إلّا عرفتهم جلالة أمرهم حتّى لا يطمع » («... ٣») من هنا تبيّن قول أمير المؤمنين (ع): «نزّهونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم» («۴») وما عن الصادق (ع) قال بعد أن سُئل

، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٦٧

ما أنتم: «خزان علم الله وتراجمة وحى الله، ونحن قوم معصومون أمر الله بطاعتنا ونهى عن معصيتنا، نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض» («١»).

فحجية الرسول بعد حجية الله، ثمّ حجية الأئمّة (عليهم السلام)، ثمّ حجية الفقهاء، ولكن حجية الأئمّة أيضاً لها تراتبية خاصة بحيث لا يمكن للإمام اللاحق تجاوز

حجية الإمام السابق، فإنّهم (عليهم السلام) قناة واحدة متصلة ذات تراتب طولى يبتدئ بالرسول الأعظم وينتهى بالمهدى المنتظر (ع).

فإنّه ورد فى الكافى: «لا يتنزل شىء من الله تعالى إلّا ويتنزل أوّلًا على رسول الله (ص)، ثمّ على على أمير المؤمنين (ع)، ثمّ الحسن، ثمّ

الحسین حتّی الإمام المهدی سلام الله علیهم أجمعین» («۲»).

،،،،

دعوی السفارهٔ فی الغیبهٔ الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۶۸

فهم (علیهم السلام) قناهٔ واحدهٔ ویکون الإمام الأخیر فیها له الإمامهٔ الفعلیهٔ فقد روی عن الصادق (ع) قال: «حب ولایتی لجدّی علی بن أبی طـالب أحب إلیَّ من نسبی إلیه» («۱») ونظیره روی عن الکاظم (ع)، یعنی أنه (ع) یتولی الطاعـهٔ لأمیر المؤمنین والولایـهٔ له مع أن کلًا منهما حجهٔ وإمام معصوم.

وبالتالی فإنّ هرم القیادهٔ والإمامـهٔ والولایـهٔ تبقی محفوظـهٔ فی هذه السلسـلهٔ فإنّ إمامهٔ وقیادهٔ وولایهٔ وحجیهٔ الأئمّهٔ السابقین مفعلهٔ دائماً کما أن حجیـهٔ الله تعالی مفعلهٔ حتّی مع وجود الأنبیاء والأوصـیاء فکذلک الأئمّهٔ السابقون، وهذه قاعدهٔ فی الحجج، فإنّ الحجهٔ الأعلی تبقی مفعلهٔ دائماً حتّی مع فعلیهٔ الحجهٔ الأقل والأدون.

من هنـا ینـدفع توهم البعض بـأنه کیف یتفق فی دولـهٔ الرجعـهٔ رجوع أمیر المؤمنین والحسن والحسـین (علیهم السـلام) مع أن الإمـامهٔ الفعلیـهٔ للمهـدی (ع)، إذ من المعلوم أن أمیر المؤمنین والحسـنین أفضـل من المهـدی (ع)، فکیف نتصور وجود الأفضل مع أن الإمامهٔ الفعلیهٔ للأقل فضلًا؟

فإنّ هذا مندفع إذا التفتنا إلی أن کون الإمامهٔ الفعلیهٔ هی للإمام المهدی لا یعنی عدم إشـراف أمیر المؤمنین والحسـنین (علیهم السلام) علی إمامهٔ المهدی، وذلک لما قرر فی جملهٔ من الروایات وغیرها من الدلائل القرآنیهٔ أن ولایهٔ الرسول (ص)

، دعوی السفارهٔ فی الغیبهٔ الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۶۹

وولایهٔ أمیر المؤمنین والحسـنین لم تنقطع بانتقالهم إلی البرزخ وعالم الآخرهٔ، فسلسـلهٔ مراتب الولایهٔ محفوظهٔ وأن طاعهٔ الرسول لزومها فعلی علی کـل إمـام من الأئمّـهٔ (علیهم السـلام) کمـا ورد عن أبی عبـد الله (ع) أنه قـال: «کـأنی أنظر إلی القـائم (ع) علی منبر الکوفهٔ وحوله أصحابه ثلاثمائهٔ وثلاثهٔ عشر رجلًا عدهٔ أهل بدر، وهم أصحاب الألویهٔ، وهم حکّام الله فی أرضه علی خلقه، حتّی یستخرج من قبـائه کتاباً مختوماً بخاتم من ذهب، عهـد معهود من رسول الله (ص)، فیجفلون عنه إجفال الغنم البکم، فلا یبقی منهم إلّا الوزیر وأحد عشـر نقیباً، کمـا بقوا مع موسـی ابن عمران (ع)، فیجولون فی الأـرض ولا یجـدون عنه مـذهباً فیرجعون إلیه، والله إنی لأعرف الکلام الذی یقوله لهم فیکفرون به» («۱»).

وهـذا نظیر التشـکیلات الحکومیـهٔ فی هذه الأزمنهٔ فإنّ رئیس الوزراء هو المباشـر للقیادهٔ الفعلیهٔ والإدارهٔ، مع أن رئیس الجمهوریهٔ یعد رسمیاً له المنصب الأعلی ولا بدَّ لرئیس الوزراء أن یطیعه، بل إن قرارات رئیس الوزراء لا تسری ما لم یقرّها رئیس الجمهوریهٔ.

لـذا لا ـ بـدَّ أن نفهم الإمامـهٔ بمعنی الجهاز المنظومی ولیس بمعنی الفرد الواحـد البشـری، بل هی کتلـهٔ جهاز واحـد متکامل عبارهٔ عن سلسـلهٔ حجـج مرتبهٔ الأعلی فالأعلی، وأن الإمام المباشـر والفعلی لا یعنی کونه الأفضل، بل یکون للإمام الأعلی حجیهٔ ودور الإشـراف فی مرحلهٔ فعلیهٔ إمامهٔ الأقل حجیهٔ.

***

دعوی السفارهٔ فی الغیبهٔ الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۷۳

الفصل الخامس: القواعد الرقابیهٔ فی المعرفهٔ ... ص: ۳۷۳

اشارهٔ

بعـد أن علمنا أن هناک أنواعاً من الحجـج وأنها مرتبـهٔ ومنظمـهٔ وفق هندسـهٔ إلهیـهٔ خاصـهٔ، وأن من الحجـج ما هو محکم ومنها ما هو

متشـابه، وأن المحكم والمتشـابه فى الحجج أمر نسبى وليس ذاتيـاً لهـا إذ العمل بالحجـة فى مرتبتها محكم والعمل بها فى غير مرتبتها متشابه، وعليه فإنه من ضـمن هندسـة إحكام منظومـة الحجج لا بدَّ من ضوابط وقواعد معينة يعرف من خلالها أن العمل بتلك الحجة هل هو فى مرتبتها ليكون العمل بها عملًا بالمحكم، أم صوعد بها لغير مرتبتها فيكون العمل بها عملًا بالمتشابه؟

وهـذه القواعـد هى نفس تحديـد مرتبـة كل مرتبـة من تلك الحجج بحيث إن نفس تلك الحجة من جهة العمل بها فى مرتبتها يكون عملًا بالمحكم، ومن جهة هيمنتها على الحجة الأدون منها تكون قاعدة رقابية تبيّن لنا نوع العمل بغيرها من كونه عملًا بالمتشابه.

ولذا يمكن أن تكون عندنا القواعد الرقابية التالية:

بديهيات العقل أولى القواعد ...: ص: ٣٧٣

أولى القواعـد الرقابيـة هى بـديهيات العقـل، فلاـ يمكن لله تعالى أن يطالبنا بخلاف تلك البـديهيات، فإنّه تعالى حيث يخاطبنا ويطالبنا بالتوحيـد إلّـا أن ذلك ليس خلافاً لبـديهيات العقل، فإنّه تعالى يقول: لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَـدَتا فَسُـبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ («۱») فإنّ الله

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٧٤

تعالى يرشد العقل السـليم إلى بديهة من بديهياته وأنه لا بدَّ لهذا الكون والعالم من إله واحد وإلّا لوقع الاضطراب والتنافر وبالتالى يقع الفساد، فإنه تعالى بهذه الآية لا يسـتدل على وحدانيته لأن الوحدانية من البديهيات وقد ثبت فى محله أن البديهى ينبه عليه ولا يسـتدل له.

وهو بديهيـة عقليـة كما أنه تعالى لا يأمر بالظلم ولا ينهى عن العـدل والاحسان التى هى بديهيات العقل فقول الله تعالى: وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيـدِ («۱»)، وَمـا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيـدِ («۲»)، وَمـا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيـدِ («۳»)، فلِمَ ينفى الله (عزوجـل) عـن نفسه الظلم ولِمَ يـدافع عن نفسه؟ فهل يقع الريب أو الشكّ فى الله تعالى أو فى أمانته أو لكى يبيّن لنا أن بديهيات العقل لا يخالفها من قبح الظلم ونحوها؟

إنما ذلك منه تعالى لكى يبين لنا أن قُبح الظلم وحُسن العدل قواعد رقابية معرفية لمعرفة إلوهيته تعالى فيقول: لا تقصوا ولا تغلقوا ولا تُلغوا عقولكم فإنّ بديهيات العقل صـرح مشيد لا يمكن تجاوزها، وأن أوامر الإله لا يمكن بحالٍ أن تتجاوز ذلك الصرح، فإنّ مساحة شـأن صـلاحيات الله وحجيته لاـ تنـاقض ولا تتعـدى بـديهيات العقل فى إدراك الكمال لـذا قال تعالى: قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ («۴»)، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ («۵»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٧٥

من هنا يتضـح أن من يـدعى الإلوهية والربوبية لا بدَّ أن لا يتجاوز بديهيات العقل السـليم وإلّا لو تجاوز أىّ بديهة منها فذلك كاشـف عن بطلان دعواه، بل إنه بمجرد ثبوت إلهيـة الله تعالى ببديهـة العقل لا بدَّ أن يكون الإله واحداً، فتضاف حينئذٍ بديهة لبديهيات العقل وهى بطلان دعوة أىّ مدعى للإلوهية.

ضروريات دين الله ثانى القواعد ...: ص: ٣٧٥

وثـانى القواعـد الرقابيـة يُبيّنها لنا القرآن الكريم من أن الرسول (ص) وكل الرسل وكل الأنبياء حجيتهم وإن كانت مطلقـة بالنسبة إلى من دونهم إلّا أنها بالنسبة إلى حُجية الله هى محدودة لأنّ حجية البارى تعالى فوق حجية الأنبياء بل إن حجية الأنبياء متفرعة على حجية الله، فحجية الأنبياء لا بدَّ أن تقع تحت ظل وهيمنة حجية الله تعالى، قال الله تعالى: ما كانَ لِبَشَـرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبـاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ («۱») فمضـمون الآيـة وعـدة آيات أخرى تبيّن حـدود طاعة أىّ رسول من الرسل ونبى من الأنبيـاء بأنهـا محـدودة باطـار وقـانون ونظـام التوحيـد، قـال صـادق آل محمّـد (ع): «لم يبعث نبى إلّا بتحريم أصول المحرمات» («۲»)

فالمحرمات والفواحش لا یمکن لنبی أن لا یحرمها کما لا یمکنه أن لا یوجب الواجبات کالصلاة والصوم فهذه أصول لا یمکن لنبی أن یتجاوزها ولا یمکن له أن یرفعها لأنها من فرائض الله وأن دین الله واحد، فلو افترضنا جدلًا وإن کان محالًا

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۷۶

وحاشی لساحة الأنبیاء والرسل ذلک أن نبیاً من الأنبیاء أو رسولًا من الرسل دعا الناس إلی ما یخالف وحدانیة الله تعالی أو لمخالفة ضرورة من ضروریات دین الله تعالی لسقطت حجیته والذی یکشف عن عدم نبوته أساساً أی یکون مدعیاً للنبوة کذباً ولیس هو بنبی حقیقةً، فإنّ توحید الله قاعدة رقابیة معرفیة علی حجیة الرسل کما أنه لو فرضنا أن نبیاً أباح محرماً إلهیاً أو لم یوجب واجباً من ما قد فرضه الله تعالی فی أصول الدیانة فهو أیضاً کاشف عن سقوط حجیته وبالتالی عن عدم نبوته أساساً أیضاً لأن ذلک لیس من صلاحیات الأنبیاء والرسل.

فالقرآن الکریم وبدیهیات العقل تضع لنا نصاباً وضابطة لحجیة الرسل والأنبیاء وذلک أن مشروعیة الرسل ورسالة الرسل وشرائع الرسل یجب أن لا تخرج عن التوحید والتنزیه والتعظیم لله تعالی، وأن منتهی العلو والعلیاء إنما هو للباری تعالی لا غیره وأن المبدأ والمعاد إلیه جلّ وعلا، فضروریات الدین قاعدة رقابیة علی الرسل وعلی حجیة الرسل لو تخطوها وحاشاهم ذلک لانکشف أنهم لیسوا برسل ولسلبت صلاحیاتهم من النبوة والرسالة وبهذه القاعدة الرقابیة نمیز ونفرق ونستکشف صدق الرسول المحق من زیف المدعی للرسالة کمسیلمة الکذاب، فمن خلال تجاوزه لحدود توحید الله أو لضرورات دین الله اتضح بطلان ما یدعیه لنفسه من النبوة.

فالرسل وإن کانوا معصومین ومنزهین یصطفیهم الله تعالی فی غابر علمه إلّا أن الله تعالی یقول: لا تلغوا ولا تقصوا عقولکم، بل إن الرقابة والفحص مستمر ولا بدَّ منها، لأن دین الله هو دین النور والهدایة ودین المناهج والشرائع المنضبطة ودین البصائر لا دین العمایة، فحجیة الرسل تتلو حجیة الله (عزوجل) فهی محدودة بحجیة الله.

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۷۷

سنن الأنبیاء ثالث القواعد ...: ص: ۳۷۷

وحجیة الرسل بدورها ضابطة وقاعدة رقابیة لمعرفة الناس لإمامة الأئمّة (علیهم السلام) أی أن حجیة الأئمّة لا تخرج من هیمنة حجیة سید الرسل، فهم (علیهم السلام) لا یتجاوزون ضروریات سنن الرسول (ص)، لذلک قال رسول الله (ص) لأمیر المؤمنین (ع): «إنی قاتلت علی تنزیل القرآن وستقاتل أنت یا علی علی تأویله» («۱») فإنّ الأمیر (ع) لم یکن لیتجاوز شریعة سید الرسل بل مطبق لها وسائر علی نهجها فهو حارب علی تأویلها أی علی تطبیق ما جاء به سید الرسل.

لذا نقرأ فی زیارة أمین الله: «أشهد أنک جاهدت فی الله حق جهاده وعملت بکتابه » («... ۲») فهو (ع) تابع لضرورات فرائض الله وعامل بکتابه تعالی ومطبق لسنن سید الرسل (ص)، فمن العلامات الکبری لحقانیة سید الأوصیاء أنه عمل بسُنّة النبی (ص) ولیس مبدلًا لها.

وهکذا کثیر من الزیارات لأمیر المؤمنین (ع) فیها نعوت کثیرة

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۷۸

ومتمیزة لسید الأوصیاء (ع) بأنه منفذ متقید تابع لضرورات الدین ولسُنّة النبی (ص).

فبدیهیات العقل وضرورات الدین وسُنّة سید المرسلین قواعد رقابیة تکشف للأمّة الإسلامیّة من هو علی (ع) ومن هو غیره، من هو إمام الهدی ومن هو إمام الضلالة، من سار علی دین الله وسُنّة نبیه ومن خالف وأحدث وبدل فی السُنّة الشریفة لسید الرسل (ص).

وکذا الزهراء (ع) وما أدراک ما الزهراء الصدیقة الطاهرة بضعة الرسول سیدة نساء أهل الجنّة وهی تسود کل النساء الصالحات المؤمنات نزلت بحقها العدید من الآیات، التطهیر، المباهلة، وسورة الإنسان وما اسند إلیها من صلاحیات الفیء وهی أقرب قربی النبی،

والنصوص مفعمة فى حقها (ع) ومع كل ذلك فإنّها فى خطبتها ومحاججتها مع السلطة لم تطلب شيئاً من ذلك، وإنما قالت: «أفخصكم الله بآية أخرج أبى (ص) منها أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان أوَلست أنا وأبى من أهل ملّة واحدة» («۱») ومفاد ذلك منها (ع) أنها تقول للعقول: إن دين الإسلام ليس دين عماء وعماية بل دين بصيرة، فابصروا بعقولكم هل خرجت عن ملّة أبى كى لا أرثه، أى أنى لا زلت تحت القواعد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۷۹

الرقابية الواجب على عدم تجاوزها فإنّى لم أتجاوزها فلم أخالف ضروريات الدين ولا سُنّة سيد المرسلين.

إذاً حجية الزهراء (ع) مع عصمتها وما لها من المقامات الأخروية والتكوينية وعلو شأنها مع كل ذلك هى فى ظل ضرورات الدين وفرائض الله وضرورات سُنّة أبيها سيد المرسلين (ص) ومنهاج أمير المؤمنين (ع)، فحجية الله وحجية الرسول (ص) وحجية سيد الأوصياء (ع) فوق حجية الزهراء أى أن حجية الزهراء منضبطة ضمن إطار حجية الله وحجية الرسول، فلحجية الله والرسول الهيمنة على حجية الزهراء والأئمّة الأطهار (عليهم السلام).

فمن هذا القبيل كلام سيد الشهداء (ع) يوم عاشوراء: «يا ويلكم أتقاتلونى على سُنّة بدلتها أم على شريعة غيرتها » («... ۱») فإنّ معنى ومؤدى هذه العبارة من الإمام الحسين (ع) أن إمامته وحجيته دون حجية الرسول (ص) وأن هناك قاعدة رقابية تحده إذا تجاوزها، فللغير أن يعرفه بتلك الحدود والمقررات ويحاسبه ويقاتله، وأما مع عدم تجاوزه دائرته وحجيته وأنه ما زال ضمن مرتبته فلا يحق للغير من العامة والناس مُسائلته ومقاتلته، بل اللازم اتّباعه وطاعته، وتلك القاعدة الرقابية هى دين الله وشريعة سيد الرسل، فضرورات وفرائض دين الله وضرورات وسنن النبى (ص) قواعد رقابية معرفية للناس على استقامة أئمّة أهل البيت (عليهم السلام)، وهو أمر عظيم فالإمام الحسين لا يطالب الناس بالالتفات إلى عصمته وأنه ريحانة الرسول وأن الكثير من الآيات نازلة بحقه وأنه سيد شباب أهل

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۸۰

الجنّة و ... فإنّ كل ذلك مفروغ عنه ولا شكّ فيه، كما أنه لم يطالب بالالتفات إلى ما نُص عليه من إمامته وخلافته، بل طالب بالالتفات إلى أنه لم يخالف القواعد الرقابية المعرفية وهى دين الله وسُنّة رسوله فيقول: إنى لم أخرج عن ضرورات فرائض الله ولا ضرورات سنن النبى (ص)، فإنّه ليس لى صلاحية ذلك، وإلّا فلو خرجت عن ذلك لاستحللتم تكفيرى وقتلى وسفك دمى.

فلننظر إلى الدين الإسلامى ومذهب أهل البيت كم هو رائع، فإنّه دين التثبت والعقل والبصيرة لا دين العماية، لو افترى على الله والعياذ بالله لأخذنا منه باليمين أو لقطعنا منه الوتين قال تعالى: لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ* ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ («۱»).

لذا فإنّ حجية الأئمّة (عليهم السلام) فى ظل هيمنة حجية الله ورسوله وتابعه لها، كما يقول الإمام على بن موسى الرضا (ع): «إن الله حرم حراماً وأحل حلالًا وفرض فرائض، فما جاء فى تحليل ما حرم الله أو فى تحريم ما أحل الله أو دفع فريضة فى كتاب الله رسمها بين قائم بلا ناسخ نسخ ذلك فذلك ما لا يسع الأخذ به، لأن رسول الله (ص) لم يكن ليحرم ما أحل الله ولا ليحلل ما حرم الله ولا ليغير فرائض الله وأحكامه، كان فى ذلك كله متبعاً مسلماً مؤدياً عن الله، وذلك قول الله: إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ («۲») فكان (ع) متبعاً لله مؤدياً عن الله ما أمره به من تبليغ الرسالة»، قلت: فإنه يرد عنكم الحديث فى الشىء عن رسول الله (ص) مما ليس فى الكتاب وهو فى السُنّة ثمّ يرد خلافه، فقال: «كذلك قد نهى رسول الله (ص) عن أشياء نهى حرام فوافق فى ذلك نهيه نهى الله، وأمر بأشياء فصار ذلك

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۸۱

الأمر واجباً لازماً كعدل فرائض الله فوافق فى ذلك أمره أمر الله، فما جاء فى النهى عن رسول الله (ص) نهى حرام ثمّ جاء خلافه لم يسع استعمال ذلك، وكذلك فيما أمر به، لأنا لا نرخص فيما لم يرخص فيه رسول الله (ص) ولا نأمر بخلاف ما أمر به رسول الله (ص) إلّا لعلة خوف ضرورة، فأما أن نستحل ما حرم رسول الله (ص) أو نحرم ما استحل رسول الله (ص) فلا يكون ذلك أبداً، لأنّا، تابعون لرسول الله (ص) مسلمون له كما كان رسول الله (ص) تابعاً لأمر ربه مسلماً له، وقال الله (عزوجل): وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ

وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا («١») وإن الله نهى عن أشياء ليس نهى حرام بل إعافة وكراهة، وأمر بأشياء ليس بأمر فرض ولا واجب بل أمر فضل ورجحان فى الدين، ثمّ رخص فى ذلك للمعلول وغير المعلول، فما كان عن رسول الله (ص) نهى إعافة أو أمر فضل فذلك الذى يسع استعمال الرخصة فيه، إذا ورد عليكم عنا الخبر فيه باتفاق يرويه من يرويه فى النهى ولا ينكره وكان الخبران صحيحين معروفين باتفاق الناقلة فيهما يجب الأخذ بأحدهما أو بهما جميعاً أو بأيّهما شئت وأحببت، موسع ذلك لك من باب التسليم لرسول الله (ص) والردّ إليه وإلينا، وكان تارك ذلك من باب العناد والإنكار وترك التسليم لرسول الله (ص) مشركاً بالله العظيم، فما ورد عليكم من خبرين مختلفين فاعرضوهما على كتاب الله، فما كان فى كتاب الله موجوداً حلالًا أو حراماً فاتبعوا ما وافق الكتاب، وما لم يكن فى الكتاب فاعرضوه على سنن رسول الله (ص)، فما كان فى السُنّة موجوداً منهياً عنه نهى حرام ومأموراً به عن رسول الله (ص) أمر إلزام فاتبعوا ما وافق نهى رسول الله (ص) وأمره، وما كان فى السُنّة نهى إعافة أو كراهة ثمّ كان الخبر الأخير خلافه فذلك رخصة فيما عافه رسول الله

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٨٢

(ص) وكرهه ولم يحرمه، فذلك الذى يسع الأخذ بهما جميعاً وبأيّهما شئت وسعك الاختيار من باب التسليم والإتباع والردّ إلى رسول الله (ص)، وما لم تجدوه فى شىء من هذا الوجوه فردوا إلينا علمه فنحن أولى بذلك، ولا تقولوا فيه بآرائكم، وعليكم بالكف والتثبت والوقوف وأنتم طالبون باحثون حتّى يأتيكم البيان من عندنا» («١»).

فكما أن الدين قاعدة رقابية على حجية الرسل، كذلك شريعة الرسول محمّد (ص) وسُنّة سيد الرسل (ص) قاعدة رقابية على حجية الأئمّة (عليهم السلام)، فليس من صلاحيات الأئمّة تبديل ضرورات سنن سيد الرسل، لذا قال الرسول (ص): «أيها الناس حلالى حلال إلى يوم القيامة وحرامى حرام إلى يوم القيامة» («٢»)، فالأئمّة لما لم يكونوا أنبياء فهم لم يأتوا بشريعة غير شريعة سيد الأنبياء (ص)، وهذه قاعدة رقابية أعطاها الله تعالى ورسوله (ص) للأمّة الإسلاميّة لتمييز الإمام المحق من الإمام الباطل المبطل.

وهذا معنى تراتبية الحجج، أى أن بعض الحجج أكبر من البعض الآخر.

مواقف الزهراء (ع) رابع القواعد الرقابية ...: ص: ٣٨٢

يقول النبى (ص): «يا على أنا كالشمس، وأنت كالقمر، والزهراء كالزهرة، والحسنان كالفرقدين» («٣»)، فهذا التشبيه والفوارق منه صلوات الله عليه يذكرها لبيان تراتبية الحجج وأن بعض الحجج فوق بعض، فإنّ حجية الرسول (ص) فوق حجية سيد الأوصياء، وحجية سيد الأوصياء

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٨٣

فوق حجية الزهراء، وحجية الزهراء فوق حجية الحسنين (عليهم السلام)، فلا يمكن لسيد الأوصياء (ع) أن يتخطى مواقف الرسول (ص)، ولا يمكن للزهراء (ع) أن تتخطى مواقف سيد الأوصياء (ع)، ولا يمكن للحسنين (ع) أن يتخطيا مواقف الزهراء (ع) فى الأحداث التى جرت بعد رسول الله (ص)، كما لا يمكن لإمام من أئمّة أهل البيت الأحد عشر أن يتخطوا الزهراء (ع)، لأن حجيتها فوق حجيتهم، كما ينسب إليه (ع ...): « وجدّتنا الزهراء حجة علينا » («... ١») وهو مضمون أن نورهم اشتق من نورها كما فى روايات النور المستفيضة، ومضمون أن من مصادر علمهم (عليهم السلام) مصحف فاطمة (ع).

كما أن حجية الحسنين فوق حجية الأئمّة التسعة، فلا يمكن أن نتصور ونتعقل ما قد يذكر من الفهم المعوج من أن الإمام المهدى يدعو لمعاداة آباءه من الأئمّة وأنه يهدم قبورهم ومراقدهم وعدم تعظيمهم («... ٢»).

فإنّ ذلك خلاف صلاحياته ورتبة حجيته (ع) فلا يمكنه نبذ اتّباع روايات آبائه وسننهم وضرورات الدين وسُنّة سيد المرسلين فله دائرة حجية لا يتعداها ولا يتجاوزها، ويؤكد ذلك ما يذكره الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبة والشيخ الصدوق فى كتاب كمال الدين وما فى

كتاب الغيبة للنعمانى وغيرها من كتب الأصحاب أنه (ع) حينما وجهت إليه أسئلة على يد النواب الأربعة (رض) فإنّه أكثر من تسعين بالمائة من الأجوبة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٨۴

وتوقيعاته الشريفة كانت إرجاعات لضرورات سنن آبائه السابقين (عليهم السلام) من رواياتهم وتراثهم الشريف لأن ذلك التراث من آبائه يمثل ضرورات سنن الرسول والأئمّة الصالحين الطاهرين، فهو (ع) بذلك يؤكد ويُشدد يد الناس عليها لأنها قاعدة رقابية معرفية لاستقامة الإمام الثانى عشر (ع)، لأن اعتقادنا بالإمام الثانى عشر فرع وتابع لاعتقادنا برسول الله ولاعتقادنا بالإمام على بن أبى طالب ولأنّا اعتقدنا بالزهراء ومظلوميتها (ع) ولأنّا اعتقدنا بالحسنين (ع)، فكيف يتصور أن الإمام الثانى عشر (ع) يتخطى إمامة أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) لأنهم قاعدة رقابية على معرفة حجيته.

وحتّى لو فرضنا فى عصر الظهور وبويع الإمام (ع) عند ركن الكعبة وحشدت أنصاره وهزم جيش السفيانى وأقام الإمام الدولة المباركة على أرض العراق و، ... فهل يمكن الاستغناء عن تراث أهل البيت (عليهم السلام)؟

كلا وحاشى، لأن تراث أهل البيت (عليهم السلام) فيه ضرورات سُنّة النبى (ص) وضرورات سنن المعصومين، والإمام المهدى (ع) وإن كان فى الحقيقة ينبوع كل شىء ولكن لا يمكن أن يستغنى عن ضرورات الدين وسنن النبى والأئمّة، وهو لا يتخطى ذلك لأن ضرورات الدين وسنن النبى والأئمّة من آبائه الطاهرين قواعد رقابية على حجيته.

فلو ادعى مدعى أنه الإمام المهدى، ثمّ تجاوز ذلك التراث لكشف ذلك عن زيف دعواه، فلا يتوهم متوهم أنه (ع) لأجل أن عنده علم كل شىء وبالتالى يتخطى ويقفز على شريعة جدّه حاشاه ذلك، بل هو يحيى شريعة جدّه فى دائرة المتشابهات وما هو منسى من سُنّة النبى،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٨۵

لذلك فإنّ أحد المهام العظيمة للحوزات العلمية هو إبقاء دور الفقهاء كجهاز وأيدى وسواعد وأعوان للإمام المعصوم فى دولة الظهور ودولة الرجعة وإن كان للإمام فى دولته نواب خاصون.

ولا يتوهم أن الإمام (ع) بعد ظهوره حيث تتكامل العلوم والعقول فلا تبقى حاجة لتراث أهل البيت (عليهم السلام)، لأن الاعتقاد بالإمام والإمامة وحجيته لا تعنى الغلو بأن يعتقد بأن صلاحية الإمام هى صلاحيات النبوة، لأن المجىء بشريعة جديدة ناسخة لشريعة سيد المرسلين باطل بالضرورة.

كما لا يعتقد فى الإمام الألوهية بأن ينسخ ضروريات وفرائض الله تعالى وضرورات الدين الإلهى، فلا نسخ فى ضروريات الدين ولا ضروريات سنن النبى (ص) فضلًا عن بديهيات العقل، فلا محالة تكون هذه الضروريات بمنزلة قاعدة يستكشف بها صدق الإمام وأنه إمام الحق الموعود.

فكيف يفرض ويتوهم رفعه لمثل تلك الضروريات وقد وصف (ع) فى كثير من الروايات أنه يحيى كتاب الله وسُنّة النبى ومنهاج آبائه الأطهار لا أنه يُميتها، فمع هذه الأوصاف كيف يُتخيل أو يُتعقل أنه يقصى ويشطب على تراث أهل البيت (عليهم السلام) الذى هو متضمن لضروريات الدين وسنن النبى وسنن الأوصياء ومناهجهم، وما أشبه هذا التوهم بتوهم من يتوهم أن القرآن يُقصى ويبعد ويستغنى عنه عند ظهور الإمام، فإنّ المتوهم يُعلل ذلك بأنه مع وجود القرآن الناطق وهو الإمام فلا حاجة للقرآن الصامت، وكأن هذا المتوهم يحسب أن ارتباط كل الناس بالقرآن الناطق خط مفتوح على مصراعيه فى كل الأوقات والأحوال، ولو صح هذا التوهم لصرنا كلنا أنبياء! بوجود هذا الارتباط.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٨۶

وكذلك الفقهاء والنواب سواء بالنيابة الخاصة أم العامة ليس من صلاحياتهم التعدى على سنن ومناهج الأئمّة (عليهم السلام)، فإنّ

حجیهٔ الفقهاء متفرعهٔ عن حجیهٔ الأئمّهٔ، ولو جاز تعدیهم لزاد الفرع علی الأصل، إذاً حجیهٔ الأئمّهٔ ودائرهٔ سنن وضرورات الأئمّهٔ (علیهم السلام) قاعدهٔ رقابیهٔ معرفیهٔ علی حجیهٔ الفقهاء.

لذلک لم تفتأ شیعهٔ أهل البیت (علیهم السلام) من إعمال القواعد الرقابیهٔ حتّی علی النواب الأربعهٔ فی الغیبهٔ الصغری رغم ما نص علیهم من قبل الأئمّهٔ الأطهار (علیهم السلام) فإنّ القواعد الرقابیهٔ والفحص والتثبت وإعمال العقل لم تلغ حتّی فی معرفهٔ الله تعالی وحتّی فی معرفهٔ الرسل والأوصیاء فکیف تلغی بحق النواب والسفراء والفقهاء، وهذا لا ینافی احترامهم وتبجیلهم، إذ هذه القواعد ضوابط معرفیهٔ فی معرفهٔ الرسل والأوصیاء فکیف بمن دونهم، وإنما ذلک لأن حجیتهم محدودهٔ وواقعهٔ تحت حجیهٔ الأئمّهٔ (علیهم السلام) فإنّ خروجهم منها یکشف عن إلغاء حجیتهم.

وهذا من روائع الإسلام أنه لا یقصی المعرفهٔ والعقل، فالقرآن الکریم یعرفنا بأن معرفهٔ الله تعالی لو تخطت العدل والاحسان والعیاذ بالله لکانت معرفتنا بالله باطلهٔ، وهکذا فی معرفتنا وتصدیقنا بالرسول (ص) فإنّه لا یخرج عن التوحید، وإلّا لو خرج بطلت حجیته ولانکشف أنه مسیلمهٔ الکذّاب وأنه لیس رسولًا لله حاشاه من ذلک، ونحن إنما نذکر ذلک للتوضیح وإلّا فالنبی (ص) حجیته ثابتهٔ ویقینیهٔ ومعاذ الله أن نشکّک فی ذلک.

وهکذا الإمامهٔ لو خرج مدع لها وبدّل سُنّهٔ النبی (ص) لانکشف أنه لیس بالإمام المحق، لذا لم یفتأ علماء الإمامیهٔ ومدرسهٔ أهل البیت

دعوی السفارهٔ فی الغیبهٔ الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۸۷

(علیهم السلام) من تسجیل المؤآخذات علی من بدّل سُنّهٔ النبی (ص)، لأن ذلک لیس بالأمر المنفلت وغیر تابع لضوابط وقواعد وإنما أمر عظیم ومنضبط، قال تعالی: وَتَحْسَبُونَهُ هَیِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِیمٌ («۱»).

فإنّ تبدیل سُنّهٔ النبی یعنی عدم التبعیهٔ للنبی (ص) وخروج عن الحق وعن الصراط المستقیم، فلیس الأمر خیاریاً یعمل أو لا یعمل ویتبع أو لا- یتبع، وإنما هو أمر محتوم قال تعالی: قُلْ أَطِیعُوا اللَّهَ وَأَطِیعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَیْهِ ما حُمِّلَ وَعَلَیْکُمْ ما حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِیعُوهُ تَهْتَدُوا وَما عَلَی الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِینُ («۲») فهذا أمر موجه للکل بأن یطیعوا الله بما فیهم الرسول فی الدرجهٔ الأولی والإمام فضلًا عن عامهٔ الناس وقوله: أَطِیعُوا الرَّسُولَ أمر موجه للکل بما فیهم الإمام فی الدرجهٔ الأولی فضلًا عن عامهٔ الناس، فأوّل من أطاع الرسول هو علی بن أبی طالب (ع)، کما أن أوّل من أطاع الله هو الرسول (ص) وهو السابق علی جمیع الأنبیاء والمرسلین والمخلوقین فی طاعهٔ رب العالمین.

وعلی بن أبی طالب هو السابق لطاعهٔ الرسول (ص) فإنّ أَطِیعُوا الرَّسُولَ أمر موجه للکل بما فیهم أئمّهٔ أهل البیت (علیهم السلام)، بل ولعامهٔ الأنبیاء والمرسلین فی الدرجهٔ الأولی، ثمّ لسائر الخلق من الجن والإنس.

وقال تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللَّهَ وَأَطِیعُوا الرَّسُولَ وَأُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِی شَیْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَی اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ کُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْیَوْمِ الْآخِرِ ذلِکَ خَیْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِیلًا («۳») فقوله: وأطیعوا أولی الأمر أمر موجه لعامهٔ الفقهاء والنواب الخاصین بل حتّی للنبی عیسی (ع)، أوَلا یکون

دعوی السفارهٔ فی الغیبهٔ الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۸۸

عیسی وزیراً للمهدی (ع) ویصلی خلفه («۱»)؟ فإنّ هذه الآیهٔ عامهٔ، والنبی عیسی (ع) حی وکذا الخضر حی، فهما مشمولان بوجوب طاعهٔ أولی الأمر من أهل البیت (علیهم السلام).

منهاج الأئمّهٔ خامس القواعد الرقابیهٔ ...: ص: ۳۸۸

فإنّ حجیهٔ الأئمّهٔ (علیهم السلام) مهیمنهٔ علی حجیهٔ الفقهاء، لذلک نجد فی أوّل الرسائل العملیهٔ للفقهاء یقولون: إن صلاحیتنا فی الفتوی محدودهٔ أی فی غیر الضروریات وفی غیر العقیدهٔ، فإنّ العقیدهٔ من الدین الذی لا یغیّر باختلاف الآراء فهی لیست ضمن دائرهٔ

حجية الفقهاء.

لذلك نجد مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) تؤكد وتحث عامة الناس على متابعة ومراقبة النواب والفقهاء.

فإنّ ما تقدم ذكره من جمع الروايات فى كتاب من قبل النائب الثالث الحسين بن روح النوبختى (رض) وعرضها على فقهاء قم تؤكد ذلك، فإنّ النائب وإن كان يحظى بمنزلة خاصة وتبجيل الإمام الثانى عشر (ع) ولكنه من جهة روايته لروايات الأئمّة السابقين (عليهم السلام) فهو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٨٩

خاضع للقواعد الرقابية المعرفية وهى عدم تجاوزه لضرورات سُنّة الأئمّة المعصومين السابقين، فحتّى لو كان نائباً خاصاً يبقى تحت المراقبة والمتابعة ليعلم كونه ضمن دائرة حجيته ولم يتعدها وإلّا سقطت حجيته، وانكشفت عدم نيابته وسفارته أساساً.

فإنّ حجية الأئمّة قاعدة رقابية معرفية على حجية السفراء والفقهاء، وإن حجيتهم تحت ظل وهيمنة حجية الأئمّة (عليهم السلام)، بل إن حجيتهم قطرة أو نقطة فى محيطات وسماء المعصومين (عليهم السلام).

لذلك فإنّ الإمام على بن أبى طالب (ع) كان يجعل مراقبين على كل والٍ من الولاة الذين يولّيهم فى دولته، فأىّ والٍ منهم يتجاوز أو يتخطى الاستقامة وطريق العدل ويرتكب جوراً والعياذ بالله فإنّه (ع) يعزله مباشرةً، لأن صلاحيات الوالى عن على بن أبى طالب (ع) لا تتجاوز حدود حجية على بن أبى طالب (ع) ولا تتجاوز حجية الرسول (ص).

فهكذا هى منظومة الدين، وهكذا يجب أن نعيها ونعرفها ونبصرها كى لا تشتبه وتلتبس علينا الفتن واللوابس، فإنّها منظومة محكمة فى دين الله تعالى ودين رسوله (ص) وفى مذهب أهل البيت (عليهم السلام) إحكاماً تاماً، لذا لم يُلغَ دور الفقهاء فى الغيبة الصغرى ولن يلغَ فى دولة الظهور، لأن دولة الظهور هى دولة الإسلام الصحيح والتطبيق الواقعى لدين الله، فهى دولة العلم والعلماء لا دولة الجهل والجهلاء، ودولة الفضل والفضيلة لا دولة الرذيلة والرذائل، ودولة المكارم لا دولة السفاسف.

فباعتبار أن أصعب الامتحانات والفتن كما مرَّ هى فى قوة العقل والفكر والبصيرة فى الإنسان فلا بدَّ أن تلحظ منظومة الحجج والأدلّة ومراتب الحجج وإلّا كان الأمر صعباً مستصعباً.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٩٠

فإنّ الله تعالى فى قوله: هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ («١») يخبرنا بأنه لا بدَّ أن تكون لنا منهجية فى التفكير وفى المعرفة والبصيرة وألّا نتبع العشوائية والفوضوية.

وقوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللَّهِ («٢») ليس خاصاً بالتوراة، بل هو من الدين الذى يعم كل بعثات الأنبياء ليحكموا بها حكم قضاء وسلطة تنفيذ وحكومة سياسية وقضائية وتشريعية وفتوائية، فقوله تعالى: يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ أى الأنبياء، وَالرَّبَّانِيُّونَ أى الأوصياء والأئمّة المعصومون (عليهم السلام)، وَالْأَحْبارُ أى العلماء الفقهاء، فإنّ رتبة الفقهاء تأتى بعد رتبة الأنبياء والأوصياء، وإن كان الفقهاء قطرة من سماء الأنبياء ولا يقاسون بأحد من الأئمّة ولكن هذا لبيان عدم إلغاء دور الفقهاء وأن لهم مرتبة حجية على الناس وهذه المرتبة تحت ظل وهيمنة الأوصياء، وقوله: بِمَا اسْتُحْفِظُوا أمر للأنبياء بحفظ كتاب الله، والحفظ يكون بالعمل به وتعليمه وإقامته فى البشرية، وبالتالى فهو أمرٌ للأوصياء بذلك أيضاً أى بأن يحفظوا كتاب الله، وهكذا الأحبار العلماء، وهذه الآية فريضة فى كل الشرائع لأنها من فرائض دين الله (عزوجل).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٩١

وإلّا فإنّ اتّباع المتشابه ونبذ المحكم وعدم الوعى فى المعرفة والبصيرة مرض عقلى والعياذ بالله ناشئ من الانحراف فى السلوك والتطبيق، أى من ارتكاب المحرمات والفواحش، والتساهل فى واجبات دين الله.

الواقع والاستكشاف فى الحجج ...: ص: ٣٩١

عندما نرتب وننظم هذه المراتب من الحجج ثبوتاً، أى ندركها ثبوتاً فإنّ لها ترتيباً ونظماً إثباتياً كذلك، والتفريق بين المقامين دقيق ويجب أن لا يكون هناك فصل إذ أن التغاير بينهما تغاير حيثى، ولا يمكن الفصل بين هاتين الحيثيتين.

فعندما نضع بديهيات العقل فى رأس الهرم لمراتب الحجج فإنّا لا نفرط فيه ونجعله شاملًا حتّى لنظريات ومتشابهات العقل، وإنما العقل حجة وله هذه المرتبة فى ضمن البديهيات من الأوّليات والفطريات ونحوها.

فالبديهيات العقلية جعلت قاعدة معرفية استكشافية حتّى فى معرفة التوحيد إنما ذلك إذا كانت فى دائرة مسلمة وواضحة وهى البديهيات، وأما فى حدود الادراك العقلى النظرى والذى يكون محل اختلاف الأنظار فلا يمكن أن يكون العقل فى هذه الدائرة قاعدة محكّمة ومحكَّمة وميزان فصل، لأن هذه الدائرة من إدراكات العقل ليست مسلمة وليست واضحة وإنما هى محل اختلاف الأنظار!

وهكذا فرائض دين الله تعالى إنما كانت فى المرتبة الثانية للحجج ثبوتاً إذا كانت فى دائرة الضروريات، فهذه الدائرة هى القاعدة الاستكشافية والرقابية لحجية الرسول وتمييز الرسول المحق ممن يدعى الرسالة كذباً فذلك إنما يكون

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٩٢

فى حدود ما ثبت بالضرورة أنه من دين وفرائض الله تعالى، فلا يمكن لإله أن يأمر بغير العدل، لكن فى ضمن الدائرة الضرورية من العدل وليس فى الدوائر المتشابه منه، فإنّ حجية البارى تعالى وصلاحياته مهيمنة على حجية الرسول (ص) فى ظل دائرة ما أدركناه بالضرورة أنه من تشريعات الله، أما فى دائرة النظريات والمتشابهات من فرائض الله فإنّ حجية الرسول محكَّمة، فالرسول هو المبين للتشريعات التى لم ندركها بالضرورة.

فإنّا نستكشف الرسول المحق من المدعى كذباً من خلال تمرده وعدم تمرده على دائرة توحيد الله ودائرة ضروريات فرائض الله.

وهكذا نستكشف إمام الحق ونميزه من إمام الجور من خلال اتّباع سُنّة الرسول (ص) فى دائرة الضروريات، فليس للإمام تجاوز دائرة حجية الرسل فضلًا عن دائرة حجية العقل وضروريات فرائض الله تعالى.

فإنّ الإمام مشمول بقوله تعالى: وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ («١») لذا فالأئمّة (عليهم السلام) فى مناهجهم وطرائقهم المعصومة من الزلل والخلل لا- يتجاوزون ولا يتمردون على دائرة ضروريات سنن النبى (ص)، هذا ثبوتاً وواقعاً، وأما إثباتاً واستكشافاً فمن خلال استمرار الرقابة والمتابعة للإمام وأنه فى دائرة حجيته ولم يتجاوز ضروريات العقل وضروريات فرائض الله وضروريات سنن النبى (ص)، وهذه المتابعة لأجل تصحيح وسداد معرفتنا للإمام المحق وزيادة الإيمان به ولنميّزه عن إمام الجور، وبعبارة أدق نراقب معرفتنا للأئمّة من أوّل حياتهم إلى استشهادهم هل كان عملهم ضمن دائرة حجيتهم ولم يتجاوزوا ضرورات العقل والدين وسُنّة الرسول فهم أئمّة حق وإلّا فنعلم أنّا لم نكن نتبع إمام حق، لذلك

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٩٣

كانت من أبرز صفات أمير المؤمنين (ع) فى أكثر الزيارات الواردة: «أشهد أنك جاهدت فى الله حق جهاده وعملت بكتابه »... («١»)، «اللهم اجعله الداعى إلى كتابك والقائم بدينك » («... ٢») فإنّ علامة إمام العدل وإمام الحق أنه محيى لسنن النبى ومقيم لفرائض الله تعالى ولا يتمرد عليها والعياذ بالله.

أهمية الحورات العلمية الدينية ...: ص: ٣٩٣

لذلك فإنّ من أحد الانجازات العظيمة للحوزة العلمية أنها تُبقى وتحافظ على درجة الادراك الضرورى لضروريات الدين وسنن النبى

(ص) ومنهاج أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، تبقيها على مستوى الضرورة، لأنه بالنشر العلمى والتكريس والتركيز العلمى تبقى الأدلّة بديهية ومعلومة وبيّنة لدى عموم المؤمنين والمسلمين.

وأما لو طرأ النسيان والغفلة والابتعاد والهجران للدين والكتاب والسنة حينئذٍ تعود البديهيات والضروريات نظريات، وهذا أمرٌ خطيرٌ جدّاً، لأن حومة الدين تصبح فريسة وضحية لكل عابث ومُتلصص، لأن الضرورة صفة إدراكية فى عقول البشر قد تتأثر بعوامل الزمن والهجران والنسيان وغيرها.

من هنا نفهم أن أعداء أهل البيت لماذا سعوا كثيراً لتدمير الحوزات العلمية واستهداف طلبة العلوم الدينية، فإنّ هؤلاء يقومون بدور مهم ومسؤولية خطيرة وهى حفظ الدين فى بيئته الادراكية لدى العقول والمحافظة على حياة الدين فهما ضمان لامتداد مسار وخط الأنبياء من خلال إبقاء الحالة العلمية

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۹۴

والادراكية وحالة البداهة فى البديهيات وحالة الضرورة فى الضروريات، وهذا سدٌ منيع عن عوامل التآكل وعوامل الهدم والإبادة، فإنّ بقاء الدين ليس بوجوده الثبوتى الواقعى فى بطون الأدلة، وإنما فى بقاءه الإثباتى الادراكى فى العقول أيضاً وبقاءه معلوماً لدى النسل البشرى إذ العلم يموت بموت أهله، وإن الأعداء يعلمون بخطورة بقاء الدين فى بيئته العلمية فضلًا عن بقاءه الثبوتى، فإنّ ما سنذكره لاحقاً من مفاد بعض التقارير الصادرة من بعض الجهات الغربية حيث صرحت بأنهم فشلوا فى إبادة مدرسة أهل البيت وبالخصوص حوزة النجف الأشرف بحسب تصريحهم رغم ما قدموه من إمكانيات هائلة للنظام البعثى («۱») فى العراق، فإنّ المقصود من الفشل ليس الفشل فى إبادة الأبنية وتهديمها، ولا الفشل فى استئصال وتصفية الأجسام والدماء، ولا غير ذلك، وإنما هم فشلوا فى إبادة هذه الحالة الوجودية العلمية من تراث أهل البيت، فإنّ بقاء الدين فى بيئته العلمية بفضل طلبة العلوم الدينية فشلٌ ذريعٌ لهم لعلمهم بأن بقاء الدين بهذا

"

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۹۵

النحو يكون ذا حصون وقلاع تمنعهم من تمرير ثقافاتهم الالحادية والانحرافية والمادية...

لأن هذه القواعد فى الحجج هى قواعد رقابية استكشافية تتقوم بجنبة ثبوتية وبجنبة إثباتية، أما الثبوتية فهى واقع الدين، وأما الإثباتية فهى كون الدين بحالة ادراكية واصلة إلى درجة الضرورة والبداهة.

بين البصيرة والتمرد ...: ص: ۳۹۵

من هنا فإنّ من اعترض وتمرّد على النبى (ص) فى عهده فذلك لا يمكن تبريره بأنه كان تحكيماً لفرائض الله على سنن النبى، لأن ذلك الاعتراض والتمرّد لم يكن فى دائرة الضروريات، بل كان فى دائرة المتشابهات والنظريات، وفى هذه الدائرة ليس لأحد أن يحكم فهمه القاصر ويجتهد فى قبال النص، فإنّ فرائض الله التى هى فى درجة النظرية أو الجزم النظرى فضلًا عن مراتب النظريات الأخرى لا يمكن أن تجعل محكّمة للاعتراض والتمرّد على النبى (ص)، لذلك نحن ننتقد وندين أولئك الذين تمردوا على طاعة النبى (ص) وعصوه وإن كانت ذريعتهم الاجتهاد أو تحكيم فرائض الله، لأن تلك الدائرة التى اعترضوا فيها هى دائرة المتشابهات والنظريات، والنبى أعلم بذلك فى تلك الدائرة، فكما لا افراط فلا تفريط فى معرفة النبى (ص) «المتقدم لكم مارق والمتأخر عنكم زاهق» («۱») أى لا غلو ولا تقصير.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۹۶

الغلو والتقصير تعريف آخر ...: ص: ۳۹۶

فإنّا لا نقول بأن صلاحيات النبى تتجاوز ضروريات فرائض الله، وهذا معنى عدم الغلو إذ الغلو وهذا معنى جديد نذكره للغلو إعطاء صلاحيات فوق دائرة حجية تلك الحجة، فإنّ القائل بالغلو فى النبى يعطى للنبى صلاحيات تغيير فرائض وضرورات دين الله، أما عدم الغلو فى النبى وعدم التقصير فيه هو أنه لا يتجاوز ضرورات وفرائض دين الله وأنه تحت هيمنة وطاعة الله تعالى فى دائرة الضروريات، أما النظرية من فرائض وأحكام دين الله فنتعلمها ونستبينها من النبى (ص)، فمعنى عدم التقصير فى حجية النبى أن له الصلاحية فى دائرة النظريات والمتشابهات.

وهذا رسم لحجية النبى ثبوتاً وإثباتاً، فثبوتاً أنها بعد فرائض ودين الله وأنها محدودة ومهيمن عليها من قبل حجية الله وصلاحياته، وإثباتاً أى أن حجية النبى (ص) محدودة بغير الضروريات الفطرية والأوّلية وبغير الضروريات الدينية التى اجتمعت عليها كل أديان السماء.

وهذا نظير قول الفقهاء فى أوّل رسائلهم العملية أنه لا تقليد فى ضرورات الدين، لأنه لا حجية للفقيه أصلًا فى دائرة الضروريات.

فإنّ صلاحيات الأنبياء إنما فى غير دائرة الضروريات من فرائض الله تعالى بأن لا يتجاوزوا ولا يتعدوا على التوحيد والعدل وضرورات الفرائض من الصلاة والصوم ... قال تعالى: فَأَرْسَلْنا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ («۱») وقال تعالى: رَبَّنا وَابْعَثْ فِيهِمْ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٩٧

رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ («۱») أى أن صلاحيات الأنبياء لا تمثل ولا تتسع لدائرة ضروريات وفرائض الله تعالى.

وهكذا حجية الأئمّة تحدد إثباتاً وثبوتاً بما دون سننه (ص)، فحجية الأئمّة (عليهم السلام) تأتى بعد منطقة ودائرة ودرجة فرائض الله وسنن النبى (ص).

وإثباتاً فحجية الأئمّة (عليهم السلام) فى غير ضروريات سنن النبى (ص)، أى فى النظريات والمتشابهات من سنن النبى (ص).

لذلك فإنّ النبى (ص) لم يشرع شيئاً لم يشرعه الله، وهكذا الأئمّة (عليهم السلام) لم يشرعوا شيئاً لم يشرعه الله ولا رسوله (ص)، بل إن الله تعالى يشرع أسساً، ثمّ الأنبياء يوالدوا ويشعبوا منها تلك المنظومات، ثمّ تأتى تشريعات الأئمّة (عليهم السلام) امتداداً وتطبيقاً وتنزيلًا وتشعيباً لها.

لذا فإنّ بديهات العقل وفرائض الله وسنن النبى (ص) هى قواعد محكمة استكشافية للتمييز بين الإمام الحق وبين المدعى للإمامة باطلًا. ولا يتوهم أن فى المقام دوراً، لأن كون بديهيات العقل وفرائض الله وسنن النبى قاعدة استكشافية لتمييز إمام الحق عن مدعى الإمامة فى دائرة الضروريات، وأما فى نظريات العقل ونظريات ومتشابهات الكتاب ومتشابهات سنن النبى فإنّ المحكم فى ذلك هو نفس الإمام، فللإمام حجية وصلاحية أن يبين مجهولات ومبهمات العقل ومجهولات ومبهمات الكتاب ومتشابهات ومبهمات سنن النبى (ص)، من هنا جاءت

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٩٨

الحاجة والضرورة الملحة للاهتداء والاقتداء بالإمام (ع)، فإنّ فى كل مرتبة حجية منطقتين منطقة ضروريات ومنطقة نظريات متشابهات، فمنطقة الضروريات تكون قاعدة استكشافية، رقابية، ومنطقة المتشابهات تكون تلك الحجة الأخرى فى المنطقة الضرورية محكمة فيها، بل بضميمة الضرورى من نفس الحجة أيضاً.

إذن من بركات هذه المعادلة وهى لابدّية المحافظة على منظومة الحجج ووجوب تحكيم الحجة الأعلى على الأدون أنه لا بدَّ من إعمال المراقبة فى طول الطريق وليس ابتداءً فقط، فمن يأتى بمعجزة ليثبت الحجية له لا يعنى ثبوتها مطلقاً، بل لا بدَّ من كونه فى طول

الطریق لا- یتجاوز الحجج الأعلی منه، وهذا هو الحاصل مع الأئمّة (علیهم السلام)، فرغم ثبوت إمامتهم إلّا أن الفقهاء والشیعة لم یفارقوا المتابعة والمراقبة لهم.

من هنا یتضح عدم التصادم مع روایة الرسول الأعظم (ص): «علی مع الحق والحق مع علی یدور الحق معه حیثما دار» («۱»)، فإنّ المقصود بهذه الروایة أنه (ع) حق بالنسبة لما دونه فی الحجج فی دائرة المتشابهات ولیس بالنسبة لما فوقه من الحجج، فإنّ علیاً (ع) هو یدور مدار حجیة وأحقیة بدیهیات العقل وضروریات دین الله وسنن نبیه (ص) فهو تابع لهذه الحجج الأعلی، لا أن بدیهیات العقل أو ضروریات الدین والسُنّة تدور مدار علی، بل لا بدَّ لعلی أن یدور مدارها، ویشیر إلی ذلک ذیل الحدیث النبوی «لا یفترقان حتّی یردا علیَّ الحوض» فجعل (ص) نفسه الشریفة مداراً ابتدأ منه الثقلان ومنتهی یصلان إلیه.

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۳۹۹

نعم، بالنسبة للدوائر الأخری التی هی دون تلک الحجج العلیا فإنّ الحق یدور مع علی (ع)، فهناک موازین ومقاییس لا یمکن ترکها أو تجاوزها فی تحدید الإمام، فإنّ الاعتقاد بالإمام نشأ من تلک الموازین والمقاییس.

إذاً فی ثبوت إمامة الإمام لا- بدَّ من ملاحظة أمرین: أمر إثباتی إبتدائی کالمعجزة ونحوها، وأمر إثباتی بقائی استمراری وهو عدم تجاوز الحجج الأعلی والبقاء فی هیمنتها وظلها، والأمر الأوّل لا بدَّ أن یکون واضحاً جلیاً یفهمه عامة الناس کالصیحة بالنسبة لظهور الإمام المهدی (ع)، ولا- یحصل القطع بالإمامة إلّا بتحقق الأمرین معاً، لذا نلاحظ الفقهاء والشیعة بشکل عام یطبقون علی الإمام الموازین والثوابت من البدایة إلی النهایة.

مما یدلل علی أن أتباع أهل البیت (علیهم السلام) یثبتون معرفة إمامهم دوماً عن بصیرة وعلم وبرهان، و لا یکتفون بالإثبات الأوّلی دون الاستمراری، فلا یمکن إلغاء الموازین العقلیة لا فی أوّل الطریق ولا فی وسطه ولا فی آخره، فالإمام لا بدَّ أن یکون طهراً طاهراً مطهراً لیس فقط فی أوّل الطریق بل علی طوله، وهذا من إعجاز الدین الإسلامی فی تبیان مدرسة أهل البیت (علیهم السلام).

وإلّا فلو ادعی مدّع الإمامة مع دلیل إثبات ابتدائی کالمعجزة ولکن لم یتم دلیل استمراری، کأن خالف ضروریات العقل أو الدین أو سُنّة النبی، فإنّ ذلک یکشف عن توهم المعتقد بإمامة ذلک المدعی.

وباختصار إن تحکیم الدلائل والبراهین حول أیّ شخصیة کمقام سماوی أو منصب من مناصب الدین یجب أن یظل تحت مجهر الموازین، وإن القرآن

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۴۰۰

والدین لا- یسد عقل الإنسان عن تحکیم ورصد المجهر العقلی من أوّل الطریق إلی آخره، فلا یمکن مصادرة العقل ولا الثوابت ولا الموازین، بل لا بدَّ أن تظل محکمة فی کل صغیرة وکبیرة، من هنا نفهم لماذا نادی الرسول الأعظم (ص) عندما رآه البعض واقفاً مع امرأة فی أحد الشوارع فنادی الناظر هذه صفیة زوج النبی (ص) («۱») فإنّه (ص) یعطی درساً للناس بأن المراقبة فی المعرفة لا بدَّ أن تبقی مستمرة حتّی علی الأنبیاء.

وکذلک من هذا البیان نفهم لم کان طغاة بنی أمیّة وبنی العبّاس یختبرون الأئمّة (علیهم السلام) بالأسئلة العلمیة والمناظرات، لأنهم کانوا یریدون التأکد من إمامتهم فضلًا عن أهدافهم الأخری، فإنّهم لما کانوا الأفضل والأعلم بمقتضی الإمامة، فلا بدَّ أن تکون الأفضلیة والأعلمیة متحققة باستمرار ولیس فی أوّل الطریق فقط.

ثمّ تأتی فی المرتبة الرابعة صلاحیات الفقهاء وهم الذین لهم نیابة عامة، أی لیس لهم ارتباط واتصال بأهل البیت إلّا عبر الکتاب والسُنّة والمصادر الدینیة فلم ینب أحدٌ منهم بالخصوص وإنما صارت له النیابة وفق شرائط وموازین بیّنها الله والنبی والأئمّة، وهکذا فی نفس المرتبة أی الرابعة حجیة النواب بالنیابة الخاصة وهم السفراء، فإنّ الفقهاء والسفراء فی مرتبة واحدة إذ تقدم أنه لا منافاة بین حجیة کل منهما ولا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴٠١

تلغى حجيـة كل منهما حجية الآخر حيث بيّنا بحسب مفاد آية (النفر) («١») وآية (الحكم) («٢»)، أن الفقهاء لهم دور فى دولة الرسول وفى دولـة أمير المؤمنين، وهكـذا حتّى فى دولـة الرجعـة ودولـة الظهور للإمام الحجـة (ع) لأن هذه الآيات فرائض من الله لرسم جهاز العمل للمعصومين.

وهـذه المرتبـة الرابعـة للفقهاء عموماً أيضاً محـدودة بضـروريات دين الله وسـنن النبى (ص) وسـنن أحكام وتعاليم المعصومين (عليهم السـلام) فضـلًا عن ضـروريات العقل، فهـذه المراتب والتراتبيـة والقواعد الاسـتكشافية لا بدَّ من معرفتها وإلّا وقعنا فيما وقعت فيه الفرق الضالة فى الغيبة الصـغرى أو الكبرى، حيث جوزوا أن يكون للإمام صـلاحيات أن يشـرع ويفعل ما يشاء فاتبعوا أدعياء الإمامة، كما أنا ذكرنا بأن الشـبهة العقائديـة لا يمكن أن تزاح ويتخلص منها إلّا بالمداقـة فى المراتب للحجـج، فلا يكفى معرفـة أصل حجيـة الحجـة، وإنما لا بـدَّ من معرفـة حقيقـة الحجـة وذلك بمعرفـة مرتبـة حجيـة تلك الحجـة وأنها حجة فى أىّ دائرة دون غيرها، ولا بدَّ من معرفة منطقتيها الثبوتية والإثباتية.

القواعد الرقابية وحفظ ثقافة أهل البيت (عليهم السلام ...): ص: ۴٠١

يذكر الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبة والشيخ الصدوق فى كمال الدين والنعمانى وغيرهم أن فقهاء الشيعة وعلمائهم وعامة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴٠٢

الشيعة لم يفتأوا دوماً من المراقبـة، فعامـة الناس من الشـيعة يراقبون الفقهاء والنواب، ثمّ الفقهاء والنواب والعامـة يراقبون الأئمّة (عليهم السلام)، وهكذا («... ١»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴٠۴

فالعامـة يراقبون الفقهـاء ويسـتمرون فى المراقبـة هل أنهم لا زالوا على التقوى والثبات والسـير على ضـرورات دين الله وسُنّة نبيه (ص) والأئمـة الأطهـار (عليهم السـلام) وإلّا اسـقطت حجيتهم، لـذلك نِعْمَ مـا قيـل: (إنـا لاـ نجـد انتخابـاً حراً نزيهـاً سديـداً لقيـادات تقـود المجتمعات كنظام الانتخاب فى طائفـة أتباع أهل البيت (عليهم السـلام)) وهو انتخابهم للفقهاء والمراجع، فحتّى النظام الديمقراطى فى الغرب وفى أمريكا تتدخل فيه الأموال والمافيات والدعايات والاعلان وتتدخل فيه وفيه ... إلى ما شاء الله.

فمثلًا رئيس الجمهوريـة فى أمريكـا لاـ يُنتخب مباشـرة من الشـعب أبـداً، وإنمـا نواب المحافظـات هم الـذين ينتخبون الرئيس، ونواب المحافظات ورئيس المحافظـة لكل ولاية هو الذى يكون له ثراء ومال معين، فلا بدَّ أن يصـعد رأس ماله إلى سـقف معين كى يحق له أن يرشح ليكون رئيساً لمحافظة أو رئيساً

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴٠۵

لولاية، فالمال أوّل شىء فى هذه المعادلة الانتخابية، وإذا انتخب هؤلاء رؤساء الولايات فمن بينهم ينتخب رئيس الجمهورية.

فحواجز المال وحواجز القوة هى الحاكمة والمهيمنة فى الانتخابات، فأين الشفافية، وأين النزاهة، هذا فضلًا عن بقية الدول الغربية.

فلا تجد نظاماً حرّاً نزيهاً تشترك فيه كل طبقات المجتمع على الرقابة والبصيـرة لا العماية كنظام المرجعية الذى أسسه أئمّة أهل البيت (عليهم السـلام)، مرجعيـة الفقهاء كأعوان ونصـراء وخـدام لأئمّـة أهل البيت (عليهم السـلام) هـذا النظام أقامه وأسسه أئمّة أهل البيت (عليهم السـلام)، وهو نظـام إعجـازى وليس هو من نظم وإنشـاء الفقهـاء والمراجع، بـل بنـاه البـاقر (ع)، ووضع له الصادق (ع) ضوابط وحواجز نظمية إدارية لا يمكن أن تخترق.

صدر كتاب ((ehT ygoloeht fo etlhgionsed بعـد سـقوط الطاغية صدام عن دائرة الاسـتخبارات الأمريكية يقول بأن أتباع أهل البيت هم الجماعة الوحيدة فى المسلمين الذين لم يذوبوا فى الغرب إلى الآن!

یقول: استطعنا أن نذوّب أغلب المسلمین فی الغرب والثقافة الغربیة إلّا أتباع أهل البیت، وإنما ذلک لسببین مهمین، الأوّل هو الحسین (ع)، فهو الذی یدفق فی أتباع أهل البیت العزّة والإباء والصمود والاستقامة والبطولة والاعتزاز بالهویة، فکیف یمسخ هکذا مجتمع أو تغیر هویته وهو یتغذی وینهل الهویة والشخصیة من الحسین (ع)، لذلک نلاحظ محاولات الطعن والتشکیک فی قضیة الحسین (ع) والاستهانة والتحقیر لخطباء مؤسسة الحسین (ع)، وهکذا الروادید (واللطامة) نجد التشکیک فیهم بأقلام مریبة من داخل أوساط المذهب لتخریب مثل هذا الباب والصرح العظیم وهو مؤسسة سید الشهداء (ع).

ویذکر هذا الکتاب وقد ترجم فصول منه، السبب الثانی وهو

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۴۰۶

المراجع والفقهاء، ویذکر حوزة النجف بالاسم یقول أیضاً: کنّا نزوّد النظام البعثی معدل کل سنتین أو ثلاث بأحدث النظم الأمنیة لکی یفتک بالحوزة وبالشیعة إلّا أنه فشل.

وربما یُسائل کیف لم یستطع النظام البعثی أن یخترق الحوزة ولم یفتک بها؟ وکیف فشل النظام البعثی أن یخترق الفقهاء والمرجعیة بأن یجعل مرجعاً مزیفاً للشیعة، وهذا هو الذی یریدون الوصول إلیه؟

وما ذلک إلّا لأن الأئمّة وضعوا لها نظاماً ذا حواجز وأستار وستور مختبریة یفشل من تطمع نفسه أو تسول نفسه ولو کان من الدول والقوی العظمی أن تخترق هذا الستر، فإنّ الفقیه والمرجع یبقی تحت الرقابة الشعبیة من أوّل عمره إلی آخر نفس فی حیاته، فأیّ أمّة من البشر وأیّ طائفة من البشر عندهم هکذا رقابة نزیهة وشفافة علی القیادة، وفی انتخاب القیادة کهذا النظام الذی وضعه أئمّة أهل البیت (علیهم السلام)، وهذا من إعجازهم (علیهم السلام)، وبالتالی فلا یمکن لشخص مزیف أو لشخص کارتونی مهما أوتی من حیل وأسالیب أن یخترق هذا المقام المرجعیة والفقهاء لأنه نظام منیع، فلو کان فقیه من الفقهاء تقیاً ورعاً طول حیاته ولا سمح الله فی بعض حیاته ابتعد عن التقوی أو العلم لُابعد عن هذا المنصب.

القواعد الرقابیة والشلمغانی والعبرتائی ...: ص: ۴۰۶

التاریخ یحدّثنا أن فقهاء صلحاء أجلاء فی بدایة أمرهم کابن أبی العزاقر الشلمغانی وأحمد بن هلال العبرتائی کانا من الفقهاء الکبار، لکن فی فترة من حیاتهم زاغوا عن الطریق وادعوا لأنفسهم ما لیس لهم، فاسقطت حجیتهم لعدم مراعاتهم للحجج الأعلی.

فالشلمغانی کان من أفقه فقهاء الشیعة فی الغیبة الصغری، وإن

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۴۰۷

کتابه فی الفقه أو رسالته العملیة والتی تسمی بکتاب التکلیف منتشرة فی کل بیوت الشیعة فی العراق وفی إیران وفی الخلیج وغیرها، فلم یخلُ بیت من بیوت الشیعة من هذا الکتاب، فهو فقیه نحریر تقی ورع فی العهد الأوّل من عمره!؟ إلّا أنه والعیاذ بالله فی أخریات حیاته طمع فی أن یکون نائباً خاصاً أو سفیراً فخرج عن الموازین، ولذلک أقصی من قبل أتباع أهل البیت وصار مصیره إلی أسفل الأسفلین (« ۱»).

،،،،،،،،

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۴۰۸

وأما العبرتائی فهو أیضاً من کبار الفقهاء وأدرک أربعة من المعصومین (علیهم السلام) (الجواد والهادی والعسکری والمهدی (علیهم السلام))، وقد حجّ بیت الله أکثر من خمسین حجة عشرین منها مشیاً علی الأقدام من الکوفة إلی مکّة، ومع ذلک ما أن أدعی لنفسه النیابة الخاصة والسفارة أسقط عن الاعتبار وصدر فی حقه اللعن، لأنه تجاوز الموازین وانکشف بطلانه لوجود القواعد الرقابیة التی سنّها أئمّة أهل البیت (علیهم السلام).

وهـذا لا نجـده فى أى أمّـة أو نحلـةٍ أو ملّةٍ أو مذهبٍ غير مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، فإنّه مذهب قائم على نظم إعجازى، فإنّ تاريخ هذا المذهب نيّر وبديع ويسطر لنا أحدث النظم الاعجازية الربانية للرقابة، فابن أبى العزاقر الشلمغانى تسنم واحتل مرتبة كبيرة، وهكـذا العبرتائى، إلّا أن الرقابـة باقيـة بضـمانة التقوى والموازين والعلم، وقـد كان لهـذا النظام الاعجازى الأثر الأقوى فى حفظ الدين والمذهب والهوية الشيعية.

فكم فقيه من الفقهـاء من أتباع مـذهب أهل البيت (عليهم السـلام) كان فقيهاً تقياً إلّا أنه عرض عليه النسـيان مثلًا فمن تقواه قال: قلـدوا غيرى، كالوحيـد البهبهانى مثلًا رئيس الحوزة العلمية فى كربلاء، عندما عرض عليه النسـيان قال: قلدوا السـيد بحر العلوم والشـيخ جعفر كاشف الغطاء، لأنه ضمن موازين رقابة التلاميذ والخبراء وأهل الخبرة من الفقهاء فى الحوزة العلمية، فهذه كلها مختبرات وضمانات.

لـذلك يسـتهدف الأعـداء والمغرضون الحوزات العلميـة لأنها مختبرات وضـمانات للرقابة العلمية وللرقابة فى الانتخاب ونزاهة القيادة، ومن ثَمَّ يسـتهدفون طلبـة العلوم الدينية لكى تضـيع الموازين فيكون باسـتطاعتهم حينئذٍ التغلغل والنفوذ فى جسد المذهب والعبث فيه، فإنّهم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٠٩

بعـد أن شـخصوا هـذين السـببين العظيمين الحسـين (ع) ونظـام اختيار الفقهاء شـنوا أعتى أنواع الحروب والفتك بهما لتسـهيل الطريق لانتشار الثقافة الغربية وتمييع الهوية الإسلاميّة لأتباع أهل البيت (عليهم السلام) بعد ما ذابت الجماعات الإسلاميّة فى ذلك المد الغربى العلمانى والالحادى.

ولكن تبقى ثورة الحسـين (ع) وقّادة، ويبقى هذا النظام الاعجازى لاختيار الفقهاء سدّاً منيعاً وصرحاً مشيداً عظيماً كقواعد رقابية معرفية فى ردع جميع محاولات الهدم والتضـليل إلى ظهور الإمام المهدى (ع) ليقيم دولة الحق وينشر الإسلام الصحيح ويثبت أركان وأصول دين الله وشريعة محمّد (ص) ونهج آبائه الأئمّة الهداة المهديين الصالحين.

بواعث الانحراف ...: ص: ۴۰۹

من البـديهى أن يتوقف كل عاقل عند المواقف والأحداث الغريبة ليتساءل ويتأمل فى أسـبابها ومناشـئها وبواعثها، وثمرة ذلك التوقف والتأمل أن تلك الأحداث الغريبة إن كانت حسـنة حاول إيجادها بايجاد وتوفير أسـبابها وبواعثها، وإلّا تجنبها قبل وقوعها والتلبس بها، فإنّه كما يقال (الوقاية خير من العلاج).

فمن تلـك المواقف والأحـداث المسـتحقة للوقوف عنـدها انحراف فقهاء كبار كالشـلمغانى والعبرتائى، فما هى أسـباب وبواعث هـذا الانحراف؟

مما لا شكّ فيه إن أسباب ومناشىء ذلك كامنة فى نفس الإنسان وفى سلوكه عموماً ونوع وطبيعة علاقته مع الله تعالى خصوصاً!

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤١٠

فإنّ النفس إذا لم تخضع وتوقن بوجود طريق ومسـلك واحـد انحصارى لله تعالى وهو طريق المعصومين فإنّها لا محالة عرضة بل آيلة للزيغ والانـحراف، فـإنّ المعصومين هم الـذين صـفاهم واصـطفاهم الله تعـالى ليكونوا قناة أمان للخلق، وإلّا فما عـدا هـذه القناة يكون الشيطان هو المتبع!

ويمكن اسـتفادة ذلك من قوله تعالى: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ* وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ («١»).

فالاخلاد للأرض يعنى اتّباع الشيطان، أى استحباب الهوى والغرائز والملاذ، فالله تعالى يبيّن لنا أنه تعالى رسم لنا طريقاً ومسلكاً منه

يعبد ويطاع ويتقرب إليه، حيث يقول: آتَيْناهُ آياتِنا، ولكن الإنسان إذا انسلخ عن ذلك الطريق وأخلد للهوى والغرائز فقد سمح للشيطان أن يتلاعب به.

فالنفس إذا لم تُروض بالطاعة والمرارة وشيء من القسوة والقطيعة عن الشهوات والأهواء فإنّها لا محالة تشط ويتلاعب بها الشيطان، إذ روى عن الرسول الأكرم (ص): «أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك» («٢») وما ذلك إلّا لأنّ الشيطان عدو مبين للإنسان، فلابدَّ من سدّ كل الثغرات والمنافذ لئلّا يوسوس للنفس، بل لو وسوس فلا بدَّ أن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤١١

تكون النفس مطمئنة متيقنة مستقرة، يقول الله تعالى: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ («١»).

ولكن الأزمة والمشكلة فى الإنسان أنه لا ينظر للنفس كدابة يمتطيها فى مرحلة من مراحل وجوده بل يجعلها كجزء ثابت ويراها ذاته، وهذا خطأ معرفى سلوكى تعايشى يقع فيه الإنسان حيث يظن النفس جزء ذاته بينما هى دابة ووسيلة ومركوب تركبه روح الإنسان أى عقله.

فلما كانت النفس دابة يركبها عقل الإنسان فلا بدَّ أن لا تعطى كل ما تريد وإنما تعطى مقدار الحاجة.

ولكن الإنسان لما جعل النفس جزء ذاته فَحَسِبَ متطلبات النفس هى متطلبات الذات، فراح يطلق لها العنان فى مراداتها ومتطلباتها وهذا بالتالى يضر بذاته لأن النفس ستقوى وتتنفر عليه ولا تؤدى وظيفتها بالشكل المطلوب والصحيح، بل إن متطلباتها وحوائجها لا تقف عند حدٍ فيكون هو دابتها! ففى رواية عن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «إيّاك والسفلة، إنما شيعة جعفر من عفّ بطنه وفرجه واشتد جهاده وعمل لخالقه ورجا ثوابه وخاف عقابه» («٢»).

وبمثال حسى لو كانت لشخص فرس يحتاجها عند التنقل والترحال والحروب لصد الأعداء وكوسيلة تخدمه لتلبية أغراضه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤١٢

ومتطلبات حياته ولكنه يوفر لها المأكل لدرجة أنه صار خادماً لها فى تلبية جميع متطلباتها حتّى الراحة والنوم فضلًا عن الطعام، فبالنتيجة صارت الفرس تقضى حوائجها بواسطة ذلك الشخص، فلو أرادها للحرب والتنقل طلبت الراحة والنوم، ولو أراد هو الراحة والنوم طلبت هى الطعام والشراب، فصار الأمر بعكس المطلوب!

أما لو كان يعطيها بقدر الحاجة ويجبرها على تأدية متطلباته هو حتّى لو كان فى ذلك عناء ومشقة الدابة فإنّ ذلك هو السبيل الوحيد والترتيب المنطقى والعلاقة الطبيعية بين الشخص ودابته، وهكذا الإنسان ونفسه، فلو جعلها جزء ذاته وأعطاها كل ما تريد وتشتهى امتطته وقضت حوائجها وشهواتها به ومنه، وخسر هو ذاته وكانت وبالًا عليه بدلًا من أن تكون عوناً له.

وبالتالى تكون النفس أميرة عليه فيحسبها ويستغفل عقله.

وعلاج ذلك أن يجعلها دابة له ويتعامل معها على هذا الأساس تعاملًا عملياً تعايشياً وليس تعاملًا فكرياً تجريدياً فحسب.

فلا بدَّ للإنسان من ترويض نفسه لا أن يطيعها كما يقول أمير المؤمنين (ع): «هى نفسى أروضها » («... ١») أى أجعلها مأمورة خادمة.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤١٣

كما يستفاد ذلك من الدرس العظيم الذى أوصلته لنا العقيلة (ع) من القرآن الكريم حينما ردّت على يزيد لعنه الله، حيث قالت: قال الله تعالى: ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤُا السُّواى أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ وَكانُوا بِها يَسْتَهْزِؤُنَ («١») والذى يعنى أن الإنسان إذا توحّل فى الرذائل فإنّ الله تعالى يُعمى بصيرته وعقله، فإنّ الإنسان مجموعة قوى تؤثر بعضها فى البعض الآخر، فإذا كان الإنسان يرتكب المحرمات سوف تنعدم وتضيع منه البصيرة وبالتالى يحكّم المتشابهات على المحكمات، والإنسان الطاهر العفيف والذى أدمن السلوك النيّر وأدمن ورابط على التقوى والعفاف والطهارة والصلاح فإنّ ذلك يوجب قوة العقل والبصيرة والتمييز عنده.

لأنَّ سبب انحراف بعض الذين ادعوا النيابة الخاصة والسفارة مع أنه كان فى البداية مؤمناً مستقيماً أنهم مع ما وصلوا إليه لم تكن

نفوسهم راضخة ومتیقنة أن الطریق والمسلک إنما یُحدد من قبل الله تعالی والمعصومین، بل هم رضخوا لمطالب النفس فی طلب السیادة والرئاسة و...

واللطیف أن الإمام الثانی عشر (ع) لما أخرج اللعن بحق العبرتائی ذکر سبب انحرافه حیث قال: إنه لم یدع الله أن یجعل إیمانه مستقراً، فعن علی بن محمّد بن قتیبة، قال: حدّثنی أبو حامد أحمد بن إبراهیم المراغی، قال: ورد علی القاسم بن العلاء نسخة ما خرج من لعن ابن هلال وکان ابتداء ذلک أن کتب (ع) إلی قوّامه بالعراق: «احذروا الصوفی المتصنع»، قال: وکان من شأن أحمد بن هلال أنه قد کان حج أربعاً وخمسین حجة، عشرون منها علی قدمیه.

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۴۱۴

قال: وکان رواة أصحابنا بالعراق لقوه وکتبوا منه، وأنکروا ما ورد فی مذمته، فحملوا القاسم بن العلا علی أن یراجع فی أمره.

فخرج إلیه: «قد کان أمرنا نَفَذَ إلیک فی المتصنع ابن هلال لا رحمه الله، بما قد علمت لم یزل، لا غفر الله له ذنبه، ولا أقاله عثرته یداخل فی أمرنا بلا إذن منّا ولا رضی یستبد برأیه، فیتحامی من دیوننا، لا یمضی من أمرنا إیّاه إلّا بما یهواه ویرید، أرداه الله بذلک فی نار جهنم، فصبرنا علیه حتّی بتر الله بدعوتنا عمره.

وکنّا قد عرفنا خبره قوماً من موالینا فی أیامه لا رحمه الله، وأمرناهم بإلقاء ذلک إلی الخاص من موالینا، ونحن نبرأ إلی الله من ابن هلال لا رحمه الله، وممن لا یبرأ منه.

واعلم الإسحاقی سلمه الله وأهل بیته مما أعلمناک من حال هذا الفاجر، وجمیع من کان سألک ویسألک عنه من أهل بلده والخارجین، ومن کان یستحق أن یطلع علی ذلک، فإنه لا عذر لأحد من موالینا فی التشکیک فیما یؤدیه عنّا ثقاتنا، قد عرفوا بأننا نفاوضهم سرنا، ونحمله إیّاه إلیهم وعرفنا ما یکون من ذلک إن شاء الله تعالی».

وقال أبو حامد: فثبت قوم علی إنکار ما خرج فیه، فعاودوه فیه، فخرج: «لا شکر الله قدره، لم یدع المرء ربه بأن لا یزیغ قلبه بعد أن هداه وأن یجعل ما منَّ به علیه مستقراً ولا یجعله مستودعاً» («۱») اللهم اجعل إیماننا مستقراً بحق محمّد وآله الأطهار.

ولا ینحصر هذا الکلام بمدعی السفارة، بل بکل الدعوات الباطلة

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۴۱۵

من دعوی الألوهیة والنبوة والإمامة والسفارة والفقاهة والسیادة و ... وکل ما هو عالی وشریف، فإنّ النفس ببواعثها الشیطانیة تطمح لها، ولکن العقل یحکم موازینه وضوابطه ویضع نفسه فی محله الصحیح، ولکن أین الذی یجعل النفس دابة العقل لیکون فی جادة الحق والصراط المستقیم؟!

فإنّ بعض أولئک الفقهاء مع ما وصلوا إلیه من العلم والعبادة لم تکن نفوسهم طوع عقولهم، بل کانوا یأملون أکثر مما تستحق نفوسهم، ولم یکونوا یعتقدون بالأئمّة تمام الاعتقاد، بل أحیاناً یرون الرجحان فی أقوالهم أو أفعالهم کما روی عن المفضل، قال: سمعت أبا عبد الله (ع) یقول: «اتق السفلة، واحذر السفلة، فإنّی نهیت أبا الخطاب فلم یقبل منی» («۱») وروی عیسی عن أبی عبد الله (ع): «إیّاک ومخالطة السفلة فإنّ السفلة لا تؤل إلی خیر» («۲») فإنّ أبا الخطاب لم یمتثل کلام الصادق (ع)، لأنه کان یری فعله ورأیه أرجح، وما ذلک إلّا لسوء سریرته الحاصل من عدم السیطرة علی أهواء النفس، فإنّ الروایة تفید أنه کان یرافق السفلة مع أن الإمام ینهاه، بمعنی أنک تتبع هواک فإیّاک من ذلک.

وقد روی عن الکاظم (ع) أنه قال عندما سُئل عن أبی الخطاب: «إن الله خلق الأنبیاء علی النبوة فلا یکونون إلّا أنبیاء، وخلق المؤمنین علی الإیمان فلا یکونون إلّا مؤمنین، واستودع قوماً إیماناً فإن شاء أتمه

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۴۱۶

لهم وإن شاء سلبهم إیّاه، وأن أبا الخطاب کان ممن أعاره الله الإیمان، فلما کذب علی أبی سلبه الله الإیمان» («۱») أی فیهم استعداد

رسوخ الإيمان، فإنّ عصوا لم يرسخ، وهذا العصيان من النفوس إذا كانت لها السيادة على العقول.

***،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۱۹

الفصل السادس: النيابة الخاصة ... ص: ۴۱۹

أصحاب السر ...: ص: ۴۱۹

قد نجد في بعض الروايات أوصافاً خاصة لبعض الأصحاب كوصف أصحاب السر («۱») لميثم التمار ورشيد الهجرى وحبيب بن مظاهر الأسدى (رض) وجملة من أصحاب الإمام أمير المؤمنين (ع) حيث أتحفهم الإمام (ع) بعلوم وحباهم بها، وهكذا باقى الأئمّة (عليهم السلام) مع بعض أصحابهم فإنّ لهم علم المنايا والبلايا وأسراراً وغوامض العلوم وغيرها.

ولكن ذلك لا يعنى أنهم يرفعون اليد عن بديهيات العقل أو ضروريات الدين أو سنن النبى (ص) والأئمّة (عليهم السلام) ولا بدَّ أن نلتفت لهذه النكتة المهمة وهى قاعدة رقابية عقائدية معرفية، إذ مهما كان عند أولئك من علوم وأسرار و ... فإنّها لا تناقض ولا تخالف ولا تصطدم ولا تصطك فى حال من الأحوال ولا فى زمان من الأزمان مع ضروريات وبديهيات العقل وفرائض الله وسُنّة النبى (ص) والأئمّة (عليهم السلام) سواء أكانت تلك العلوم والأسرار عند الأصحاب أم عند الأئمّة (عليهم السلام)، فحتّى الأئمّة

، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۲۰

(عليهم السلام) عندما نقول عندهم علم الباطن ولديهم أسرار و ... فلا يعنى ذلك أبداً التنازل عن أىّ ضرورة من ضروريات العقل ودين الله وسُنّة النبى والأئمّة (عليهم السلام).

فلا- نستغفل ولا- نغرر ولا- نتوهم فى بريق هذه العناوين (علوم الباطن، أسرار، معارف، علم البلايا والمنايا) ... فحينئذٍ نتهاون عن التمسک بالضرورات والبديهيات، وإنما تبقى هذه الضروريات وتبقى تراتبية الحجج وتبقى القواعد الرقابية المعرفية فى كل الأحوال والأزمان.

ومما يشهد ويؤيد ذلك قصة موسى (ع) مع الخضر (ع)، قال الله تعالى: فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً* قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُکَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً* قالَ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْراً* وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً* قالَ سَتَجِدُنِى إِنْ شاءَ اللَّهُ صابِراً وَلا أَعْصِى لَکَ أَمْراً* قالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِى فَلا تَسْئَلْنِى عَنْ شَىْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَکَ مِنْهُ ذِكْراً* فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا رَكِبا فِى السَّفِينَةِ خَرَقَها قالَ أَخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً* قالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْراً* قالَ لا تُؤاخِذْنِى بِما نَسِيتُ وَلا- تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْراً* فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا لَقِيا غُلاماً فَقَتَلَهُ قالَ أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً* قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَکَ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْراً* قالَ إِنْ سَأَلْتُکَ عَنْ شَىْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّى عُذْراً* فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أَهْلَها فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُما فَوَجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقامَهُ قالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً* قالَ هذا فِراقُ بَيْنِى وَبَيْنِکَ سَأُنَبِّئُکَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً* أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِى الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها وَكانَ وَراءَهُمْ مَلِکٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً* وَأَمَّا الْغُلامُ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۲۱

فَكانَ أَبَواهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَكُفْراً* فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ زَكاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً* وَأَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى الْمَدِينَةِ وَكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما وَكانَ أَبُوهُما صالِحاً فَأَرادَ رَبُّکَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَيَسْتَخْرِجا كَنزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى ذلِکَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً («۱»).

فإنّ الخضر (ع) بعظمته وما عنده من علوم وأسرار وتوثيق من الله سبحانه وتعالى وإنه من رجال الغيب ومن رجال السر وعنده علم لدنى وتزكية من الله فهو بذلك فوق اليقين وليس رواية ظنية أو تحليلًا أو تأويلًا، حيث كانت مرافقة موسى (ع) له بإرشاد وتوجيه وتوثيق من الله سبحانه وتعالى، فمع كل ذلك عندما ارتكب ما يخالف ظاهر الشريعة وليس ضرورى الشريعة وإنما ظاهر الشريعة لم يكن موسى (ع) ليتجاوز من ذلك ويستمر فى صحبته معه على عمايةٍ وإنما اعترض عليه موسى (ع) ووقف أمامه لأن هناك حججاً فوق حجية الخضر وضوابط ونظماً إلهية لا يمكن للنبى موسى (ع) أن يتخلى عنها، ولقد بُعث بها جميع الأنبياء ولا يمكن لا لنبى ولا لوصى ولا لولى ولا لزكى ولا لملك مقرب أن يتخطاها فهى فرائض الله تعالى وأنها فوق الجميع، لذلك اعترض موسى على الخضر مع أن الخضر مُزّكى من الله (عزوجل) وموسى (ع) لم يغرر بذلك من أنه توثيق وتزكية ووحى، بل عندما شاهد مُخالفةً للقواعد والضوابط اعترض وحكَّم القواعد الرقابية وموازين البصيرة فى تعامله، فحتّى لو كان الخضر ذا علم لدنى وأن الله أمر موسى (ع) باتّباعه فذلك لا يمنع من إعمال تراتبية الحجج وتحكيم القواعد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٢٢

العامة، فإنّه بحسب الموازين العامة وظاهر الشريعة أن قتل النفس وخرق السفينة وبناء الجدار لقوم جفاة أمرٌ فيه فساد فى الأرض حتّى لو كان من ولى أو وصى أو نبى فكيف بمن دونهم، فإنّ الدماء والنفوس يراد لها محلل وولى من أولياء الله فحتّى الأطفال من أبناء الكفار ليس لنا مسوغ لقتلهم فى الحالات العادية باجماع الديانات ومذاهب المسلمين إلّا الخوارج الذين يمرقون من الدين ويستحلون دماء الأطفال ودماء الأبرياء ودماء الشيوخ والنساء، إذ من ثوابت كل الأديان حرمة الدماء ولم يجترئ على استحلاله أحد حتّى لو كانت هناك حالات استثنائية كتترس الكفار بالأطفال والتدرع بهم فإنّها حالات استثنائية لا تعدو بحالٍ لأن تكون دائمية استمرارية، فالاستثنائى لا ينقلب أوّلياً أبداً.

وكما يقول على بن أبى طالب (ع): «والله إنى لأهتدى للغدر، لكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة مآلها النار» («١»).

وكذلك نلاحظ مسلم بن عقيل (ع) سفير الحسين لم يفتك غيلةً وغدراً لأنها ليست من أعراف الأديان السماوية أبداً.

يعنى أن هناك ثوابت لدين السماء لا يمكن لولى مهما كان أن يتجاوزها.

لذلك فإنّ الخضر مهما عُرِّف وزكى بوحى من الله لموسى (ع) فإنّ عند موسى وحياً بحجج أعظم من تزكية الخضر لا بدَّ من تحكيمها

««««

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٢٣

على حجية الخضر، فإنّه قال بعد الاعتراف: قالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً* قالَ لا تُؤاخِذْنِي بِما نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً («١») ورغم ذلك عاد واعترض ثانياً فقال: قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَکَ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً* قالَ إِنْ سَأَلْتُکَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً («٢») ولكنه مع ذلك يعترض مرة ثالثة، ولو لاحظنا الاعتراض الثالث لوجدناه ليس شيئاً واجباً ولا محرماً إذ قال له بعد إقامة الجدار: قالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً («٣») فهو أمر ندبى أوّلى فيه رُجحان عقلى وشرعى، إذ من الراجح أن يُدبر الإنسان أموره وفى ذلك الحال، كان الخضر وموسى (ع) جائعين وقد استطعما أهل المدينة فأبوا أن يُضيّفوهما لذلك يقول موسى (ع) للخضر من باب تدبير الأمر بأن يأخذ أجراً على إقامة الجدار، فهو أمر تدبيرى راجح وليس فيه إلزام اتخذه النبى موسى (ع) قاعدة رقابية على أفعال الخضر.

وهذه الاعتراضات من النبى موسى (ع) لم تكن هباءً أو خطأً فى مرحلة التنظير وإنما كانت اعتراضات صحيحة يُسطر لنا القرآن من خلالها ملاحم معرفية وبصائر نورية تُنير لنا الدرب وتكون درساً فى تحكيم القواعد الرقابية لعدم مخالفة ظواهر الشريعة فضلًا عن ضرورياتها، فإنّ موسى (ع) لم ينخدع ولم يتنازل عن الحجج العليا والضوابط والقواعد الرقابية لمجرد تزكية الله تعالى للخضر وإرشاده

باتّباعه، فلم یتأول مخالفة الضوابط والاستمرار فی مصاحبته، لأن تلک

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۴۲۴

الضوابط والقواعد لا- یمکن رفع الید عنها ولا- یمکن الاصطدام بها، لذا فإنّ الخضر عندما أراد أن یجیب النبی لم یُفند تلک الاعتراضات من حیث المبدأ، فلم یجوّز سفک الدم البریء فإنّه حرام بأیّ حالٍ، وإنما أتی بوجوه علمیة لدنیة موحاة له من قبل الله تعالی، فالخضر أقرّ موسی علی تلک المبادئ والقواعد، وأقرّه علی عدم إمکان رفع الید عنها، وإنما بیّن له أن هذه مصادیق لقواعد أخری.

التأویل مع الظاهر لا الضروری ...: ص: ۴۲۴

ولنلتفت إلی أن ما فعله الخضر هو مخالف للظواهر ولیس للضروری، وإلّا لو کان مخالفاً للضروری فلا- مجال للتأویل، کما أن الاحتیاج للتأویل فی تصحیحه إذا کان مخالفةً للظاهر وأن ذلک التأویل من الله تعالی ولیس من أیّ کان، فالخضر علی ما کان علیه لم یکن لیتأول من نفسه، وإنما اعتمد علی ما عنده من علم لدنی لیوصله إلی وجوه متینة.

إذن هذه الضوابط وهذه القواعد مُحکّمة دائماً، فحینما نقول أسراراً وأسراراً فلا نتعقل أن هناک أسراراً تخالف الشریعة أی أن باطن الشریعة یناقض ظاهرها.

تطابق الشریعة ظاهراً وباطناً ...: ص: ۴۲۴

لذلک تخطّأ دعاوی الصوفیة أو بعض العرفاء عندما یتمحلون لأنفسهم أن النبی (ص) أو الباری تعالی لدیه دین باطن هذا الدین عمیق ویناقض ظاهر الشریعة، فإنّ هذا باطل، لأنه لا یمکن أن تکون ضرورات الشریعة تُخالف ثوابت باطن الشریعة، بل لا بدَّ من التلائم والانسجام

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۴۲۵

والتناسق والتناسب والامتداد بین ظاهر الشریعة وباطنها، وإلّا کان کله من الزیف الباطل والعیاذ بالله وإن احتمال أن یتوهم متوهم أن ظاهر الشریعة لیس إلّا سراباً أعوذ بالله فإنّ هذه سفسطة ولیست حقیقة.

وهذه القاعدة المهمة دائماً ما تحاول الفرق الضالة الاحتیال علیها أو تزییفها لعقول المؤمنین باسم هذه العناوین والذرائع من أسرار وبواطن و ... وأنها تناقض ضروریات الدین، فإنّ ضروریات وبدیهیات العقل وضروریات الدین وضروریات سُنّة النبی (ص) وضروریات سُنّة المعصومین (علیهم السلام) قواعد رقابیة معرفیة سواء علی ما دونها من الحجج أم علی الأسرار والأعماق والبواطن، لأن باطن المعارف یعنی الأمور النظریة والمتوغلة فی النظریة، وأن إدراکها نظری وغامض، ومما لا خلاف فیه أن النظری إنما یتسع وینبنی ویتوالد وینشعب ویأخذ سلسلة حلقات مترابطة مبتنی علی البدیهیات.

کما فی علم الریاضیات وبقیة العلوم فلا نتصور وجود أسرار تناقض قاعدة أن (۴: ۲+ ۲) ولا غیر ذلک، فإنّ کل قواعد الریاضیات وعلومه المستجدة المتداولة المکتشفة جیلًا بعد جیل إنما تبتنی علی بدیهیات الریاضیات لا أنها تهدمها وتناقضها وإلّا لانهدم أساسها وجذرها وبنیتها، وهکذا أسرار الفیزیاء وأسرار الکیمیاء وأیّ علم کان فإنّ معنی أن له أسراراً أی متوغلًا فی النظریة والابهام والغموض لکنه مبنی وفق حلقات ومعادلات تبتنی علی بدیهیات وضروریات ذلک العلم.

وهکذا الکلام فی معارف الشریعة وضروریاتها، فإنّ باطن الشریعة وأسرارها یجب أن لا یناقض ضروریاتها، بل أن أسرار وغوامض

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۴۲۶

الشریعة والنظری فیها لا بدَّ أن یبتنی علی الضروری منها، فإنّ ضرورة التوحید وبقیة صفات الله وأن الباری تعالی هو الغنی المطلق وأن

كل ما عدا البارى تعالى مخلوق مفتقر ومحتاج إليه تعالى ونبوة الأنبياء وولاية الأوصياء و («... ۱»).

فهـذه ضـروريات الشـريعة يجب المحافظة عليها وعدم مخالفتها، ولا بدَّ أن يبتنى النظرى والسر والغامض عليها كما هو الحال فى كل العلوم، وإلّا لو كـان النظرى مخالفـاً أو مناقضاً للضـرورى والبـديهى لأدى ذلك إلى نسف نفس النظرى فيكون النظرى مناقضاً لنفسه، لأن النظرى فى كل علم يجب أن يكون مبنياً على بديهى وضرورى ذلك العلم.

فإنّ كل العلوم النظريـة إنما تكون متحصـلة من صـغرى وكبرى أو اسـتقراء أو ... وهـذه تنتهى للبديهيات، والإنسان إنما ينطلق لايجاد وتحصيل علوم وقواعد ودوائر معرفية جديدة من تلك الدوائر والمساحات البديهية، فإنّ دوائر الضروريات والبديهيات رأس مال ثمين وكنز لا يُقـدَّر، منحه الله تعالى للإنسان فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْـدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلِکَ الـدِّينُ الْقَيِّمُ («۲»)، إذن لا يمكن أن تكون هناك أشياء تناقض الفطرة، فهذه قوى قوامية وقيومية واستقامة وفطرة قيّمة وهى قاعدة من القواعد المعرفية.

لذا فلو أردنا الوصول لباطن الشريعة فلا بدَّ أن يكون من الظاهر فإنّ الظاهر هو جسر وطريق الباطن ولا نتصور التناقض بينهما.

"

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۲۷

وما يحصل من توهم واشـتباه فى هـذا المجال إنما هو لأن الغوامض والأسـرار والنظريـة متشابهـة قـد يشـتبه الأمر فيها لدى الإنسان فلا يعلمها فيجعلها غامضـة لـديه دوماً ولا يرجعها إلى محوريـة واسـطوانية ومركزيـة المحكم وهو ضـروريات الـدين، والبعض نتيجـة هذا التوهم يقع فى مصـيدة ومسرحية الدجل والتحايل ومصادرة العقول والألباب والبصائر بعناوين مختلفة كأسرار وبواطن وغوامض و... فيرفع اليد عن الضـروريات فيسـتبيح ارتكاب الفواحش وترك الصلاة والصوم ونصب العداء للأئمّة (عليهم السلام) ولشيعة أهل البيت وغير ذلـك، وهـو من العجيب، فـإنّ من ضـروريات الـدين محبـة محبى أهـل الـبيت فكيـف يكون من الـدين بعنوان الأسـرار ونحوه معاداتهم، وكيف أن معاداة فاطمـة ومعاداة محبيها يكون من الـدين بعنوان الأسـرار والبواطن مع أن محبة فاطمة من ضـروريات الدين وأنها (ع) تنجى محبيها يوم القيامة بل ومحبى محبيها فضلًا عن من تولاها (ع)، وما ذلك إلّا تحايلات وتدليسات وهلوسات.

وبعبارة أخرى كيف تترك ضـروريات الـدين الواصـلة إلينا بتمويهات من الغرب أو الشـرق، بل لنلتزم ونلتفت لحقيقـة الـدين وحقيقة الحجج التى أسسها الله والرسول والأئمّة من القواعد الرقابية المعرفية المهمة.

سقوط الحجية ...: ص: ۴۲۷

تقـدم أن إعمال القواعـد الرقابيـة وتطبيقها أمر مهم ولا بدَّ منه فى بناء نظم الحجج وتراتبيتها، وذكرنا أن من نتائج تطبيق تلك القواعد الرقابية إسقاط حجية بعض الفقهاء الكبار كابن أبى العزاقر والعبرتائى،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۲۸

وهذه ظاهرة عظيمة فى تراتبية الحجج، فالكل تحت مجهر المراقبة ومختبر التجربة، وما أن يتجاوز دائرة حجيته حتّى يكون نتيجة عملية تلقائية للقواعد الرقابية بأن تنكشف عدم الحجية لذلك المتجاوز.

وكما تبيّن أن هـذا البحث ليس منحصـراً على حجية الفقهاء بل لكل الحجج على اختلاف مراتبها والتى منها النيابة الخاصة والسـفارة، فإنّ هناك من كان سفيراً أو نائباً خاصاً وقد تجاوز دائرة حجيته فاسقطت لإعمال تلك القواعد الرقابية.

فإنّ محمّد بن أبى زينب المقلاص أو أبا الخطاب له عدة ألقاب اشـتهر بها كان من أصحاب السر للإمام الصادق (ع)، وكان من القدر والجلالـة والاسـتقامة بمكان زرارة بن أعين الفقيه، بل لعلَّه كان أكثر حظوة عنـد الإمام الصادق (ع) من زرارة أو محمّـد بن مسـلم أو أبى بصـير أو بريـد بن معاويـة العجلى، مع أن هؤلاء هم الأوتاد الأربعـة من الفقهاء والذين قال عنهم أئمّة أهل البيت (عليهم السـلام): «بهم انتشـر حديث وعلوم أهل البيت (عليهم السـلام)» («۱») مع كـل ذلـک كان أبو الخطاب أكثر حظوة منهم عنـد الإمام (ع)، وكان

حمران بن أعين يروى عنه أى عن محمّد بن أبى زينب المقلاص فى فترة استقامته مع أن حمران أحد الرواة المهمين فى القراءات العشر، وكان من علماء علم التفسير، وشهد له الإمام الصادق (ع) بالجنّة بعد وفاته، فهذا حمران على عظمته كان كذلك يستفهم من محمّد بن أبى زينب المقلاص.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۲۹

إمكانية الانحراف والنائب الخاص ...: ص: ۴۲۹

بل إن محمّد بن أبى زينب المقلاص قد يستظهر من بعض الروايات أنه كان نائباً خاصاً وباباً وسفيراً للإمام الصادق (ع) وهناك شواهد على ذلك ويمكن مراجعة الكشى فيه لكن قد نستغرب أن هناك نائباً خاصاً بهذا القدر ثمّ ينحرف! ولكن ذلك لعدم تسليط الضوء على ذلك الحدث من قبل علمائنا ولم يبلوروا البحث فيه بشكل دقيق.

ورد فى ترجمة المفضل بن عمر الجعفى أن الشيعة أتت الإمام الصادق (ع) وأرادت منه أن يقيم المفضل مقام ومكان ابن أبى زينب المقلاص بعدما انحرف وتبرأت منه الشيعة وأن يقيمه باباً له، وهذا التعبير موجود فى غير واحد من الروايات من قبيل ما حكى نصر بن الصباح، عن ابن أبى عمير بإسناده أن الشيعة حين أحدث أبو الخطاب ما أحدث: خرجوا إلى أبى عبد الله (ع) فقالوا: أقم لنا رجلًا نفزع إليه فى أمر ديننا وما نحتاج إليه من الأحكام؟ فقال: «لا تحتاجون إلى ذلك متى ما أحتاج أحدكم عرج إلىَّ وسمع منىّ وينصرف»، فقالوا: لا بدَّ، فقال: «قد أقمت عليكم المفضل اسمعوا فيه واقبلوا عنه، فإنه لا يقول على الله وعلى إلّا الحق»، فلم يأت عليه كثير شىء حتّى شنعوا عليه وعلى أصحابه، وقالوا: أصحابه لا يصلّون ويشربون النبيذ وهم أصحاب الحمام يقطعون الطريق، والمفضل يقربهم ويدنيهم («١»)، مما يدلل أن محمّد بن أبى زينب المقلاص كانت له نوع من السفارة والنيابة الخاصة ولكنه لما انحرف وزلت به القدم لُعن وطُرد وتُبرئ منه، وهذا يعطينا نموذجاً أنه من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۳۰

الممكن أن تسقط حجية النائب الخاص أو السفير الخاص، فإنّ النيابة الخاصة وإن كانت مقاماً عظيماً جليلًا وموقعاً حساساً جدّاً وإن الشخص الذى يتولاها لا بدَّ أن يكون من أهل التقوى واليقين وأن يكون صدّيقاً، فمع كل ذلك الشأن لمقام النيابة والنائب إلّا أن ذلك لا يعنى العصمة للنائب الخاص، كما أنه لو بحثنا ولاحظنا فى كتب علماء الإمامية لا نجد منهم من يفسر النيابة الخاصة والسفارة بأنها عصمة أو كون النائب معصوماً لا نجد ذلك فى كلماتهم مطلقاً، بل إن السفارة مع جلالها وعلو مقامها ليست إلّا منصباً ومقاماً يشغله من يختاره الإمام ليوصل الأحكام للناس ما دام مستقيماً وما دام ضمن دائرة حجيته ولا يتجاوز ولا يقفز على ضروريات الدين وسُنّة النبى والأئمّة (عليهم السلام) كما تقدم ذلك فى عرض كتاب الحسين بن روح النوبختى على فقهاء قم.

وأمثال الحسين بن روح النوبختى جملة أخرى كانوا نواباً وأبواباً للأئمّة (عليهم السلام) ولكن لم تعرف عنهم العصمة لا فى روايات أهل البيت (عليهم السلام) ولا- فى كلام علماء الإمامية، مع أن أولئك السفراء والنواب عظماء أمثال سلمان المحمدى وحبيب بن مظاهر الأسدى وميثم التمار ورشيد الهجرى (رض)، فمع ما لهم من المكانة والقدر الجليل والشأن العظيم وأنهم سفراء ونواب إلّا أنه لم تعرف عنهم العصمة أبداً، فإنّ العصمة لأهلها، فهذه العصمة لا يصلها الإنسان مهما بلغ من مقامات عظيمة إلّا أهلها.

فإنّ هؤلاء السفراء والنواب على عظمتهم وما عندهم من علم البلايا والمنايا وعلوم الباطن والأسرار ... كانوا مستضعفين فى معارفهم بالنسبة للإمام (ع) كما ورد ذلك فى شأن رشيد الهجرى من معرفته

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۳۱

بعلم المنايا والبلايا، والمستضعف باصطلاح الآيات والروايات هو الذى لم يصل إلى كمال الإيمان ولم تبلغ معارفه الإيمانية ما بلغته معارف المعصوم، فهو من هذه الناحية والجهة مستضعف يعنى لا يدرى أين طريقه لولا هداية ونور المعصوم وعنايته وإشرافه وإرشاده

وإن کان بالنسبة لمن دونه من عامة الناس هو کامل الإیمان ومن الأفذاذ، فإنّ مثل میثم التمار (رض) بالنسبة لعامة الناس من الأفذاذ والکُمل وصاحب إیمان کامل إلّا أنه بالنسبة للإمام (ع) هو مستضعف أی یحتاج لهدایة ونور وإرشاد المعصوم فی معرفة طریقه وسبیله لله تعالی.

السفیر والنائب قد یفقد حجیته ...: ص: ۴۳۱

لذا فالسفیر والنائب لا بدَّ أن یبقی علی هدی المعصوم وضمن دائرة حجیته وإلّا بمجرد أن یتجاوزها تسقط تلک الحجیة کما فی محمّد بن أبی زینب المقلاص.

وربما یطرأ فی المقام سؤال: إن الإمام (ع) لِمَ جعل مثل هذا الشخص سفیراً ونائباً مع علمه بأنه سینحرف ویلعن ویطرد، ألیس هذا خلافاً للحکمة؟

ولکن الحق أن هذا هو عین الحکمة، والقرآن یضرب لنا مثلًا فی ذلک، فإنّ بلعم بن باعورا آتاه الله تعالی بعض حروف الاسم الأعظم ولیس کله وإنما هدب شعاعی منه أو خیط مما لا یحصی من خیوط النور قال تعالی: وَاتْلُ عَلَیْهِمْ نَبَأَ الَّذِی آتَیْناهُ آیاتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّیْطانُ فَکانَ مِنَ الْغاوِینَ («۱»).

فکیف یعطی الله تعالی بعض الاسم الأعظم لمثل هذا الذی یعلم

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۴۳۲

به أنه سینحرف، فإنّ ذلک لم یخرج عن موازین الحکمة فإنّ الباری تعالی عادل لا یجور وقد قال فی کتابه العزیز: فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَیْراً یَرَهُ* وَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا یَرَهُ («۱»).

فإنّ الإنسان ما دام یجاهد نفسه ویتقی ویتورع ویزهد فی الدنیا ونحو ذلک، فإنّ الله تعالی یعطیه ویجازیه لقاء عمله هذا حیث روی عن أبی عبد الله (ع) أنه قال: «من زهد فی الدنیا أثبت الله الحکمة فی قلبه وأنطق بها لسانه وبصّره عیوب الدنیا دائها ودوائها وأخرجه منها سالماً إلی دار السلام» («۲»).

لکن الحکمة تکون علی الکافر حجة وتکون للمؤمن حجة، أی الحکمة تکون بنفع المؤمن وبضرر الکافر، فإنّ الحکمة والمقام الذی یعطیه الله تعالی للإنسان الزاهد العامل فی الدنیا جزاء زهده وعمله تلک المقامات من السفارة أو بعض حروف الاسم الأعظم لا تعنی ضماناً ولا حسن عاقبة له ولا سداداً له وإنما حسن العاقبة والسداد والضمان یحصل علیها من استمرار العمل المستحق لذلک لا أنه یعمل ما یشاء وکیف یشاء لأنه ضمن السداد وحسن العاقبة بحصوله علی النیابة أو السفارة أو بعض حروف الاسم الأعظم، فإنّ السداد والصراط المستقیم أمر دقیق أحدّ من السیف وأرفع من الشعر وهو أمر صعب عصیب، لأنه تحت الرقابة الشدیدة والمتابعة المستمرة وبمجرد أن یتخلی عن الضروریات والحجج الأکبر والعلیا واستمسک بالحجج الدون فإنّ منظومة الحجج لدیه تنهدم وتنفصم وبالتالی یقع فی الفتن والزیغ، وأما لو استقام

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۴۳۳

واستمسک بالعروة الوثقی وهی الحجج الأقوی فإنّه ینجو ویهتدی لانتظام منظومة الحجج لدیه قال تعالی: وَمَنْ یُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَی اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَکَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقی وَإِلَی اللَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ («۱»)، فَمَنْ یَکْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَیُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَکَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقی لَا انْفِصامَ لَها وَاللَّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ («۲»).

فإنّ مثل بلعم بن باعورا ومحمّد بن أبی زینب المقلاص وإن کان لهم ما لهم من المنزلة والحبوة والحظوة و ... فإنّ ذلک لا یعد ضماناً ولا صیانة لمستقبلهم ما لم یکن العمل الصحیح والتمسک بالحجج الأعلی من قبلهم والحفاظ علی دائرة الحجیة لکلٍ منهما، إذ لیس فی منهاج الدین والمعرفة الدینیة اعتمادٌ علی أن هذا کان مستقیم العمل أو أنه مستجاب الدعوة ونحو ذلک، وإنما منهاج الدین

منضبط ومبنى وفق مراتب الحجج وقواعدها الرقابية.

وإن من أوتى علم المنايا والبلايا والأسرار والباطن ونحو ذلك لا يعنى أنه أوتى الحجية والعصمة سواءً بقى على الصلاح كسلمان المحمّدى وحبيب بن مظاهر وميثم التمار وغيرهم (رض) أم انحرف عن الحق كابن أبى المقلاص وغيره، وإنما يعنى أنّا نتربى على أيديهم فى حدود النظريات لكن فى إطار ومسار وصراط وجادة ضروريات وثوابت الشارع المقدس، فلنا الشرف أن نتربى ونتتلمذ على ميثم التمار ورشيد وغيرهم (رض)، شرف لنا ولآبائنا وأجدادنا أن نتتلمذ على أيديهم

ولا نصل إلى درجتهم، فإنّا يوم القيامة مسؤولون إلى من أولينا زمام

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۳۴

أنفسنا ورقابنا فى ظل الضروريات فإنّ أمثال سلمان وحبيب وميثم ورشيد وغيرهم من الأكابر والأعاظم عرّفوا لنا الأئمّة والكتاب وسُنّة النبى، فتلك الحجج الأكبر وهى ضروريات الكتاب والسُنّة النبوية وثوابت منهاج الأئمّة (عليهم السلام) لا يمكن تركها تحت ذريعة اتّباع الصلحاء وأهل اليقين ورفع اليد عنها فهى الطريق اللائح والمنهاج الواضح.

فهذا نموذج جيّد موجود فى النواب والسفراء الخاصين بقوا واستمروا وحافظوا على دائرة حجيتهم واستمسكوا بالحجج الأعلى وتركوا الحجج الأدون فثبتت حجيتهم، وهناك نماذج أخرى كمحمّد بن أبى زينب المقلاص والمغيرة بن سعيد العجلى تعدّوا دائرة حجيتهم وتركوا الحجج الأعلى واستمسكوا بالحجج الأدون فسقطت حجيتهم ببركة القواعد الرقابية.

كما تقدم مثل ذلك فى الفقهاء كابن أبى العزاقر وأحمد بن هلال العبرتائى.

دعوة للتوازن ...: ص: ۴۳۴

من خلال ما تقدم تتضح الصعوبة فى فهم معارف الدين، وأن الابتلاء والامتحان فى المعرفة والبصيرة أعظم الامتحانات الإلهية، وأن امتحان الله تعالى لنا فى الغرائز والشهوة والغضب ونحوها هى امتحانات سهلة هيّنة يسيرة بالقياس إلى امتحانات البصائر والعقائد.

فإنّ منعطفات تاريخ الأمم والبشر فى الاستقامة ونحوها إنما هى بسبب الامتحانات والاختبارات والفتن فى البصيرة والمعرفة، لأن مركز التحكم فى

الإنسان والمميّز له عن بقية المخلوقات وعن الملائكة أيضاً هو عقله ولُبه وذهنه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۳۵

ودركه، فقد قال أمير المؤمنين (ع): «إن الله (عزوجل) رَكَّبَ فى الملائكة عقلًا بلا شهوة، ورَكَّبَ فى البهائم شهوة بلا عقل، ورَكَّبَ فى بنى آدم كلتيهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم» («۱») فإنّ النمط العام من الملائكة عنده قوة عقل فقط، أما الإنسان فإنَّ درجة القوة عنده بحيث تستطيع أن تتحكم وتجابه الشهوة والغضب، وهذا غير موجود عند الملائكة هذا الكلام ليس مع الملائكة المقربين، بل المقصود عموم الملائكة من غير المقربين.

ضرورة الدراسات العقائدية ...: ص: ۴۳۵

فإذن إذا كانت هذه القوة وهذه النعمة الوجودية التى هى رأس مال خطير أعطاها الله (عزوجل) للإنسان وهى قوة العقل والتى بتوسطها يمتحن الله الإنسان أعظم الامتحانات وبها امتاز عن بقية المخلوقات، فلا بدَّ للإنسان أن لا يقف عن تحريكها وتطويرها ولا يعطلها ولا يتوهم أنه اكتفى فى مرحلة ما فى دراسة المعارف وتعلمها، لأن معارف الدين بحر واسع، وإن قلنا أن التمسك بالضروريات هو تمسك بالعروة الوثقى، ولكن لكى يكون الإنسان أكثر فطنة وبصيرةً ونفاذاً فالحذر كل الحذر من تعطيل بحث المعارف والعقائد، إذ به نجاة الدين، فإنّه مما رواه الفريقان وهو مدار ملاحم تفسيرية علمية بين العلماء أن النبى (ص) قال: «العلوم كلها فضلة إلّا ثلاث: آية

محكمة، وسُنّة قائمة، وفريضة عادلة» («۲»)

، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۳۶

فالآيـة المحكمـة يعنى العقائـد، والسُـنّة القائمـة يعنى تهذيب الأخلاق أو العلوم التى تبحث عن النفس والتى تؤدى لمعرفة النفس فإنّه «مـن عرف نفسه عرف ربه» («۱») و «من ملك نفسه هُدى واستقام» («۲»)، فهـذه العلوم التى تبحث عن النفس وأخلاقها وبالتالى عن رياضات النفس هى سُنّة قائمة، والفريضة العادلة هى الفقه، أى فقه الفروع.

فإذن العلوم المهمـة التى يجب على الإنسان أن يتعلمها هى ثلاثـة محاور تكمل بعضـها البعض ولا ينبغى التقصـير والتماهل فى واحد منها، فإذا استطاع طالب العلم أن يشبع البحث والمعرفة ويدأب إلى آخر عمره فى السير فيها فإنّه لن يُباغت ولن يُغدر به ولن تتكأده القيام بالمسؤوليـة لأن وظيفـة طلبـة العلوم الدينيـة هى المرابطة فى الثغور الخطيرة الأساسيـة وحماية الدين فى تلك الثغور الثلاثة، فإذا أحكمنا المرابطـة فيها لن يستطيع العـدو أن يباغت حِمى الدين وذلك بأن تتكامل عندنا هذه المحاور الثلاثة من العلوم، إذ بها نحمى الدين فإنّ هذه وصية إعجازية من النبى (ص) فى القدرة على حفظ الدين وعجز العدو طوال

تاريـخ البشـرية، إذن فمن الضـرورى عـدم حصـر التكثيف فى فقه الفروع وعلم أصول الفقه على حساب المحورين الآخرين، وهـذا لا يعنى عدم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۳۷

الاهتمـام بعلم الفقه وأصوله ولكنّا نقول لاـ بـدَّ من توازنه مع العقائـد لأنهمـا كمـا يقول العلمـاء الأكابر المتقـدمون جناحان يطير بهما العالم، فقه الفروع والفقه الأكبر وهو العقائد، بل وحتّى الفقه الأوسط وهو تهذيب النفس.

فهذه مراتب ثلاث إذا أحكمها طالب العلم آية محكمة وسُنّة قائمة وفريضة عادلة فإنّه سوف تكون له أجنحة يطير بها إلى ما شاء الله، وإلّا فـإنّ تكثيف وإشـباع أحـدهما على حسـاب الآخر يكون المسـير كمسـير الأعرج برجل واحـدة، فلا بـدَّ من الموازنـة فى الدراسـة والمواظبة على هذين الخطين المتوازيين.

الدليل الإثباتى للنيابة الخاصة ...: ص: ۴۳۷

ثبت فى محله أن الأدلّـة الإثباتية على أنواع ودرجات تختلف باختلاف المثبت والمدعى، فهناك الأدلّة العقلية، والأدلّة النقلية، والنقلية منهـا القطعى ومنهـا الظنى، وكل منهما ربما يكون نصاً فى المراد وربما يكون استظهاراً ظنياً وهكـذا، فالنبوة مثلًا لما كانت مقاماً مهماً ومنصبـاً خطيراً لم يسلّم الناس للنبى لمجرد الدعوى من دون دليل إثباتى يقينى، فمثلًا فى قصة إمامة طالوت لم يكن ليسلموا له لمجرد دعواه بل لا بـدَّ من القطع، وقـد بين ذلك القرآن الكريم حيث قال تعالى: وَقالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَآلُ

هـارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ («۱») أى شاهـد ملكوتى إعجازى فإنّ التابوت فى بنى إسـرائيل كان مثل عصا موسى من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۳۸

جهة أنه أمر إعجازى، فإنّه لا يأتى متحركاً بنفسه إلّا فى سكينة، والسكينة لها شكل وصورة وريح من الجنّة وله شكل جميل مثل وجه الإنسان، وهـذه الصورة يشاهدها بنو إسـرائيل فقط فى تعيين كل نبى نبى من أنبياء بنى إسـرائيل وقد رأوه عندما قالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً قالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمالِ قالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَزادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ* وَقالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَآلُ هارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ («۱»)، فكان مجىء التابوت

هو الدليل القطعى عندهم على ذلك، وقد أتى ذلك التابوت فكان آية ملكه.

فقد ورد عن الرضا (ع) قال: «السكينة ريح من الجنّة لها وجه كوجه الإنسان، وكان التابوت إذا وضع بين يدى المسلمين والكفار فإنّ تقدم التابوت رجل لا يرجع حتّى يقتله أو يغلب، ومن رجع عن التابوت كفر وقتله الإمام» («

).

وعن أبى الحسن (ع) قال: «السكينة ريح تخرج من الجنّة لها صورة كصورة الإنسان ورائحة طيبة، وهى التى أنزلت على إبراهيم صلوات الله عليه فأقبلت تدور حول أركان البيت وهو يضع الأساطين،

وهذه السكينة، كانت فى التابوت وكانت فيها طشت يغسل فيها قلوب الأنبياء، وكان التابوت يدور فى بنى إسرائيل مع الأنبياء (عليهم السلام)» («۳»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۳۹

خطورة السفارة ودليلها ...: ص: ۴۳۹

والسفارة والنيابة الخاصة لما كانت مقاماً إجرائياً خطيراً وحساساً ومهماً لأنه يرتبط بالإمام المعصوم ارتباطاً خفياً ويؤدى عنه، وإن كانت صلاحياته وحجيته محدودة وليست مطلقة وأنه خاضع للمتابعة والمراقبة من الفقهاء والعوام من خلال إعمال القواعد الرقابية المعرفية وأنه خاضع لحجج أعلى وأقوى منه ومحكمة عليه، إلّا أنه لخطورة وأهمية هذا الموقع لم يكن لأحد فى زمن حضور الأئمّة (عليهم السلام) أو فى الغيبة الصغرى أن يقبل ويقر هذا المنصب لأحد إلّا بدليل قطعى نصى، أى بالدليل اليقينى دون غيره من الأدلّة الإثباتية فلا اعتداد بالاستظهارات الظنية حتّى لو كانت ظنوناً معتبرة ولا بالحدس، فلم يقبل شيعة أهل البيت (عليهم السلام) ولم يسلموا على طول فترات الحضور والغيبة للأئمّة (عليهم السلام) بنيابة أىّ نائب ولا سفارة أىّ سفير إلّا بالدليل اليقينى دون غيره من الأدلّة وإن كانت فى نفسها معتبرة كالظنون المعتبرة من الاستظهارات ونحوها ولا بالبينة ولا بغيرها من هذا المستوى من الأدلّة لأنها مراتب إثباتية دانية نازلة لا تناسب المقام الخطير للسفير والنائب لأنه يؤدى عن المعصوم فلا بدَّ من إثباته بالقطع واليقين.

كما أن ديدن شيعة أهل البيت (عليهم السلام) فى إثبات نيابة أو سفارة

النواب والسفراء سواء أكان فى عصر الأئمّة (عليهم السلام) أم فى الغيبة الصغرى للإمام المهدى (ع)، إذ ليس بصحيح ما فى كثير من الأذهان من أن ظاهرة النيابة والسفارة فى فترة الغيبة الصغرى فقط، بل إن الصحيح حسب الروايات العديدة أن هناك نواباً وسفراءً خاصين للمعصومين قبل الإمام المهدى (ع)، بل إن ذلك أحد الطرق اليقينية اليقينية فى إثبات سفارة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۴۰

ونيابة العمريين من خلال نص الإمام الظاهر وتصريحه بكونهما سفيرين فإنّ العمريين حسب مفاد الدليل كانا سفيرين ونائبين خاصين للإمام الهادى والإمام الحسن العسكرى (ع) فعهدت الشيعة وفقهاء الإمامية هذا المنصب للعمريين فى زمن العسكريين وأن تنصيبهما كان بنص من الإمام الهادى (ع) ثمّ العسكرى (ع)، فقد ورد: «اسمع لهما وأطع لهما فإنّهما الثقتان المأمونان» («۱») ثمّ فى تتمة بعض النصوص الواردة فى شأنهما أنهما كذلك لابن الحسن (ع) يعنى الإمام المهدى (ع) والذى يعنى أن العمريين لهما نفس السمة التى شغلاها وكانت لهما فى عهد الإمام العسكرى والهادى (ع)، فإنّ الشيعة والفقهاء فى تلك الفترة مع ما ورد من تنصيصه (ع) على توثيق العمريين لم يكتفوا بذلك فى ما بعد ما لم يصدر عن العسكرى (ع) ما يثبت استمرار السفارة والنيابة لهما فى عهد المهدى (ع) وإن ذلك الصادر خبر قطعى فيكونون قد أثبتوا السفارة والنيابة لهما بالأدلّة القطعية، وهكذا فى عصر الإمام الصادق

(ع)، فهناك روايات ونصوص تشير إلى ثبوت مقام وسمة السفارة والنيابة الخاصة لمثل جابر بن يزيد الجعفى، وكما هو الحال عند أصحاب الإمام الصادق بعد ثبوت انحراف محمّد بن أبى زينب المقلاص، فإنّهم جاؤوا وطلبوا من الإمام (ع) تنصيب المفضل بن عمر

الجعفى مما يعنى أنهم لا يكتفون بالظنون فى منصب السفارة والنيابة، بل

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۴۱

لا بدَّ من الأدلّة اليقينية القطعية والتى هى التصريح المباشر من قبل الإمام (ع) فى مثل تنصيب المفضل بن عمر الجعفى، فإنّ تلك المراتب الأخرى من الأدلّة كالظهورات والظنون المعتبرة والشاهدين العدلين ونحوها إنما لها مجالها ومساحتها الإثباتية الخاصة، أما مثل إمامة أمير المؤمنين (ع) أو أىّ أصل من أصول الدين أو قواعد الفقه الأصولية و ... ونيابة النواب لا يمكن إثباتها بهذا النحو من الأدلّة الظنية ونحوها بل لا ـ بدَّ من اليقين، نعم هذه تنفع فى إثبات أمور أخرى أهون من الإمام والنيابة كالقواعد الفقهية الفرعية وتفاصيل أمور الفقه ونحوها وإلّا لو عكسنا وأثبتنا الإمامة والنيابة بالأدلّة الظنية أو أثبتنا الفروع الفقهية بالأدلّة القطعية لكان ذلك من الخلط فى الحجج ومنظومة الحجج.

وهو نظير المستندات فى الدوائر الحكومية فإنّ كل وزارة لها مستندات معينة خاصة بها، فلوزارة الصحة مستندات معينة وللجامعة والتعليم مستندات معينة وللحوزة العلمية مستندات معينة، فالمستندات أنواع وأنماط وأصناف مختلفة ودرجات متفاوتة، فليس المستند مطلقاً فى كل مكان وفى كل حال يكون مؤدياً ومفيداً للغرض، فالرواية الظنية حتّى لو كان الظن معتبراً لا يمكن إثبات نيابة نائب خاص أو سفير لخطورة هذا المقام.

انضباط قنوات الحجية للغيب ...: ص: ۴۴۱

وحفاظاً على تراتبية الحجج، فإنّ الحجج وتراتبيتها لها نظام خاص فأىّ مخالفة له ونقضه يوقع فى الزيغ، كما لو فرضنا أن شخصاً رأى ملكاً حتّى لو كان من السماء الأولى ونقل له بعض الأوامر فهل ذلك يكون حجة على ذلك الشخص دون أن يكون عن طريق نبى أو رسول؟

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۴۲

بلا إشكال ليس حجة عليه ولا يجوز لذلك الشخص أن يعمل بتلك الأوامر بدعوى أنه سمعها من ذلك الملك لأن ذلك الملك ليس حجة علينا إلّا بتوسط النبى أو الرسول أو وصى أو ... أما الملك فلم يكن منصوباً من الله تعالى ليكون حجة علينا بل إن الله تعالى نصب علينا حججاً يجب علينا اتباعها كالرسول محمّد (ص) وعلى بن أبى طالب (ع) لذا وكما بيّنا ذلك سابقاً لا يمكن لنا اتّباع النبى موسى أو عيسى (ع) إلّا فيما أقره النبى محمّد (ص) فى دائرة الحجية لا الشرائع (« ۱»).

فإنّ الدين ومراتب الحجج ليس العوبة فى الأيدى، أى سواء أكان من البشر أم من الملائكة كمالك خازن النيران أو رضوان خازن الجنّة وحتّى عزرائيل (ع) بل وحتّى جبرائيل (ع) فلو أدلوا لنا بشىء ليس لنا الأخذ منهم مطلقاً، لأن الله تعالى لم ينصبهم حججاً علينا وإنما جبرائيل (ع) نصبه الله لإنباء الأنبياء والرسل ونحن لسنا بأنبياء يقيناً

"

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۴۳

فليست الملائكة حججاً علينا وإنما نحن نتلقى من الرسول الأعظم إذ أمرنا باتّباعه (ص) واتّباع الأئمّة (عليهم السلام) فهم جهاز الله لدخول الأبواب السماوية والرقى والتقرب لله تعالى أما من غيرهم فليس لنا الدخول بها على الساحة الإلهية ولا يصح التقرب، وهذا ضمن النظام الإلهى وتراتبية الحجج، نظير النظام الإدارى الوضعى فليس للموظف أن يأخذ الأوامر والتوجيهات إلّا من خلال مسؤوله المباشر، وما ذلك إلّا لحفظ المقامات والسيطرة على الأجهزة العاملة بشكل مرتب ومنظم، لذلك نهى رسول الله بشدة كثيراً من الصحابة عندما أرادوا التمسك ببعض ما روى عن النبى عيسى أو موسى (ع) فإنّه ليس لهم إلّا اتّباع سيد الرسل (ص) أو المقدار الذى أقره سيد الرسل من باقى الأنبياء والرسل (عليهم السلام) كما روى أبو عبيد فى (غريب الحديث) (« ۱»): فى حديث النبى (ص) حين

أتـاه عمر فقـال: إنّـا نسـمع أحـاديث اليهود تعجبنا فترى أن نكتب بعضـها؟ فقال رسول الله (ص): «أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟! لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حياً ما وسعه إلّا اتّباعى»، وروى

الطبرسى فى (الاحتجاج) («۲») عن الصـادق (ع) أن رسول الله (ص) قـال فى احتجاجه على يهودى: «يا يهودى إن موسـى لو أدركنى ثمّ لم يـؤمن بى وبنبـوتى لم ينفعه إيمـانه شـيئاً ولاـ نفعته النبـوة، يـا يهودى ومن ذريـتى (المهـدى) إذا خرج نزل عيسـى بن مريم (ع) لنصرته فيقدمه ويصلى خلفه»، وإلّا فإنّ الأمر ليس فوضى وإنما فيه تنظيم لأنه جهاز

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۴۴

إلهى كامـل، وهـذا من أشـرف مـا أنعم الله به علينـا وهو اتّباع أفضل خلائق الله تعالى وسـيد الرسل على الاطلاق وأهل بيته الطاهرين، فنحن أمرنا باتّباع والاقتـداء والاهتـداء بأفضل الخليقـة وهو شـرف لنا، فلا يتاه بنا ونضـيّع هـذه النعمة العظيمة ونتخبط فى الحجج ونتبع عناوين أخرى ما أنزل الله بها من سلطان.

فشـرف لنا أنّا خلقنا فى مثل هـذا الزمان وهو زمان سـيد الرسل (ص) وأوصـيائه النجباء ولم نخلق فى أزمنة أخرى لنتبع بقية الرسل فى شرائعهم فإنّا امرنـا باتّبـاع من أمر جبرائيـل وعزرائيل وإسـرافيل وميكائيل ومالك وكل الكون بل وحتّى باقى الأنبياء والرسل باتّباعهم وطـاعتهم وولايتهم ووصاياتهم ... فلا نقع فى الزيغ والتيه ونرفع اليـد عن تلك الحجـج العظيمـة ونتبع زعيق كل زاعق ونعيق كل ناعق ونطبل لكل رايـة ترفع.. فإنّا عنـدنا ضـروريات وبـديهيات لا يشوبها شـىء وعنـدنا منهـج لائـح وأعلام واضـحة من مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، فلا نستبدل ما هو خير بما هو دون وما هو عالى بما هو سفل.

فلنكن على بصيرة وهداية ولا نتبع هلوسات وظنون وأدلّة حدسية

لإثبات أدعياء النيابة الخاصة والسفارة، وبالتالى نتعامل معه على أنه مرتبط بالأئمّة الصالحين (عليهم السلام).

فإنّ أهل البيت (عليهم السـلام) نجوم وأسـرار الخلق فلا يمكن أن نصـدق من يـدعى الالتصاق بهم إلّا بأدلّـة قطعية يقينية وبراهين بيّنة محكمة. بل إن الشـيعة مع من ثبتت سفارتهم ونيابتهم بالأدلّة القطعية اليقينية لم يكتفوا بذلك، بل راحوا يراقبونهم ويحكمون القواعد الرقابية عليهم حتّى مماتهم لأن ذلك المقام المعطى لهم ليس بالأمر السهل والهيّن بل أمر

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۴۵

خطير وهم ليسـوا بمعصومين ولاـ مسـددين، فكم هو عظيم وعى الشـيعة وأتبـاع أهـل الـبيت (عليهم السـلام) حيث أدركوا أن أولئك السـفراء ليسوا بمعصومين فلا بدَّ أن تثبت سـفارتهم بالأدلّة القطعية كما لا بدَّ من اسـتمرار المراقبة لهم فلا يكفى الدليل القطعى، بل لا بـدَّ من إخضـاعهم للرقابـة والمتابعـة ووضـعهم تحت مجهر مراقبـة الضـروريات والحجـج الأكبر، فكم الأمر عصـيب وخطير ودقيق فلا نتساهل نحن فيه ونخلط الأمور بعضـها بالبعض الآخر ولا نزيلها عن مواضـعها ولنتذكر دائماً مثال الخضر (ع)، مع موسى (ع) فمع ما له من المكانة كان موسى (ع) يعمل القواعد الرقابية عليه.

إذاً أوّلًا: النيابة الخاصة لا تثبت إلّا بدليل قطعى، وثانياً: مع أن صلاحيات النائب محدودة وليست مطلقة، وثالثاً: أن القواعد الرقابية وهى ضروريات الدين جارية ومطبقة عليه على طول المسار.

فهذه ثلاث قواعد مهمة فى دائرة النيابة الخاصة والسفارة لا بدَّ من الالتفات إليها وتمييزها بشكل دقيق؛ لأن أهميتها مترشحة من أهمية منصب النائب والسفير الخاص.

شبهات عنكبوتية واهية ...: ص: ۴۴۵

من هنا يتضـح بطلان ما يسـتدل به البعض على كونه ابناً للإمام (ع) وأن له حجيـة الوساطة بينه وبين الناس لأنه يعتمد فى إثبات ذلك على رواية يفهم منها فهماً خلاف ظاهرها وهى رواية الاصـبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين (ع) حيث ورد عن الاصبغ بن نباتة، قال: أتيت

أمير المؤمنين علياً (ع) ذات يوم فوجدته مفكراً ينكث فى الأرض، فقلت:

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۴۶

يـا أمير المؤمنين رأيتك تنكث فى الأرض أرغبـة منك فيها؟ فقال: «والله ما رغبت فيها ولكن فكرى فى مولود يكون من ظهر الحادى عشر من ولدى» («۱»).

فيستدل البعض على أنه ابن الإمام المهدى (ع) بناءً على أن المتكلم هو أمير المؤمنين (ع) والمولود الحادى عشر هو المهدى (ع) وقد قال: «يكون من ظهر الحادى عشر» أى أن ذلك المولود يولد من الإمام المهدى ويفكر فيه أمير المؤمنين (ع).

وبعبـارة أخرى كـأن أميرالمؤمنين (ع) يقول أولادى أحـد عشـر ومن ظهر الحادى عشـر يكون مولودٌ أفكر فيه، وبالتالى يكون مجموع الأئمّة (عليهم السلام) ثلاثة عشر، أمير المؤمنين وأولاده الأحد عشر والمولود من ظهر الحادى عشر.

وهذا التفسير مبنى على جعل لفظ (الحادى عشر) تمييزاً لقوله (ولدى) وهو خطأ لأن قوله: (من ولدى) صفة لقوله: (الحادى عشر).

فيكون المعنى أن أمير المؤمنين (ع) يقول: (الحادى عشر من الأئمّة من ولدى يكون من ظهره مولود أفكر فيه) والحادى عشر منهم هو الحسن العسكرى (ع) ومن ظهره يكون المهدى (ع).

مثلًا لو نـذكر نحن العبـارة بشـكل آخر للتوضيـح: (فكرى فى مولود يكون من ظهر الحادى عشـر من أئمّـة أهل البيت شديـد السـمرة ويلقب بالعسكرى وهو من ولدى) فنذكر مجموع صفات، ولكن الأمير (ع) ذكر صفة واحدة للحادى عشر وهو كونه من ولده.

وبالتالى فالتمييز لقوله: (الحادى عشر) هو اللفظ المقدر المعهود

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۴۷

وهو (من الأئمّـة) وليس هو اللفظ المـذكور (من ولـدى) بل قوله: (من ولـدى) صـفة ل- (الحادى عشـر)، أى الحادى عشـر من الأئمّة والـذى هو الحسن العسـكرى موصوف بأنه من ولـدى، فمن ظهر الحسن العسـكرى يكون المولود وهو المهدى (ع)، فالإمام على (ع) يفكر فى المهدى نفسه وليس فى ابن المهدى كما يدعى هذا البعض.

فـإنّ لفظ الحـادى عشـر عنـدما يرد فى الروايـات كـأنه اصـطلاح خاص بالترتيب لخلفاء الرسول (ص) وهم الأئمّـة الاثنا عشـر (عليهم السـلام). فكيف يحتـج بإيهام فى الدلالـة على أمر لا بدَّ أن يكون يقينياً لا وهمياً، ثمّ كيف يعتمد على رواية آحاد واحدة فى مسألة لا بدَّ فيها من اليقين، وثالثاً من أين الدليل اليقينى على أصل الولادة فى الخارج المحسوس. فكل هذه الأمور وهن فى وهن واهى.

فى عصر المهديين الاثنى عشر ...: ص: ۴۴۷

وهناك مجموعة من الروايات بمفاد واحد تقريباً وهو «منّا بعد القائم أحد عشر مهدياً» («۱»).

وفى رواية أبى حمزة أنه قال: «يا أبا حمزة، إن منّا بعد القائم (ع) إحدى عشـر مهدياً من ولد الحسـين»، ورواية كمال الدين (ج ۲/ ص ۳۵۸)، وبعض الأدعية كذلك ... « اللهم صل على ولاة عهده والأئمّة من بعده » («... ۲») وغيرها بنفس المضمون.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۴۸

ولكن هذه الروايات صاغ مفادها البعض، بل حبك الإيهام فى مفادها وأدعى أنه من أبناء المهدى (ع) وهو مهدى أيضاً.

مع أن هذه الروايات لم تذكر نعت الإمام لما بعد الإمام الثانى عشـر، وإنما النعت الذى ذكرته لهم أنهم مهديون وفى بعضها نفى أنهم أئمّة، كما فى الرواية عن الصادق (ع) وهو يفسـر كلام الباقر (ع) أنى سـمعت من أبى الباقر (ع) قال: «يكون بعد القائم اثناعشر مهدياً» وهذا كلام الباقر، فقال الصادق: «إنما قال أبى اثنا عشـر مهدياً ولم يقل اثنا عشـر إماماً، ولكنهم قوم من شـيعتنا»، وفى رواية أبى بصير: «وإنما هم مهديون» («۱») فلم تصـفهم مجموع هـذه الروايات أنهم رواد الأرض وقطب القيادة فيها وإنما غايـة ما تـدل عليه أنها تعزى

وتسند إليهم جملة من المسؤوليات ما بعد وفاة الإمام المهدى (ع) أى فى عصر ومرحلة

الرجعة لا مرحلة الظهور فضلًا عن مرحلة ما قبل الظهور مع أن ما صرح فى رواية أبى بصير بأنهم يدعون الناس إلى موالاة ومعرفة حقنا. أى إن القيادة ليست بأيديهم ومركزية الإمامة هى للاثنى عشر فى عصر الرجعة بعد عصر دولة الإمام المهدى (ع).

ومن ثَمَّ لا ـ تعارض هذه الروايات ما ورد فى روايات الرجعة أن الإمام أمير المؤمنين (ع) والإمام الحسين (ع) يرجعان قبل استشهاد الإمام المهدى وأن الذى يجهز ويدفن الإمام المهدى هو جدّه الحسين («٢»)

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۴۹

(ع) ويدفنه فى موضع قبره فى كربلاء، أى إن ما بعد الإمام المهدى لا تخلو الأرض من الأئمّة الاثنى عشر، بل يبدأون بالعودة والرجعة ودولة الرجعة غاية الأمر أن هؤلاء المهديين الاثنى عشر سواء أكانوا من ولد الإمام الثانى عشر أم من ولد الحسين تكون لهم أدوار ومهام تحت قيادة وإمامة وفى ظل قيادة الأئمّة الاثنى عشر وليست لهم مناصب الإمامة والقيادة وما هو من هذا القبيل.

وأما ما فى رواية مختصر البصائر فلا تدل على خلو الأرض من الأئمّة الاثنى عشر بعد الإمام الثانى عشر بسنة وقانون الرجعة، غاية الأمر أن المهديين الاثنى عشر من ولد الإمام الثانى عشر سيكون لهم دور الأعوان والأنصار فى دولة الأئمّة فى الرجعة، لاسيّما بعد تواتر أن الأرض لا تخلو من الحجة الإمام، وإلّا لساخت الأرض («١»)، وهى نفس

عموم القاعدة المستفادة من قوله تعالى: إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً («٢»).

إذاً هؤلاء ليسوا بأئمّة، فالأرض لا تخلو من إمام أو خليفة لله فى الأرض، إذن هم فى دولة الرجعة.

وأما ما فى رواية غيبة الشيخ الطوسى عن النبى (ص) من قوله: «ثمّ يكون من بعده اثنا عشر مهدياً، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه أوّل المقربين، له ثلاث أسامى» («٣»)، فهى مضافاً إلى ضعف السند ورواية آحاد واحدة ظنية لا يصح الاعتماد عليها بمفردها فى مسألة لا بدَّ فيها من رقى الدليل إلى درجة اليقين أنه ليس فيها تصريح بأنه يسلم الإمامة وقيادة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۵۰

الأرض إلى ابنه كيف وقد صرّح فى الروايات الأخرى بأنهم ليسوا بأئمّة فكيف يسلم الإمامة إليهم، بل فى روايات الرجعة أن الذى يلى تجهيز الإمام الثانى عشر هو الحسين، فلا بدَّ أن يكون الضمير فى (ليسلمها) عائداً إلى بعض المسؤوليات وبعض الوظائف التى يقوم بها أولاده فى ظل إمامته أى عود الضمير إلى الصحيفة التى ذكرت فى صدر الرواية.

فلا بدَّ أن يكون الضمير عائداً إلى المهمة والمسؤولية المعينة لا إلى الإمامة، مضافاً إلى أن كلمة (بعده أو بعدهم) تدلُّ بصراحة على أنه لا دور لهؤلاء قبل ظهور الإمام الثانى عشر ولا فى أثناء دولته وإنما دورهم سيكون فى عصر الرجعة بعد دولة الظهور واستشهاد الإمام (ع).

فمفاد الروايات يقطع الطريق أمام ادّعاء النيابة الخاصة قبل الظهور كما أن هذه الروايات لا تعطى لهؤلاء المهديين نعت الحجية ولا نعت

النيابة الخاصة ولا نعت السفارة ولا نعت الإمامة وإنما غاية ما تدل عليه هو أن لهم بعض المسؤوليات.

مع أن كلمة (من بعدهم) أيضاً بمعنى دون مقام الأئمّة الاثنى عشر أى لهم مسؤوليات فى ظل إمامة الأئمّة الاثنى عشر (عليهم السلام).

وأما ما رواه السيد بن طاووس فى المصباح عن الرضا فى أعمال يوم الجمعة عن يونس بن عبد الرحمن عن الرضا (ع) دعاء وفى ذيله: «اللهم صل على ولاة عهده والأئمّة من بعده» («١») فالتعبير بالأئمّة من بعده لا تأبى الانطباق على رجوع الأئمّة (عليهم السلام) لاسيّما وأنه قد غاير (ع) بين عنوان الولاة من بعده والأئمّة من بعده مما يدل على أن له ولاة عهدٍ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۵۱

ليسوا بأئمّة هو لا يأبى الانطباق على المهديين الاثنى عشر وهم غيره مع تنصيص الرواية على وجود أئمّة من بعده يغايرون ولاة عهده

من بعده دلالة على تغاير الأئمّة بعد المهدی (ع) تغايرهم مع المهديين الاثنی عشر، والحاصل فإنّه لا دلالة فی الدعاء على أن هناك أئمّة من بعده يغايرون الأئمّة الاثنی عشر لاسيّما وأن كون عدة الأئمّة الاثنی عشر من ضروريات المعتقد عند أهل البيت بل فی روايات المسلمين أن خلفاء النبی اثنا عشر والمهم الالتفات إلى إمامة الاثنی عشر ثبتت بنصوص الآيات القرآنية وتواتر الأحاديث فكيف يقف فی مصافها ودرجتها روايات آحاد لم تصح سنداً فضلًا عن أن تبلغ اليقين مع أن دلالتها أجنبية عن مدّعی أدعياء السفارة والنيابة قبل الظهور؟

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۴۵۵

الفصل السابع: حقيقة النيابة الخاصة والسفارة ... ص: ۴۵۵

أدلّة انقطاع النيابة الخاصة والسفارة ...: ص: ۴۵۵

الدليل الأوّل:

إن انقطاع النيابة بات من الأمور الواضحة عند علماء الإمامية وعامة شيعة وأتباع أهل البيت (عليهم السلام) بل أصبحت بديهية وضرورية عندهم بل حتّى لدى أهل السُنّة، فإنّ فِرَق أهل السُنّة فی نظرتهم إلى أتباع مدرسة أهل البيت بات واضحاً لديهم علماءً وعواماً أن من معتقدات وضروريات مذهب أهل البيت (عليهم السلام) هو انقطاع النيابة الخاصة والسفارة، بمعنى انقطاع الاتصال بالإمام، ومن ثَمَّ بناءً على ذلك بدءوا بسلسلة من الشبهات والاعتراضات والإشكالات على أصل عقيدة الإمامة وهذه الإشكالات والاعتراضات قد أجيب عنها تفصيلًا فی محلها وسنتعرض لاحقاً لجملة منها إن شاء الله.

فإنّ الأمر عندهم بلغ مرتبة من الوضوح والبداهة والضرورة بحيث أن نفس العامة على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم نسبوا لأتباع أهل البيت (عليهم السلام) مسألة انقطاع النيابة وأنها لديهم كمسألة عقيدة الغيبة للإمام (ع) فی الوضوح والبداهة، فكما أن عقيدة غيبة الإمام ضرورية كذلك انقطاع النيابة الخاصة وبالتالی فإنّ تفسير عقيدة الغيبة الكبرى بانقطاع النيابة الخاصة والسفارة أمران مقرونان إلى بعضهما البعض، ومن ثَمَّ جعلوا هذا الاعتقاد عند الإمامية أمراً مفروغاً عنه بل بديهياً ضرورياً وراحوا يعترضون ويشكلون عليهم على أساسه.

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۴۵۶

بل إن أبرز إشكالاتهم حول ذلك أن الإمام المهدی (ع) إذا كان غائباً وليس له نوابٌ خاصون ولا سفراء فهو بالتالی منقطع عن المسلمين أی لا اتصال بينه وبين أتباعه وشيعته ومن يأتم به؟ وهذا الإشكال مذكور فی أغلب كتب العامة الكلامية حيث يشكلون به على أصل الإمامة، فكيف يكون إماماً ولا اتصال له بقاعدته وكيف يدبر أمور الأمّة؟ فأیّ كتاب كلامی من كتب العامة عندما يبحث عن الإمامة ويناقش فيها أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) وعقيدتهم فی الإمامة فإنّ أوّل نقاش يطرحه هو هذا الإشكال المبتنی على انقطاع السفارة والنيابة عند الإمامية فيفهم من خلال ذلك أنَّ انقطاع السفارة عند الإمامية عقيدة وضرورة كعقيدة أصل الإمامة وكعقيدة الرجعة و ... وإلّا لم يوردوا إشكالهم لو لم يكن انقطاع السفارة من أوّليات وبديهيات وضروريات مذهب أتباع أهل البيت (عليهم السلام).

الدليل الثانی:

التوقيع المبارك المروی بتوسط النائب الرابع علی بن محمّد السمری حيث ذكر الشيخ الطوسی فی كتاب الغيبة فی (ص ۳۶۵) عند ذكره أبی الحسن علی بن محمّد السمری فقال (تحت الرقم ۳۶۵) وأخبرنا جماعة عن أبی جعفر محمّد بن علی بن الحسين بن بابويه قال: حدّثنی أبو محمّد الحسن بن أحمد المكتب، قال: كنت بمدينة السلام فی السنة التی توفی فيها الشيخ أبو الحسن علی بن محمّد

السمری (رض) فحضرته قبل وفاته بأیام فأخرج إلی الناس توقیعاً نسخته: «بسم الله الرحمن الرحیم یا علی بن محمّد السمری أعظم الله أجر إخوانک فیک فإنّک میت ما بینک وبین ستة أیام فاجمع أمرک ولا توص إلی أحد فیقوم

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۴۵۷

مقامک بعد وفاتک فقد وقعت الغیبة التامة فلا ظهور إلّا بعد إذن الله تعالی ذکره، وذلک بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً وسیأتی شیعتی من یدعی المشاهدة ألا فمن ادعی المشاهدة قبل خروج السفیانی والصیحة فهو کذاب مفتر ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلی العظیم». قال: فنسخنا هذا التوقیع وخرجنا من عنده، فلما کان الیوم السادس عدنا إلیه وهو یجود بنفسه، فقیل له: من وصیک من بعدک؟ فقال: لله أمر هو بالغه وقضی. فهذا آخر کلام سمع منه رضی الله عنه وأرضاه («۱»).

حیث أنه خطاب للنائب الرابع أن یجمع أمره ویبلغ أتباع أهل البیت (علیهم السلام) أنه میت بعد الستة أیام وهذا فی نفسه إعجاز بأن یحدد الإمام موت السمری بالتاریخ الصحیح وأن لا یوصی إلی أحد من بعده وأن الغیبة الکبری أو الغیبة التامة قد وقعت وأن مدعی المشاهدة فهو مفتر کذّاب.

والمقصود بالمشاهدة بقرینة وقوعها فی سیاق وفاة النائب الرابع والأمر له بعدم الوصیة لأحد هو إبراز المشاهدة لافهام الناس بأنه علی اتصال وارتباط بالإمام (ع) وأن له مقام الوساطة معه.

ولا- یشترط أن تکون المشاهدة المنهی عنها مزعومة ومعنونة بالسفارة أو النیابة کما سی- أتی بیانه تحت عنوان (عناوین دعوی السفارة)، وکذلک لا- مانع من أصل المشاهدة من دون إبراز دعوی الاتصال والارتباط أی دعوی منصب ومقام، کما سیأتی تحت عنوان (التشرف برؤیة الإمام المهدی (ع) لا یعنی الحجیة).

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۴۵۸

فمضمون التوقیع أن الإمام (ع) ینفی دعوی السفارة والنیابة والارتباط والوساطة بعد السمری (رض) فإنّ هذا المنصب والمقام بابه مسدود حتّی ظهور الإمام (ع) وإتمام البیعة له، وإن کان الإمام المهدی (ع) فی التوقیع الشریف قد ذکر حدّاً وغایةً لوقت الصیحة، ولکن بحسب الروایات المستفیضة والمتواترة التی تبیّن شؤون الظهور ذکرت بأنّ انقطاع النیابة الخاصة یمتد حتّی بیعة الإمام (ع) بین الرکن والمقام وأوّل من یبایع هو جبرائیل (ع)، فإنّ هناک صیحة أخری لجبرائیل بعد الظهور یوم البیعة، فعن أبی عبد الله (ع) أنه قال: «ینادی باسم القائم (ع) فیؤتی وهو خلف المقام، فیقال له: قد نودی باسمک فما تنتظر؟ ثمّ یؤخذ بیده فیبایع». [قال] وقال لی زرارة: الحمد لله قد کنّا نسمع أن القائم (ع) یبایع مستکرها فلم نکن نعلم وجه استکراهه، فعلمنا أنه استکراه لا إثم فیه («۱»). ثمّ بعد جبرائیل یبایعه الثلاثمائة وثلاثة عشر من أنصاره.

فإنّ المستفاد من الروایات أن النیابة الخاصة والسفارة عن المهدی (ع) لا یشغلها أحد ولا تعطی لأحد حتّی تنعقد البیعة للإمام (ع) عند الکعبة ولیس أمد ومنتهی ذلک مجرد الصیحة، أو للصیحة، ولکن المراد بها حینئذٍ التی تقع بعد الظهور، وهذا لأجل التوفیق بین الروایات، وحتّی الروایات الواردة فی الخراسانی أو الحسنی أو الیمانی أو شعیب بن صالح أو النفس الزکیة أو ... فإنّها لا تعطیهم أیّ تمثیل رسمی أو نیابة أو أیّ صفة أخری بل تنفی ذلک عنهم بل تنفی أیّ صفة وتمثیل رسمی حتّی عن الثلاثمائة والثلاثة عشر حتّی تعقد وتتم البیعة للإمام (ع)

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۴۵۹

ویتشکل الجهاز الرسمی والحکومی للإمام (ع)، بشکل معلن فمن ثَمَّ تبدأ الأدوار أی بعد البیعة.

ضابطة صارمة علامة لعصر الظهور ...: ص: ۴۵۹

فإن الروایات الواردة جعلت الصیحة أکبر علامة حتمیة لسنة الظهور ولنجوم أصحاب رایات سنة الظهور، فلا یمکن مجیء السفیانی

بدون الصيحة لأنّها من المحتوم وإن كان يمكن أن تقع الصيحة بدون السفياني كما لا يمكن أن يجيء اليماني بدون السفياني وإن كان يمكن مجيء السفياني بدون اليماني والخراساني، فأشدّ العلامات حتميةً هي الصيحة، ثمّ السفياني، وهذه العلامة كاشفة عن دجل أدعياء هذه الأسماء مع عدم وقوعها.

أما السند للتوقيع المبارك فإنّه بات مُسلّماً لدى الإمامية، والراوي الأخير الحسن بن أحمد المكتب فهو قمي من مشايخ الصدوق، وقد ذكر في ترجمته أنه من فقهاء قم الكبار بغض النظر عن ترحم الصدوق عليه («١») مع أن الصدوق الذي هو من أكابر زعماء الطائفة لا يتخطّى ديدن علماء الإمامية من عدم الاعتماد على رواية التوقيع عن النواب الأربعة إلّا بواسطة الوكلاء والأبواب الذين ذكرهم الشيخ الطوسي في الغيبة أنهم أبواب ووكلاء للنواب الأربعة، وهذا التشدّد من علماء الإمامية في توقيعات الناحية نظراً لخطورتها وحساسية الوضعية الأمنية بخلاف الحال في الأئمّة (عليهم السلام) آبائه.

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۶۰

الدليل الثالث:

إن أصل معنى عدم الظهور، أي الغيبة الكبرى يتضمن عدم البروز وعدم التمثيل الرسمي عن الإمام (ع) حتّى عقد البيعة، أما قبل البيعة فإنّ نفس عنوان الغيبة ينفي ذلك، ومعنى الظهور أن جهاز الإمام يظهر ويبرز بشكل رسمي بالنيابة أو الوكالة أو السفارة ونحو ذلك، فإذن الدليل الثالث هو أن مُدعي النيابة الخاصة أو السفارة ينافي ضرورة عنوان الظهور فإنّ ظهور دولته وجهازها الرسمي ليس إلّا بعد عقد البيعة.

الدليل الرابع:

إن أدلّة الظهور والروايات التي ترسم لنا سنين الظهور وأيام الظهور كلها مفادها وبيانها أنه لا صفة رسمية ولا تمثيل رسمي ولا تنويب ولا توكيل من الإمام (ع) لأيّ من الأسماء اللامعة التي ستظهر وتقود التيارات في الظهور فليس هناك أيّ تمثيل رسمي لشخصيات الظهور فضلًا عن غيرها حتّى تعقد البيعة.

الدليل الخامس:

إن مقتضى وقوع غيبتين له (ع) أحدهما صغرى والأخرى كبرى أن بين الغيبتين فرق وأن الكبرى أشدّ في الخفاء والانقطاع عنه ولا يتم الفرق وأشدّية الخفاء إلّا بانقطاع النواب والسفراء.

ويشير لهذا الدليل النعماني في الغيبة والصدوق والطوسي والكليني (رض) ويذكرها أيضاً جميع محدّثي ورؤساء علماء الإمامية حيث يذكرون روايات متواترة مروية من زمن النبي (ص) وعن أمير المؤمنين (ع) وكلها بأسانيد متصلة إلى الرسول (ص) وإلى أمير المؤمنين (ع) وإلى الزهراء ثمّ الحسن ثمّ الحسين ثمّ زين العابدين ثمّ

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۶۱

الباقر ثمّ الصادق ثمّ الكاظم ... وهكذا بمعنى أن طرق الرواة إلى الصادق مثلًا دون أن يقع فيها موسى بن جعفر (ع) أو إلى السجاد دون أن يقع فيها الباقر والصادق (ع) وهكذا ... وحتّى عن نفس الإمام المهدي (ع) في زمن الغيبة الصغرى يعني مروية عن أربعة عشر معصوماً بطرق متعددة بل عشرات الطرق فهو تواتر بلا شكّ.

حاصل هذا التواتر أن للإمام المهدي (ع) غيبتين غيبة صغرى وغيبة كبرى، وأن التفريق أو الفارق بينهما أن الغيبة الصغرى يكون الخفاء فيها ليس تاماً لوجود تمثيل رسمي للإمام (ع) من خلال السفراء والنواب الخاصين وأن الغيبة الكبرى يكون الخفاء فيها تاماً، أي الانقطاع تاماً وقد أشير لذلك في التوقيع الشريف حيث قال: «فقد وقعت الغيبة التامة» كما أن انتهاء الغيبة الصغرى يكون بانقطاع السفارة والنيابة الخاصة في حين انتهاء الغيبة الكبرى يكون بالبيعة للإمام (ع) وظهوره وإقامة دولته وبروز جهاز إدارته.

الدليل السادس:

إجماع الفقهاء على انقطاع النيابـة حتّى أنهم أجمعوا على كفر وضـلال مـدعى السـفارة والنيابـة كما تأتى الإشارة لـذلك تحت عنوان كفر مدعى السفارة.

إذاً الأدلّة متوافرة ومتكاثرة وقد أشـرنا إلى العديد من ألوانها وأنواعها فى الجزء الأوّل من كتاب (دعوى السـفارة) وكتاب (فقه علائم الظهور) وفى كتب أخرى، وهنـاك أدلّة أخرى لاـ نريـد أن نسـتوعبها كلها هنا لضـيق المقام، فيمكن مراجعـة الكثير من المصادر فى ذلك ككتب الحديث والروايات كالغيبة للطوسى أو النعمانى وكتاب الفرق للنوبختى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۶۲

وكتب سعد بن عبد الله الأشعرى وغيرها، فإنّ دلالات كثير من الروايات المتواترة على انقطاع النيابة الخاصة والسفارة فى الغيبة الكبرى بل كما ذكرنا بات انقطاع النيابة عند الإمامية ليس فقط ضرورة فقهية وإنما ضرورة عقائدية، وذلك لأهمية وخطورة مقام حجية النيابة الخاصة والسفارة حيث ينطوى على منبع ومصدر للتشريع وللولاية، فادعاء هكذا منصب مرتبط بأصل الاعتقاد بالإمام المعصوم.

منابع الشريعة ...: ص: ۴۶۲

بعـد أن ثبت أن الله تعالى رسم وحـدد للخلق طريق التكامل والتقرب إليه وهو العبادة، فإنّه تعالى حـدد مع ذلك مصـدر تحديد تلك العبادة المطلوبـة، فليس صـحيحاً بل قـد يعـد من الكفر أن يحدد الشـخص طرقاً للعبادة غير الطرق التى بينها الشارع، قال الصادق (ع): «من خالف كتاب الله وسُنّة محمّد (ص) فقد كفر» («۱») وعليه فلا بدَّ لعباد الله أن يتعبدوا بما يريد الله لا بما يريد العبد، ففى الحديث: «إنما اريـد أن اعبد من حيث اريد لا من حيث تريد» («۲») ولذا نجد الشارع المقدس عيّن منابع خاصة منحصـرة لأخذ التشريعات وما عدا ذلك باطل، وسميت بمنابع الشريعة وهى:

۱ القرآن الكريم.

۲ السُنّة المطهرة من أقوال وأفعال الرسول الأعظم (ص) وأقوال وأفعال وتقريرات الأئمّة المعصومين (عليهم السلام).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۶۳

وهـذا ثابت بحـديث الثقلين المروى عنـد العامة والخاصة بطرق مسـتفيضة ومتواترة، حيث ورد عن رسول الله (ص): «إنّى تارك فيكم الثقلين كتاب الله (عزوجل) وعترتى أهل بيتى ألا وهما الخليفتان من بعدى ولن يفترقا حتّى يردا علىَّ الحوض» («۱»).

وفى خطبـة لأمير المؤمنين (ع) قال: «يا أيها الناس إنه بلغنى ما بلغنى وإنى أرَ أنى قـد اقترب أجلى وكأنى بكم وقـد جهلتم أمرى وإنى تـارك فيكم مـا تركه رسول الله (ص) كتاب الله وعترتى وهى عترة الهادى » («... ۲») فإنّ القرآن الكريم والسُـنّة المطهرة فيها كل ما أراده الله من عباده وفيه أحكام كل الحوادث التى يتلقاها الإنسان فى حياته الدنيا.

قال الصادق (ع): «الله تبارك وتعالى أنزل فى القرآن تبيان كل شـىء حتّى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد حتّى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا انزل فى القرآن إلّا وقد أنزله الله فيه» («۳»)، وقال (ع): «ما من شىء إلّا وفيه كتاب أو سُنّة» («۴») وعليه فأىّ عمل لم يكن مستنداً لكتاب أو السُنّة فلا يقبل ويعد فاعله خارجاً عن جادة الصواب.

فعن رسول الله (ص): «لا قول إلّا بعمل ولا قول ولا عمل إلّا بنيـة ولا قول ولا عمل ولا نيـة إلّا باصابـة السُـنّة» («۵») ومن هذه الروايات وغيرها

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۶۴

نستخلص أن أىّ طريق للعمـل أو العبـادة يؤخـذ من غير المعصومين فهو باطل، بل صاحبه خارج ضال مضل كما فى الروايـة عن أبى جعفر (ع) أنه قـال: «من دان الله بغير سـماع من صـادق ألزمه الله الـتيه يـوم القيامـة» («۱») أى من تـدين وعمـل بحكم بغير المأثور من المعصومين جعل الله حاله يوم القيامـة وهو يوم الفزع الأكبر فى تيه مع كون ذلك اليوم فى أشـد الحاجة إلى الأمان والقرار أو أن التيه

كناية عن الضلال وعاقبة السوء.

وما ذلك إلّا لأنّ منابع الشريعة فيها تبيان كل شيء وأن أخذ أيّ حكم من طريق آخر يلزمه ترك طريق شرعى، وترك حكم شرعى قال الصادق (ع): «قال على: ما أحد ابتدع بدعة إلّا ترك بها سُنّة» («۲») والحاصل أن طريق معرفة أحكام وتكاليف الله تعالى منحصرة بالقرآن والسُنّة وكل منهما راجع للمعصومين (عليهم السلام) فهم الحجة فقط فإنّ الله تعالى أمرنا بأخذ ما يأتينا به هؤلاء المطهرون دون غيره من الطرق والأساليب الأخرى، فإنّ الحجية لطريق المعصومين وما عداه من طرق حتّى لو كانت تكشف الغيب وتصل لمعرفة الأحكام أو غيرها فلا حجية لها.

عدم حجية تلقى غير المعصوم ...: ص: ۴۶۴

بعد أن ثبت انقطاع النيابة الخاصة بالأدلّة القطعية، بل إن انقطاع النيابة الخاصة والسفارة هو من ضروريات مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، يتضح بطلان ما قد يتوهمه جملة من دعوات الأدعياء المتقمصين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۶۵

المتوهمين وبعض الادعاءات والتخيلات من أنه نائب خاص للإمام أو سفير له أو يتوهم ويتخيل ذلك لغيره من المدعين ونحو ذلك من الرؤى فى المنام أو مشاهدة بعض الأفعال الخارقة بدعوى أنها معاجز أو أى دعوى للارتباط والاتصال بالغيب، اتضح بطلان كل ذلك لأنه بناءً على ما تقدم من تراتبية الحجج وأن تحكيم الحجة الأضعف فى مرتبة الأقوى هو ظنٌ وزيغ وتحكيمٌ للمتشابه على المحكم واليقينى، فانقطاع السفارة ثبت بالأدلّة القطعية بل صار من الضرورى، فلا يعارض ذلك توهمات المتوهمين بوجود بعض الأدلّة على نيابة أو سفارة أيّ كان، فإنّ المشاهدات وبعض الأفعال الغريبة لا تدانى الأدلّة القطعية وأنها أدلّة دون بالنسبة لأدلّة انقطاع السفارة الأعلى.

وهو نظير ما مرَّ من تفنيد القرآن وذمه النصارى واليهود لاستنادهم إلى الحس لحكمهم بقتل وصلب النبى عيسى (ع)، إذ بيّنا أن وجه الحكم بالبطلان وذم القرآن لهم مع أن الحس دليل يقينى هو أن الحس دليل يقينى فى نفسه أو بالقياس لما دونه أما بالقياس لما هو أعلى منه كاخبارات النبى الاعجازية فيكون ظناً وتحكيماً للمتشابه على المحكم فإنّ كشف الدليل الأقوى أثبت وأبين من الدليل الأضعف، فبالتالى ما يترآى من الدليل الأضعف يكون وهماً وظناً وليس بيقين بل تشابه وشبهة وهو اصطلاح قرآنى خاص كما بيّنا.

لذا فإنّ تلك الأدلّة القطعية واليقينية لانقطاع السفارة لا تضاهيها ولا تناهضها أدلّة المُدعين، بل لا يوجد أيّ احتمال لصحة أدلّة المُدعين ولا يوجد أيّ ريب فى دجلهم وزيفهم.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۶۶

افتراق الريب عن الفحص العلمى ...: ص: ۴۶۶

فمن الغريب أن بعض الباحثين بدعوى البحث الموضوعى يقول لا بدَّ من الفحص فى أدلّة المدعين للنيابة الخاصة أو السفارة والتثبت من صدقها أو كذبها، وهذا الكلام وإن كان منطقياً بشكل عام كميزان وضابطة فى التثبت والبحث لكنه ليس بصحيح وليس بمنطقى إذ تلك الأدلّة المُدّعاة فى قبال أدلّة يقينية عالية، فليس من الصحيح ولا من المنطقى أساساً توهم واحتمال الصحة فى أدلّة مُدّعى النيابة الخاصة بعدما ثبت انقطاعها بالأدلّة اليقينية العالية.

فمثلًا بعد أن ثبتت عقيدة التوحيد بالأدلّة اليقينية العالية فلو ادعى مدعى أن هناك إلهاً آخر وذكر بعض الأدلّة فهل من المنطقى التردد والاسترابة فى تلك الأدلّة بدعوى احتمال تماميتها وصدقها؟!

بل إن من يتوهم ذلك هو مريض أو متمارض فى الادراك فلا ريب ولا شكّ فى عدم موضوعية هكذا بحث وأن من يحتمل صحة

البحث فیه فلیس بسلیم العقل إذ أن التردد والریب فی هکذا اعتقادات ثبتت بالأدلّة القطعیة الیقینیة کما قال تعالی: إِنَّما یَسْتَأْذِنُکَ الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْیَوْمِ الْآخِرِ وَارْتابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِی رَیْبِهِمْ یَتَرَدَّدُونَ («۱») فإنّ التردد فی الریب والاسترابة حالة مرضیة فی الادراک والعقل فلیس من المعقول الاعتداد بالسفاسف والتفاهات واعتبارها أدلّة فی مواجهة أدلّة یقینیة قویة شدیدة، نعم الفحص فیها لکشف المغالطات والزیف فیها منهج علمی لمن لدیه القدرة العلمیة والفنیة.

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۴۶۷

رفع الید عن أدلّة الیقین مقابل توهمات ...: ص: ۴۶۷

فمن التوصیات المنطقیة ما جاء فی وصیة أمیر المؤمنین (ع) فی نهج البلاغة: «إذا استیقنت فامض علی یقینک» («

»)، وهکذا الکثیر من الروایات التی دعت إلی الاعتماد والاعتداد بالیقین والسیر علیه حتّی لو کان فی قباله شکّ أو ریب إذ ما دام الإنسان استثبت من الیقین ومن مناشئه فعلیه السیر دون الاعتداد بالتشکیک، فمن تلک الروایات «لا تنقض الیقین بالشکّ» («۲») نعم قبل الاستثبات من الیقین فإنّ البحث والفحص منطقی ومعقول جدّاً لئلّا یبقی متردداً فی البیان والبرهان فیکون کمن یعشو فی سیره، لذا لا بدَّ من الالتفات إلی جمیع الاحتمالات لإثبات الصحیح والمنطقی فیها لیصل للبرهان الیقینی ویتثبت فیه لیسیر علیه، أما إذا استیقن الإنسان فلا بدَّ من المضی علی ذلک الیقین وعدم نقضه بشکّ، فقوله: «لا تنقض الیقین بالشکّ» («۳») یعنی الشکّ الذی لیس له منشأ علمی یناهض ویقاوم الیقین ولا یساعد علی رفع الید عن الأدلّة السابقة الیقینیة، وإلّا فإنّ رفع الید عن الیقین بذریعة البحث فی أدلّةٍ ضعیفة وهمیة لیس حالة فحص علمی سلیم سدید بل مرض فی العقل والادراک فهو لا یبصر البراهین الیقینیة بما أعطاه الله من

، دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۴۶۸

قدرة الادراک وفطرة الرکون للیقین، فهو کمن لا یستنیر ولا یستصبح بالنور، بل دوماً یسیر فی جانب الظلمة تارکاً النور فهی حالة مرضیة لعدم استثماره البصر وعدم استعانته بالنور.

فمع وجود الأدلّة الیقینیة علی انقطاع النیابة الخاصة والسفارة فی عقیدة الغیبة لا معنی للریب والشکّ ولا معنی لاحتمال صحة التوهمات والهلوسات کأدلّة للمدعین بها.

کما أنّا لو تنزلنا ونظرنا فی مناشیء تلک المُدعیات کالرؤیة أو الأفعال الغریبة و ... نجد أنها فی نفسها لیست بحجة فضلًا عن مناهضتها للأدلّة الیقینیة.

وبعبارة أخری لنا معالجتان لهذه الدعاوی:

الأولی: أنها لو کانت حجة فهی أضعف من أن تناهض البراهین الیقینیة المثبتة لانقطاع السفارة.

عدم حجیة إلهام أو رؤیة غیر المعصوم ...: ص: ۴۶۸

والمعالجة الثانیة: أن تلک الأدلّة فی نفسها لیست بحجة لأن مناشیء تلک المدعیات من قبیل الرؤیة والإلهام اللدنی والاطلاع علی الغیب من قناةٍ ما لا یکون ذلک صحیحاً وتاماً ومُعتبراً إلّا للأنبیاء والأوصیاء، فإنّ الوحی عبارة عن قناة روحیة تربط وتوصل وتنفتح علی الغیب وأما العلم اللُدنی فلا یکون إلّا عند الأنبیاء والأوصیاء أما بقیة البشر من غیر المعصومین فلیس لهم طریق مضمون للغیب یرتبطون وینفتحون ویتصلون به علی الغیب، فقد ذکر القرآن أن سبب انکار الأمم هو أن کل رجل منهم یرید أن تتنزل علیه صحف مُنشّرة وبالتالی

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۴۶۹

فکلٌ منهم یرید أن یکون نبیاً لیکون منفتحاً علی الغیب فیطمئن به، قال تعالی: بَلْ یُرِیدُ کُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ یُؤْتی صُحُفاً مُنَشَّرَةً («۱»).

الارتباط بالغیب نبوة أم إمامة أم للکل ...: ص: ۴۶۹

ولکن واقع الحال عدم وجود القابلیة لأیّ شخص أن یکون نبیاً أو إماماً أو لدیه ارتباط بالغیب، فإنّ ذلک تابع لمدی القوة الروحیة والاستعداد الروحی للانکشاف علی الغیب فإنّ أرواحنا لا شکّ ولا ریب متصلة بعوالم أخری ولنا قنوات توصلنا إلی الغیب ولا شکّ فی ذلک ولکن الکلام کل الکلام فی عدم وجود قدرة ضامنة لصواب وواقعیة هذا الاتصال والارتباط بتلک العوالم وما تصلنا من معلومات من ذلک الغیب کیف نطمئن علی صحتها وأنها عن إرادة الله وقضاءه وقدره ومشیئته؟

فإنّ کل ما نستلمه من خواطر وإلهامات وتخیلات وصور منامیة أو صور فی الیقظة ومکاشفات وسلوکیات وغیرها لیس لها أیّ ضمانة فی الصواب والسداد، ولیس لها أیّ مدار فی الحجیة بل لا اطمئنان علی صحتها، لأنها تلقّی غیر المعصوم، ولو فرض أنه من قبل المعصوم فإنّ التلقی والارتباط بالغیب لیس فیه زللٌ ولا خللٌ ولا خطل ولا أیّ احتمال الانحراف إذا کان تلقی معصوم من معصوم فحینئذٍ یکون التلقی معصوماً، کما هو الحال فی تلقی المعصومین (علیهم السلام) لذا کان تلقیهم حجة واعتبر هو منبع الشریعة الوحید. أما تلقی غیر المعصوم فهو وإن فرض کونه من المعصوم لکن ما الدلیل علی أن ذلک المتلقی بتناول غیر المعصوم صحیحاً ولیس من

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۴۷۰

أفاعیل الشیاطین؟! ومثال ذلک ما یشاهد من الرواة الذی یروون الروایات عن المعصومین (علیهم السلام) السابقین فإنهم رغم تلقیهم ألفاظ الحدیث سماعاً من فم ولسان المعصوم إلّا أن تلقیهم مختلف وفهمهم مراد المعصوم مختلف کما ورد: «ربّ حامل علم لیس بفقیه وربّ حامل فقه إلی من هو أفقه منه» («۱») أی لا یفهم ولا یعی المراد مما سمعه من ألفاظ، بل إن ضبط ألفاظ الکلام الذی یسمعونه من لسان المعصوم مختلف من راوی لآخر، ومن ثَمَّ کانت درجة حجیّة الروایة التی یرویها الراوی درجة ظن ولیس بیقین، فإذا کان هذا حال تلقی الراوی غیر المعصوم عن المعصوم (ع) فی حال الیقظة فکیف بحال النوم ورؤیا المنام مع الشکّ فی أن تلقیه هل هو عن المعصوم أم عن الشیاطین والجن أو أحادیث النفس؟

فإنّ الشیاطین تنفث فی النفوس ویتخیل أن ذلک من الله تعالی ولا قدرة لتمییز ذلک إلّا للأنفس الطاهرة المطهرة، فإنّ غیر المعصوم من سائر الناس لیس له حظ من الرؤیا الإلهیة ونحوها للأحکام الشرعیة وإن توهم ذلک متوهم فلیستیقن بأن ذلک من الشیاطین، فقد أشار القرآن الکریم إلی عدة من أفعال الشیاطین التی تقع علی العباد منها:

قال تعالی: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِکَ مِنْ هَمَزاتِ الشَّیاطِینِ («۲»).

وقال تعالی: هَلْ أُنَبِّئُکُمْ عَلی مَنْ تَنَزَّلُ الشَّیاطِینُ* تَنَزَّلُ عَلی کُلِّ أَفَّاکٍ أَثِیمٍ («۳»).

وقال تعالی: کَالَّذِی اسْتَهْوَتْهُ الشَّیاطِینُ فِی الْأَرْضِ حَیْرانَ («۴»).

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۴۷۱

وقال تعالی: وَإِمَّا یَنْزَغَنَّکَ مِنَ الشَّیْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ («۱»).

وقال تعالی: إِنَّ الَّذِینَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّیْطانِ تَذَکَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ («۲»).

وقالی تعالی: أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّیاطِینَ عَلَی الْکافِرِینَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا («۳»).

وقال تعالی: لِیَجْعَلَ ما یُلْقِی الشَّیْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقاسِیَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِینَ لَفِی شِقاقٍ بَعِیدٍ («۴»).

وقال تعالی: وَإِنَّ الشَّیاطِینَ لَیُوحُونَ إِلی أَوْلِیائِهِمْ لِیُجادِلُوکُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّکُمْ لَمُشْرِکُونَ («۵»).

وغیرها من الآیات التی تبیّن أن الشیاطین یوحون وبطرق مختلفة کالخواطر والمیول والرؤی و ... للنفوس المریضة والضعیفة والتی علی طریق الزیغ، وعن الباقر (ع) قال: «لما ترون من بعثه الله (عزوجل) للشقاء علی أهل الضلالة من أجناد الشیاطین وأرواحهم أکثر مما ترون مع خلیفة الله الذی بعثه للعدل والصواب من الملائکة» قیل: یا أبا جعفر وکیف یکون شیء أکثر من الملائکة؟ قال: «کما

يشاء الله (عزوجل)»، قال السائل: يا أبا جعفر، إنى لو حدّثت بعض أصحابنا الشيعة بهذا الحديث لأنكروه، قال: «كيف ينكرونه؟»، قال: يقولون إن الملائكة أكثر من الشياطين، قال: «صدقت افهم عنّى ما أقول لک، إنه ليس من يوم ولا ليلة إلّا وجميع

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۷۲

الجن والشياطين تزور أئمّة الضلالة، وتزور أئمّة الهدى عددهم من الملائكة، حتّى إذا أتت ليلة القدر فيهبط فيها من الملائكة إلى ولى الأمر قيض الله (عزوجل) من الشياطين بعددهم ثمّ زاروا ولى الضلالة فأتوه بالإفک والكذب حتّى لعلَّه يصبح فيقول: رأيت كذا وكذا، فلو سأل ولى الأمر عن ذلک لقال رأيت شيطاناً أخبرک بكذا وكذا حتّى يفسر له تفسيراً ويعلمه الضلالة التى هو عليها» («۱»).

فبعد كل ذلک أىّ مجال يبقى للاطمئنان لرؤى ومكاشفات غير المعصوم الذى لا يميز نفث الشياطين من عالم الغيب الحق.

لذلک فإنّ مكاشفة المكاشفين والعرفاء والصوفية من إلهامات وخواطر ليست ذا مدار وضابطة فى الحجية فإنّ كثيراً من أصحاب السير والسلوک والتصوف والرياضات يقعون فى انحرافات وأخطاء نتيجة تعويلهم على ما يتلقونه من خواطر والهامات ومكاشفات، فإنّ نفس الصوفية والعرفاء ذكروا ذلک مثلًا القيصرى فى شرح كتاب ابن عربى وكذلک الغزالى وابن عربى نفسه وغيرهم ذكروا بأن مكاشفات غير المعصوم ليست بمعصومة فلا بدَّ أن توزن وتعرض على محک كشف المعصوم وهو القرآن والسُنّة لأن القرآن والسُنّة هو تلقى المعصوم عن الله تعالى وعن الغيب، ولا ريب ولا شکّ فى عصمة هذا التلقى والمتلقى، لأن قدرة المعصوم معصومة وغير محدودة فى تلقيها عن الغيب كما يصف القرآن الكريم ذلک، قال تعالى: وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إِلَّا فِى كِتابٍ مُبِينٍ («۲») بيان لاحاطة المعصوم.

وبعبارة أخرى بمثال حسّى: إن درجة استقبال وتلقى المعصوم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۷۳

كالرادار فى الكشف وغير المعصوم كالمايكروفونات البسيطة التى تشوش بأدنى ضغط وتكدس من الأمواج، فللمعصوم روح واسعة محيطة فيها استعداد الكشف والابصار القلبى لكل زوايا العرش والكرسى والسماوات وجهنم والصراط والميزان والبرزخ والموت وتطاير الكتب والحور والملائكة، فإنّ أرواح المعصومين ليس كأرواحنا إذ لها قدرة الاطلاع على عوالم أخرى دون أن تضعف أو تتردد كما روى عن أمير المؤمنين (ع) حيث يقول: «لو كشف لى الغطاء ما ازددت يقيناً» («۱») أى إنه مطّلع على تلک العوالم غير عالم الدنيا فلا يؤثر على اعتقاده وروحه إذا كشف له الغطاء وليس كبقية البشر الذين لم يطلعوا على شىء من تلک العوالم، وأن الله لم يطلعهم على شىء منها لضعف نفوسهم وأرواحهم.

وفى رواية أخرى أن شخصاً كان يسير مع الإمام الصادق (ع) فمروا بمقبرة بين مكّة والمدينة فسأل الشخص الإمام (ع) عن حالهم فقد روى عن عبد الله بن بكير الأرجانى، قال: صحبت أبا عبد الله (ع) فى طريق مكّة من المدينة، فنزلنا منزلًا يقال له: عسفان، ثمّ مررنا بجبل أسود عن يسار الطريق موحش، فقلت له: يا بن رسول الله ما أوحش هذا الجبل ما رأيت فى الطريق مثل هذا، فقال لى: «يا بن بكير أتدرى أىّ جبل هذا»، قلت: لا، قال: «هذا جبل يقال له الكمد، وهو على واد من أودية جهنم، وفيه قتلة أبى الحسين (ع)، استودعهم فيه، تجرى من تحتهم مياه جهنم من الغسلين والصديد والحميم، وما يخرج من جب

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۷۴

الجوى، وما يخرج من الفلق، وما يخرج من آثام، وما يخرج من طينة الخبال، وما يخرج من جهنم، وما يخرج من لظى ومن الحطمة، وما يخرج من سقر، وما يخرج من الحميم، وما يخرج من الهاوية، وما يخرج من السعير، وما مررت بهذا الجبل فى سفرى فوقفت به إلّا رأيتهما يستغيثان إلىَّ، وإنى لأنظر إلى قتلة أبى وأقول لهما: هؤلاء فعلوا ما أسستما، لم ترحمونا إذ وليتم، وقتلتمونا وحرمتمونا، ووثبتم على حقنا، واستبددتم بالأمر دوننا، فلا رحم الله من يرحمكما، ذوقا وبال ما قدمتما، وما الله بظلام للعبيد، وأشدهما تضرعا واستكانة الثانى، فربما وقفت عليهما ليتسلى عنّى بعض ما فى قلبى، وربما طويت الجبل الذى هما فيه، وهو جبل الكمد».

قال: قلت له: جعلت فداك فإذا طويت الجبل فما تسمع، قال: «أسمع أصواتهما يناديان: عرج علينا نكلمك فإنّا نتوب، واسمع من الجبل صارخاً يصرخ بى: أجبهما، وقل لهما: اخْسَؤُا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ («١»)».

قال: قلت له: جعلت فداك ومن معهم؟ قال: «كل فرعون عتى على الله وحكى الله عنه فعاله وكل من علم العباد الكفر».

فقلت: من هم، قال: «نحو بولس الذى علم اليهود إن يد الله مغلولة، ونحو نسطور الذى علم النصارى إن المسيح ابن الله، وقال لهم: هم ثلاثة، ونحو فرعون موسى الذى قال: أنا ربكم الأعلى، ونحو نمرود الذى قال: قهرت أهل الأرض وقتلت من فى السماء، وقاتل أمير المؤمنين (ع)، وقاتل فاطمة ومحسن، وقاتل الحسن والحسين (ع)،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٧٥

فأما معاوية وعمرو فما يطمعان فى الخلاص، ومعهم كل من نصب لنا العداوة، وأعان علينا بلسانه ويده وماله».

قلت له: جُعلت فداك فأنت تسمع ذا كله ولا تفزع، قال: «يا بن بكير إن قلوبنا غير قلوب الناس، إنّا مطيعون مصفون مصطفون، نرى ما لا يرى الناس ونسمع ما لا يسمعون، وإن الملائكة تنزل علينا فى رحالنا وتتقلب فى فرشنا، وتشهد طعامنا، وتحضر موتانا، وتأتينا بأخبار ما يحدث قبل أن يكون، وتصلى معنا وتدعو لنا، وتلقى علينا أجنحتها، وتتقلب على أجنحتها صبياننا، وتمنع الدواب أن تصل إلينا، وتأتينا مما فى الأرضين من كل نبات فى زمانه، وتسقينا من ماء كل أرض نجد ذلك فى آنيتنا.

وما من يوم ولا ساعة ولا وقت صلاة إلّا وهى تنبهنا لها، وما من ليلة تأتى علينا إلّا وأخبار كل أرض عندنا وما يحدث فيها، وأخبار الجن وأخبار أهل الهوى من الملائكة، وما من ملك يموت فى الأرض ويقوم غيره إلّا أتانا خبره، وكيف سيرته فى الذين قبله، وما من أرض من ستة أرضين إلى السابعة إلّا ونحن نؤتى بخبرهم» («١») يعنى نحن غير المعصومين لو سمعنا ذلك لصعقنا ولما بقيت أرواحنا فى أجسامنا، أى لوقع الموت لنا لعدم إمكان تحمل ذلك، أما المعصومون (عليهم السلام) فلهم القدرة على أن يروا تلك العوالم.

وإنَّ قابليات غير المعصومين الروحية أيضاً تختلف فى قوتها واستعدادها للاطلاع على العوالم الأخرى والأسرار كما فى الفرق بين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٧٦

سلمان وأبى ذر حيث ورد: «لو علم أبو ذر بما فى قلب سلمان لكفره أو لقتله» («١») أى إن أبا ذر لا يتحمل ما يتحمله سلمان من علوم وأسرار، وهكذا فإنّ أعلى حالات النفوس القوية موجودة عند المعصوين (عليهم السلام) فلهم عدسة قوية دقيقة لا يخفى عليها شىء، فى حين أن القرآن يصف الشياطين أو الجن بقوله تعالى: لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ* دُحُوراً وَلَهُمْ عَذابٌ واصِبٌ* إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ («٢») فللشياطين والعفاريت قوة كشف أيضاً ولكنها لا تُقاس بقوة كشف المعصوم إنما هى حاصلة من خطفة بسيطة أى قبسة فإنّ غير المعصوم حتّى لو كانت عنده خواطر وتمثلات وانكشافات ويرى ما لا يراه الناس مع أنها كالقطرة فى المحيطات اللامتناهية، فما الكاشف له أن تلك الرؤى والخواطر والغيبيات التى هى كالقطرة أنها من الله تعالى أم من الشياطين والعفاريت؟، فإنّ بعض الرؤى والانكشافات قد تصدق لأنه هناك خطفة من الغيب ولكن الخطفة الشيطانية أو من الجن شىء والوحى النبوى شىء آخر فكثير من عموم الناس وآحادهم إما يغتر أو يُغرر به أنه انكشف له شىء وعلم أموراً غريبة فيرى أن تلك الانكشافات انكشافاتٌ بوحى أو علم لدنى أو ... الخ، لكنه لا يُميّز أن الموصل إليه هل هو الشيطان أم من ؟ ... لأن روحه ليس فيها استعداد التلقى، فإنّ نفوس غير المعصوم لم تطلع على تلك العلوم والمباحث، فبمجرد اتصاله

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٧٧

بقناةٍ غيبية يرتبك وتضطرب عنده الموازين، فلعله نتيجة ذلك يبتدع شريعة جديدة وعقيدة جديدة وبعثة جديدة.

فإنّ التعامل مع الانكشاف الغيبى مختلف حتّى بالنسبة للمعصومين فكيف بغير المعصومين، فإن المعصومين يختلفون بحسب مراتبهم وقوة وشدة استعدادهم للتعامل مع تلك الغيبيات ودقة موازينهم فى التثبت والتعامل مع ما يلقى إليهم، قال تعالى: وَداوُدَ وَسُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِى الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدينَ* فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ وَكُلًّا آتَيْنا حُكْماً وَعِلْماً («١»)، فبيّن تعالى

تفاوت علم داود عن علم سليمان مع أن كلًا منهما آتاه الله العلم والحكم إلّا أن ما أوتى سليمان ناسخ لما أوتى داود وأرفع منه، وكذلك قال (ص): «ولو كان موسى حياً ما وسعه إلّا اتّباعى» («٢»).

فإنّ نفوس المعصومين على عظمتها وقوتها لهم مواقف مختلفة فى التعامل مع الغيبيات، فرغم علمهم بالغيب فإنّ تعاملهم معه يختلف بحسب اختلاف أرواحهم ونفوسهم فإنّ أرواحهم لما لها من الاستعداد فإنّها ترقى وتعرج إلى عوالم أخرى غيبية مهولة دون أىّ ارتباك ولا أىّ اضطراب لأنها نفوسٌ عظيمة معدّة للوحى والنبوة والانكشاف على الغيب، أما غير المعصوم من نفوس البشر الأخرى فبمجرد اختلاف المشاهد تضطرب عنده الموازين فقد لا يحتاج غير المعصوم لانزلاقه وانخداعه إلى أكثر من إثارة بسيطة وجمالٍ خداع ولو كان زائفاً، إذ لا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴٧٨

يستطيع التثبت أمام هذه الإثارات البسيطة، فما بالك لو تمثلت له بعض صفحات الدنيا بجمالها وقالت له: أنا الدنيا، فهل يبقى على تثبته وتمييزه ويقول إليها إليك عنّى أم ماذا؟!

فإنّ غير المعصوم لعدم استعداده وعدم قوة نفسه بل لضعف نفوس غير المعصومين فبمجرد اختلاف المشاهد يحصل الهلع والجزع والفزع والرعب والاضطراب، ففى تلك الحالة إذا ألقى له شىء من الغيب هل له أن يميّزه أنه من الله أم من الشيطان؟، فإنّه قد تظافرت الروايات فى أن الرؤى سواء أكانت رؤى فى المنام أم فى اليقظة أم غيرها منها ما هو حديث الشيطان وإفكه وتنزيله، ومنها ما هو حديث النفس ومنها ما يكون رؤى صادقة سواء أكانت فى اليقظة أم فى المنام.

أما ما هو حديث الشيطان؟ فإنّ الشيطان يلقى لأوليائه الإفك والإثم قال تعالى: وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ («١») وقال تعالى: هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّياطِينُ* تَنَزَّلُ عَلى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ («٢») فإنّ الشياطين يلقون لأوليائهم الإفك والإثم.

وأما حديث النفس، فإنّ النفس بما أودعت من قوى وغرائز فهى كأنما ذوات متعددة وليست ذاتاً واحدة، فالنفس البشرية بسبب ما جهزت به من غرائز وقوى فكأنما كل قوة هى ذات من الذوات وجوهر من الجواهر وهذه النفس إذا طاشت أو جمحت تسول للإنسان من تساويل ورؤى حتّى فى اليقظة، والإنسان لخلوه من قدرة التمييز يحسب ذلك من الغيب وكشف الستور فى حين أنها من ألاعيب النفس الإنسانية.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴٧٩

تفاوت درجات الصدق ...: ص: ۴٧٩

وأما الرؤى الصادقة فهى وإن كانت ممكنة وقد تحصل سواء فى المنام أم فى اليقظة لكنها إضاءة ضيقة جزئية محدودة من بحر فضاء لا متناهى لا يمكن التعويل عليها، لأن الصدق له مراتب، فصدق المعصوم كالمحيطات أما غير المعصوم فضعيف يتبدد بأدنى شىء، لذا ورد فى القرآن الكريم: وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا («١») فأصدقية الله تعالى لا تضاهيها أىّ مصداقية لأنه يحيط بكل الواقعيات وكل المخلوقات، أما نحن فاحاطتنا صغيرة إذ نحن لا نحيط حتّى بكيفية ولادتنا ونشأتنا وإنّا من أين جئنا وإلى أين نتجه حتّى لو كنّا صادقين وعدولًا، فاحاطتنا ضعيفة قليلة فكيف ندعى علمنا بالاطلاع على ذلك.

أما إحاطة المعصوم فواسعة فإنّهم هم الصدّيقون بعد الله تعالى، بل إن الأئمة (عليهم السلام) هم كبراء الصديقين، كما فى بعض الزيارات («٢») يعنى يحيطون بالكتاب المبين واللوح المحفوظ، والقرآن نفسه شهد لهم بالطهارة ثمّ شهد لهم بأنهم هم الذين يدركون ويفهمون القرآن قال تعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ* لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ («٣») ثمّ قال تعالى: إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً («۴»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴٨٠

لذا فلا اعتداد ولا اعتبار بتلقی غیر المعصوم ولیس له أیّ مدار فی الحجیة لعدم الاطمئنان بکونه تلقیاً صادقاً إذ هم أنفسهم یخطئ بعضهم بعضاً، فکم من الصوفیة والعرفاء وحتّی أصحاب السیر والسلوک وحتّی أصحاب الریاضات نجد بینهم تضارباً لا ینتهی ولا یرتفع، فکل منهم یخطیء الآخر لأنهم غیر معصومین.

ضعف ومحدودیة الإدراک القلبی لغیر المعصوم ...: ص: ۴۸۰

وبمثال حسی لتضارب الأقوال عن الغیب کما یقال: إن أشخاصاً وجدوا فیلًا فی ظلام فاعتمدوا علی اللمس فی تشخیصه، فلمس أحدهم ذنبه فقال: إنه مخلوق صغیر، ولمس بعضهم خرطومه فقال: إنه متوسط، وآخر لمس رجله فقال: إنه مخلوق کبیر، ولمس الآخر بطنه فقال: إنه عظیم بل إنه سینفجر...

وما ذلک إلّا لعدم الاطلاع والکشف التام وإنما اعتمد کل منهم علی ما انکشف له واطلع علیه من طریق ضیق وحکم بموجبه حکماً عاماً.

فهکذا غیر المعصوم وأصحاب النفوس الضیقة و ... فإنّهم إن حصل لهم کشف للغیب فهو کشف ناقص لا- یصلح لیکون حکماً صادقاً حقاً یعتمد علیه ویطمئن له.

أما المعصوم فله الاحاطة التامة والانکشاف التام، فمثلًا کأنه یری ذلک المخلوق بتمامه، یری ذلک المخلوق فیحکم بأنه فیل علی ما هو فی الحقیقة لأنه مطلع علی تمام حجمه لأنه یراه ببصیرته بل یکون له نور یکشف له فیری ببصره، لأن کشف ورؤیة المعصوم فیها إحاطة قال

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۴۸۱

تعالی: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ* فِی کِتابٍ مَکْنُونٍ* لا یَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ («۱»)، وَما مِنْ غائِبَةٍ فِی السَّماءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِی کِتابٍ مُبِینٍ (« »)، وَما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ («۳»).

لا مثل غیره یعیش فی ظلمة وکدورات النفس ویرید الاطلاع وإیجاد قناة غیبیة.

کشف المعصوم القرآن والسُنّة ...: ص: ۴۸۱

ومن العجیب أن غیر المعصوم یدعی التلقی والکشف ویحاول اتّباع ما تلقاه مع علمه بضعف نفسه وعدم استعدادها ویترک تلقی المعصوم الذی هو الکتاب والسُنّة المطهّرة من أحادیث النبی (ص) وأهل بیته (علیهم السلام) فأیّ قناعة له أو لمن یتبعه بترک تلقی المعصوم واتّباع ما عنده من هلوسات أو خواطر أو رؤی منامیة لا اطمئنان بصحتها فعندنا القرآن والسُنّة التی هی کشف حقانی لأنها وصلت إلینا بتلقی المعصوم عن المعصوم فلا حاجة حینئذٍ للاعتماد علی تلقی غیر المعصوم وإن توهم وارتسم له أنه عن المعصوم، فإنّ المشکلة فی المتلقی (الرادار أو اللاقطة أو الساحب) فهل لدیه نفس قویة تری الملقی إلیه علی ما هو علیه أم نفسه ضعیفة لا استعداد لها فتقلبه وتزیفه، لذلک تکرر فی القرآن قوله تعالی: وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَما أَرْسَلْناکَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِیراً («۴») أی ما

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۴۸۲

أنزل من الغیب والکشف هو فی نفسه حقٌ وجاء ونزل فی طریقٍ حقانی غیر مشوب بعبث الشیاطین وکدورات النفوس الضعیفة وضیق وتلوث أوعیة الاستقبال، فهو نظیر المرآة فهناک نوع منها سلیمة صحیحة غیر مشوبة تعکس الصور علی ما هی علیها کنفوس المعصومین مثلًا، فی حین هناک نوع آخر من المرایا مشوب ولیس منتظماً فتعکس الصور بشکل مقلوب أو تضخمها وتکبرها أو تضعفها وتصغرها أو تعطیها ألواناً أخری بل أحیاناً بعض الصور تمسخ عن حقیقتها أصلًا فتری صورة الإنسان کأنه جنّی وقد تظهر القبیح جمیلًا، کما قد تظهر الجمیل قبیحاً.

فهكذا نفوس البشر قد ترى الغيب كهذه المرآة، فإنّ الغيب واحدٌ بالنسبة للمعصوم ولغير المعصوم ولكن الكلام فى المستقبل إذ لا ضمان لأن تكون تلك النفوس ترى الغيب على ما هى عليه، هذا لو كان الملقى صادقاً فتكون المشكلة فى المتلقى الذى يتلقّى، أما إذا كان التلقى من إيحاء الشياطين فكما أن أولياء الله تتنزل عليهم أنوار إلهية فإنّ أولياء الشياطين تتنزل عليهم الآثام والإفك، فإنّ الإثم فى نفسه كذبٌ، فأولياء الشياطين يحسبون ما القى لهم ملائكة ورسل غيب من الله فى حين أنها شياطين إذ ليس له قدرة التمييز والتفريق بين إيحاءات الشياطين وبين الأنوار الإلهية.

سبب اختلاف المعصوم فى التلقى مع غيره ...: ص: ۴۸۲

لذلك فإنّ علماء الرؤية يقولون: كلما ازداد الإنسان صدقاً فى قوله وتعبيره وأمانته ووفائه وسلوكه وتعاملاته وتوجهاته لله وقربه للحق والحقيقة فإنّه يرى الرؤى الصادقة، وكلما زل لسانه وارتكب المعاصى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۸۳

وابتعد من طريق الحق والحقيقة وابتعد عن الله رأى أموراً خاطئة وباطلة، أما المعصوم فحيث إنه لا يرتكب أىّ معصية وأىّ ذنب فإنّه لا يرى إلّا الحق والصدق والرؤى الصادقة، لذا تكون مرآته صافية جلية ويرى بإحاطة شمولية الأمور على ما هى عليه، من هنا كانت رؤى الأنبياء رؤى صادقة وحيانية كقوله تعالى: وَنادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ («۱») بالنسبة لرؤية النبى إبراهيم (ع) وكقوله تعالى: وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْناكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ («۲») بالنسبة للنبى محمّد (ص).

وعليه فإنّ رؤيا الأنبياء والأوصياء حجة لأنهم بلغوا من الصدق مقاماً عالياً جدّاً ولما لم يكن عندهم أىّ إثم ولا إفك فلا تتنزل عليهم الشياطين ولا تكون قنوات كشفهم عن الغيب إلّا قنوات سليمة صحيحة يرون من خلالها الحق فقط.

العدالة تغاير العصمة ...: ص: ۴۸۳

أما غير المعصوم فمهما يكن من الاستقامة لا يُؤمَّن كشفه حتّى العادل لا يمكن الاطمئنان لقناته الغيبية إذ العدالة غير العصمة فإنّ العدالة وإن كانت هى الاستقامة على جادة الشريعة وعدم ارتكاب المعاصى إلّا أن ذلك لا يعنى عدم ارتكاب المعاصى والأخطاء من دون شعور وبالتالى فإنّ ذلك يكدر نفسه وروحه من حيث لا يشعر حتّى لو لم تسجل عليه عقوبة فإنّه يعذر عن العقوبة لعدم علمه أى لجهله بذلك الفعل أنه يسبب غضب الله والكدورات النفسية ولكن ذلك لا يمنع من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۸۴

تكدر وتلوث النفس بتلك الأعمال وبالتالى لا تكون قناته للغيب سليمة صافية.

فلا بدَّ للإنسان غير المعصوم أن لا يغتر ولا ينخدع ببعض الانكشافات والرؤى فيعتبرها غيباً ما بعده غيب، ووحياً ليس فوقه وحى وأنه صار نبياً أو نحو ذلك ويتأول الضروريات والحقائق الدينية بالباطل ويتمرد عليها.

فقد يكون للإنسان شيء من التقوى فيحسب أن تقواه وورعه سبب انكشاف الغيب له فيؤمن به ولكنه ليس صحيحاً فإنّ تلك لو كانت تقوى وورعاً لاتّبع القرآن الكريم والسُنّة لأنها تلقّى معصوم عن معصوم، فهى كشف صادق وحق لا ريب فيه فى حين أن ما تلقّاه غير المعصوم هو تلقى لا يتحصن أن يكون من الشيطان أو الجن أو العفاريت ... فلا ضمانة فيه.

فليس من العقل ولا- من المنطق ترك ما هو برهانى ويقينى وهو كتاب الله الذى لا يغادر كبيرة ولا صغيرة واتّباع خطفة مكاشفة أو رؤيا أو نحو ذلك ظانين أنها قطرة صادقة.

فلا- نمنى أنفسنا بمقامات المعصومين من الأنبياء والأوصياء فتسول لنا أنفسنا أن تنفتح لنا قنوات الغيب ولا- نتوهم ذلك لغير المعصومين (عليهم السلام) فأين نحن من سيد الأنبياء وأين نحن من سيد الأوصياء وأين نحن من الأئمّة المعصومين فإنّ الغيب شاسع

مهول ودخوله والتوسط فيه ليس موفوراً ميسوراً، فلاـ يمكن لغير المصطفين الأخيار الذين اصطفاهم الله تعالى بعلمه ليكونوا هم القنوات السليمة والحقانية لارتباط جميع المخلوقات بالواحد الأحد الله سبحانه وتعالى وذلك لما لهم من قوة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٨٥

النفس والاستعداد الحاصل من طهارة النفس فهم (عليهم السلام) ليس كبقية البشر روحاً بل حتّى جسداً فإنّ الرسول الأعظم (ص) عرج بجسده فضلًا عن روحه إلى سبع سماوات فهو ليس بالإنسان العادى حتّى تسوّل نفوس البعض الانكشاف على الغيب لمجرد أنه اتقى أو عمل صالحاً أو قام برياضة عبادية أو روحية أخرى ... فإنّ لكل ذلك أجراً عند الله وآثاراً حسنة على الروح، لكن ليس للحد الذى نغتر به وندعى الاتصال بالغيب بمجرد أن تحصل لنا رؤيا أو ومضة مكاشفة أو ... فإيّانا إيّانا أن نقع فى حبائل الشيطان، ونغوى أنفسنا ونغوى الآخرين ونترك الثوابت والبراهين والضروريات مما حصل عن طريق معصوم وهو القرآن والسُنّة.

العلوم الغريبة المكتسبة ووهم إعجازها ...: ص: ٤٨٥

فالقرآن هو البرهان الواضح والمحجة البيضاء وقد أعجز البشر أربعة عشر قرناً بما ضمن من علوم معجزة ودلائل إعجازية متنوعة ومتكثرة فلاـ يعقل ولاـ من المنطقى ترك هذا الوحى وسُنّة المعصومين من الأنبياء والأوصياء واتّباع الهلوسة والمهلوسين والجن والمجننين والشيطان والمتشيطنين سواء أكانت من رؤى أم مكاشفات، وتنويم مغناطيسى أو تحضير أرواح أو تحضير جن أو علوم غريبة كعلم الجفر أو علم الرمل أو علم التوسم أو علم الحروف أو علم الطلسمات أو علم العزائم أو علم البيوت أو علم التنجيم أو علم الكيمياء وغيرها من العلوم التى لا تكون كاملة وتامة إلّا عند المعصومين أما عند غيرهم فهى ناقصة منقوصة، فنحن لا ننفى هذه العلوم وقدرتها الجزئية المحدودة وإمكانها المتواضع فى كشف بعض يسير من شؤون بعض الأشياء لكنها لا تعطى البرهان المحيط القاطع ولا تكشف كشفاً مفيداً للحجية.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٨٦

نعم قد تكشف لصاحبها بعض الأشياء لكن يجب أن لاـ يغتر بذلك فليس هو الغيب ولاـ الواقع ولا هو كل العوالم فمثلًا فلان كتب بعض القضايا فى الجفر أو علم الحروف أو ... فعلم أن فلاناً سيموت أو سيولد له كذا أو غير ذلك، لكن ثمّ ماذا بعد ذلك؟ هل صار بذلك نبياً، هل به علم طريق الجنّة وطريق النار، هل صار عنده علم الأوّلين والآخرين وهل ؟...

توصية روايات الظهور بخطورة الدجل ...: ص: ٤٨٦

قد أكّدت الروايات الواردة فى علامات الظهور على أنه يتميز زمان الظهور بأنه زمان يبلغ فيه التحايل والحيلة والدجل والمكر والخديعة والتزوير والشيطنة حدّاً لم تبلغه عصور البشرية كلها ومن ثَمَّ فإن ما يعرف بالدجّال هو من سمات عصر الظهور، وكون رأس الشر فى عصر الظهور موسوم بالدجل يبيّن أن السمة البارزة للناس فى ذلك العصر هو الخداع والمكيدة، وقد بيّنت الروايات الواردة عند الفريقين أن الدجّال عمدة أدواته السحر والشعبذة وهو مؤشر على كثرة تعاطى السحر فى عصر الظهور لاسيّما من أدعياء المقامات الدينية نظير الدجّال الذى يدعو إلى طاعته والولاء له بنحو مطلق ولا يخفى أن للسحر تأثيراً يشتبه فيه الكثير مع المعجزة والكرامة، فها هو القرآن يحدّثنا عن النبى موسى (ع) وهو نبى من أولى العزم والذى لا يتسلط الشيطان على عقله ولا قلبه لعصمة الوحى ولكن رغم ذلك ورغم حصانة العصمة قال تعالى: فَإِذا حِبالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى* فَأَوْجَسَ فى نَفْسِهِ خيفَةً مُوسى* قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلى* وَأَلْقِ ما فى يَمينِكَ تَلْقَفْ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٨٧

ما صَنَعُوا إِنَّما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتى («١»)، وقال تعالى فى شأن النبى أيّوب: وَاذْكُرْ عَبْدَنا أَيُّوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ

أَنِّى مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ بِنُصْبٍ وَعَذابٍ («٢»)، فالنبى وإن لم يسيطر عليه الشيطان والسحر إلّا أن التخييل والإخافة ومسّ بدنه بالضرّ والمرض، وكيد السحر يكابده النبى ويصارعه كما يكابد قتال الكفار فى ميادين الحرب بالسيوف والرماح، فكيف الحال فى غير الأنبياء وغير المعصومين، ولاسيّما مواجهة السحر واستخدام الشياطين كما قال تعالى: وَأَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً («٣»)، أن هناك من الرجال والبشر يلوذون ويستعينون بالجن والشياطين لمآربهم وخداعهم ومكيدتهم.

ماذا يعنى هذا فى قبال علم المعصومين بكل ما كان وبكل ما يكون وما لهم من الاحاطة بكل العوالم الغيبية كما فى قوله تعالى: وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فى إِمامٍ مُبِينٍ («۴»)، وقال: وَما مِنْ غائِبَةٍ فِي السَّماءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فى كِتابٍ مُبِينٍ («۵»)، وقال: حم* وَالْكِتابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْناهُ فى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ («۶»)، وقال: لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ («٧») وغيرها لكن للأسف بعض النفوس المريضة والضعيفة تنخدع وتغتر بذلك فيهتمون بمثل هذه

السفاسف ويتركون ما هو خير لهم من ذلك فإنّ القرآن الكريم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴٨٨

والروايات تؤكد أن الصلاة والصوم والحج وزيارة المعصومين (عليهم السلام) وغيرها من العبادات لها آثار أعظم مما يتخيل هذا البعض المنخدع بتلك التفاهات والسفاسف فضلًا عن نور معارف القرآن والروايات، فليس من العقل ترك تلك العبادات والمعارف التى فيها كشف كل العوالم بتوسط الوحى وعدم الاهتمام بها وإعطاء شيء من الاهتمام لمثل هذه العلوم الغريبة أو غيرهما بتوهم وظن أنها تكشف لنا الواقع أو تعطينا طريقاً للواقع.

التشرف برؤية الإمام المهدى (ع) لا يعنى الحجية ...: ص: ۴٨٨

قلنا: إن مصادر التشريع منحصرة بتلقى المعصوم عن الحق تعالى، أما تلقى غير المعصوم فليس له حجية لأن الله تعالى أمرنا بالأخذ من ذلك الطريق وهو التلقى الحسى من المعصوم وكل ما عداه غير معتبر عنده تعالى.

ولكن هذا لا- يعنى عدم إمكان الإطلاع مثل الجن والشياطين والكهنة على بعض قطرات من الغيب كما قال تعالى: إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ («١») ولكن كل ذلك لا حجية له ولا يوجب علماً صحيحاً تاماً.

ونفس هذا الكلام نقوله فى انقطاع السفارة فإنّه بعد أن ثبت بالدليل وصار من ضروريات مذهب أهل البيت (عليهم السلام) فإنّ ذلك لا يعنى عدم إمكان التشرف برؤية الإمام المهدى (ع)، بل هو ممكن ولكن

ذلك لا يعنى أىّ منصب أو عنوان من عناوين الحجية بل غاية ما فيه أنه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴٨٩

يتشرف بالرؤية فحسب، وهذا التشرف من الأمور الواقعة لكثير من العلماء وغيرهم من المؤمنين وقد ذكرت المئات بل الآلاف من القصص والحكايات والمواقف والمشاهدات من هذا القبيل وما ذلك إلّا لأن المناصب الدينية والحجية لها أنظمة خاصة ومراتب خاصة لا تحصل بمجرد الرؤيا.

رياضات النفس وفعل الأعاجيب ...: ص: ۴٨٩

يذكر أحد وكلاء المراجع والفقهاء وكان فى باكستان والهند يذكر ذكريات السنين التى كان يعيشها هناك فى الهند وباكستان عن جملة من المرتاضين غير المسلمين بل من الكفار والهندوس فإنّهم كانوا يستطيعون ببعض الرياضات أن يوقفوا قطاراً ومنعه من السير وتعطيل طائرة عن الطيران، وقدرة على قراءة الخاطر والضمير وقراءة أعمال الأشخاص الماضية منذ طفولته أو قراءة بعض الحوادث المستقبلية وغير ذلك الكثير من الأعاجيب، أو يسخر جملة من الشياطين والجن كفعل الكهانة والكاهن، لكن هذا لا يعنى أن هذا

الشخص المرتاض له وحى أو له ولاية تكوينية أو، ... بل هذه نتيجة رياضات النفس، فإنّ للنفس قدرات عجيبة إذا روضها الشخص برياضات خاصة يستطيع فعل الأعاجيب، فإنّ أحد المرتاضين مثلًا كما يذكر ذلك من ذهب للهند يستطيع أن يبقى فى القبر ستة أشهر من دون أىّ طعام ولا ـ شراب بل حتّى من دون تنفس فإنّه بالتنويم المغناطيسى استطاع ترويض نفسه على ذلك وغيرها من الأفعال التى يفعلها البعض كبلع المسامير وإدخال

السيف فى الجسد أو يخبر عن مواقف وأفعال الآخرين الماضية من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٩٠

خلال الكلام مع الجن أو القرين ممن قد يخطف الخطفة كما ذكر ذلك القرآن الكريم، فإنّ مثل هذه الأفعال الخارقة والعجيبة ليست ببعيدة عن السحرة والجن والعفاريت كما يقول القرآن الكريم فى عرش بلقيس: أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ («١») فهذا عفريت من الجن من الشياطين وليس من الملائكة وليس من المهتدين وليس من الطائعين بل عفريت من الشياطين وعد بأن يأتى بعرش بلقيس من اليمن قبل قيام النبى سليمان (ع) من مجلسه أى فى ظرف ربع أو نصف ساعة، ولكن هذا هل يعنى أن ذلك العفريت صار جبرائيل أو صار وحياً أو نحو ذلك؟ كلا فإنّه عفريت من الشياطين ليس إلّا، فكل ذلك ليس وحياً ولا نوراً يكتشف به الواقع والغيب كما يتصور بعض السذج والمغرر بهم، بل هى من امتحانات الله التى يبتلى بها الناس ليمتحن بصائرهم فإنّ مثل هذه الأعمال قد تكون للعفاريت والجن والكفار المرتاضين و ... ولا تكون لبعض المؤمنين وليس له القدرة على إنجاز شىء أبسط من ذلك، ولكن مع كل هذا فإنّ المؤمن الضعيف الذى ليس له أىّ قدرة يكون ناجياً فى الآخرة ومن أصحاب الجنّة ورضوان الله تعالى فى حين يكون ذلك الفاعل للأعاجيب من أهل النار وممن غضب الله تعالى عليهم، وليس هذا بالغريب فإنّ إبليس زوّده الله تعالى بقدرات عظيمة فإنّه يستطيع أن يوسوس ويخترق كل النفوس البشرية وهذه قدرة جبارة ليست عند أعظم القوى البشرية كالدول الكبرى بما لها من علوم وطاقات وقدرات

و ... كما أن لإبليس قدرة التشكل بأشكال وألوان مختلفة وله قدرة تزيين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٩١

الأعمال ويحدث الخواطر فى النفس ويجذب الناس إلى حيث يشاء وربما له قدرة الذهاب إلى قرب السماء الأولى، فإنّ قدرات إبليس قدرات هائلة وليست بالسهلة ولكنها لا ـ تدل على ألوهيته ولا مكانته عند الله تعالى، بل هو إبليس على ما هو عليه من اللعن والطرد.

والقرآن الكريم يسطر لنا هذه الأمثلة كى لا ـ ننخدع بل لا بدَّ من الرجوع للعقل وضروريات الدين والسُّنّة، فالقرآن الكريم يعتبر المعارف والعقائد الحقة أعظم من تلك الأعاجيب والمظاهر من طى الأرض والزمان والرؤى والمكاشفات و ... فبحسب المفهوم القرآنى هذه ليست ميزان هداية بل حتّى مثل الحصول على بعض الاسم الأعظم كبلعم بن باعورا ليس لها قيمة فى الحجية، فقال تعالى: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ («١») وقد ورد أنه لو قرئ على ميت سبعين مرة سورة الفاتحة وردت له الحياة فليس ذلك بغريب («٢»)، بل حتّى من خلال العلوم الحديثة فإنّهم توصلوا لنتائج عجيبة غريبة من خلال إعمال العلوم الأكاديمية من كيمياء وفيزياء ومراتب الطاقة وعلم النانو والكوانتم («٣») وغيرها بحيث أصبح لهم قدرة أن يكون الشخص موجوداً فى مكان ثمّ فجأة يختفى ولا يرى.

فإنّ بعض الكرامات التى يحصل عليها بعض الزهّاد والأولياء والصالحين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٩٢

والمتقين أو نتائج العلوم الأكاديمية ... ما هى إلّا كرامات يعطيها الله تعالى لهم ولا تدل على العصمة ولا على السداد بقول مطلق، فعلينا أن لا نفقد قدرة التمييز بين العصمة والسداد والتى تفيد الحجية وبين هذه الكرامات من الله تعالى أو نتائج وأفعال النفس نتيجة

الرياضات.

فإنّ بعض أولئك أصحاب الكرامات أو الرياضات على ما هم عليه من الزهد والتقوى أو الرياضات إذا نظروا فى مسألة فى العقائد أو الفقه تجدهم يخطأون ويتخبطون بجهلهم، بل ربما بعضهم يعتقد بمسألة عقائدية أو فقهية بشكل معكوس فيرى الحلال حراماً أو الحرام حلالًا.

فالقرآن الكريم يريد أن يبيّن لنا أن التقوى والزهد والصلاح والعفاف والأخلاق الحسنة النبيلة فإنّ كل ذلك شيء والعصمة شيء آخر، فالعصمة فوق ذلك ولها ضوابطها الخاصة وموازينها وقنواتها.

فلا ننخدع بذلك إذا حصل لنا أو لغيرنا، فإنّها امتحانات يمتحننا الله تعالى بها فى المعرفة والبصيرة، فسبحان الله كيف يمتحن الخلق بالحق وبالباطل، بل يمتحن حتّى بالحبوة الإلهية، فينعم الله تعالى على عبد بصلاح أو تقوى ونحوها ليرى هل ينغر أو ينخدع؟ فلا بدَّ من التواضع والخضوع والتذلل لله تعالى وعدم الانحراف والانجراف وراء مكاشف أو رؤية أو علم غريب أو نحو ذلك.

فهذا بلعم بن باعورا خصه وحباه الله تعالى بحرف من الاسم الأعظم وجعله بذلك تحت الامتحان والاختبار كما ورد ذلك فى الروايات ولكنه لم يكبح جماح نفسه، بل راح يطلب ما ليس له فوقع فى الانحراف قال تعالى: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ* وَ لَوْ

شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۹۳

يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ («۱») وقد مرَّ ذكره فى الجزء الأوّل.

حدود النيابة الخاصة والسفارة ...: ص: ۴۹۳

اتضح أن النيابة الخاصة والسفارة لا تعنى العصمة والسداد وإنما لها دائرة حجية من الحجج، كالفقيه فإنّ الفقيه مرجع ويُتّبع وفق منهج ومدرسة أهل البيت (عليهم السلام) من دون أن يعطى درجة العصمة وعدم الخطأ، وإنما له حجية فى ضمن غير الضروريات ما دام محافظاً على الضروريات وما دام واجداً للشرائط من العلمية والفقاهة وكون الاستنباط من مصادر أهل البيت (عليهم السلام) لا من القياس والاستحسان ونحوها وإلّا لم يكن له ذلك المنصب ولا ذلك الدور ولا تلك الحجية، إذاً فحجية الفقيه متولدة من حجج أرفع منه وما دام محافظاً على الارتباط مع تلك الحجج الأرفع والأعلى تبقى له الحجية.

كذلك الحال فى النائب الخاص والسفير، فإنّما دوره فى غير الضروريات وفى غير دائرة الفقهاء، فإنّ مجال ودائرة حجية الفقهاء والسفراء لا تتقاطع ولا تلغى أحدهما الأخرى كما تقدم بيان ذلك، فإنّ مساحة ودائرة كل منها غير مساحة ودائرة الأخرى.

ثبات فقه مدرسة أهل البيت ومصادره ...: ص: ۴۹۳

وفى هذا البحث نلفت النظر إلى نكتة وظاهرة مهمّة جدّاً فى الغيبة

الصغرى ونيابة النواب الأربعة (رض) وهى أن فقه أهل البيت (عليهم السلام) فى فترة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۹۴

الغيبة الصغرى لم يتغيّر عمّا كان عليه من مسار الإمامية فى حضور الأئمّة (عليهم السلام) من العقائد والفقه والسنن والثوابت الأخرى، ومما لا إشكال فيه أن ذلك ببركة وجود الإمام المهدى (ع)، فإنّ ما نقله السفراء (رض) عنه (ع) من روايات وأحاديث يكشف عن تبعيته لمنهج آبائه وأجداده الأئمّة (عليهم السلام) ولضروريات وفرائض الله تعالى وسُنّة الرسول (ص) حيث تقدم وذكرنا بأنّ نسبة كبيرة مما كان يصدر من توقيعاته الشريفة كانت تتضمن إرجاعاً إلى تراث آبائه من الروايات والسنن، لأن ذلك التراث فيه ضروريات

سنن النبى (ص) وضروريات سنن آبائه ولا يتوهم متوهم أن يصدر توقيعاً منه (ع) فيه مخالفة لتلك الضروريات.

وهذه ملامح مهمة ونكتة جوهرية فى مسيرة عقائد الإمامية ومسيرة فقه أهل البيت (عليهم السلام) فإنّ تلك العقائد وذلك الفقه ظل بنفس الطابع واللون الذى كان عليه قبل الغيبة الصغرى، وهذا إنما يدلل على أن دائرة النواب والسفراء الخاصة هى دائرة محدودة، فهم بمثابة مدير شعبة إدارية لتنفيذ جملة من البرامج والإداريات والسياسات التى يعهدها الإمام المعصوم إليهم لا أن دورهم يقصى الفقهاء ولا يتطاول على التراث الضرورى لأهل البيت (عليهم السلام)، ومن ذلك تتضح لنا دائرة نيابتهم وحجيتهم وأنه ليس فيها أىّ غموض فدورهم جمع الحقوق وتنفيذ بعض السياسات الإدارية فى نظام الشيعة.

هذه ملامح الغيبة الصغرى نتيجة عدم تقاطع وعدم تطاول دائرة حجية النواب مع دائرة الفقهاء ودائرة الأئمّة (عليهم السلام) وهى نظير تعيين رسول الله (ص) أسامة بن زيد قائداً للجيش، فإنّ ذلك لا يتوهم منه أنه أصبحت لأسامة حجية مطلقاً أى له مطلق الصلاحيات، بل إن صلاحيات

أسامة فقط فى حدود قيادة الجيش.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۹۵

ونظير قول أمير المؤمنين (ع) فى مالك الأشتر (رض): «كان لى مالك كما كنت لرسول الله (ص)» («١») ولا يتوهم من ذلك أن مالكاً صار وصياً بعد أمير المؤمنين بدلًا من الحسنين فليس الأمر كذلك فإنّ الأمير (ع) أراد بيان مدى خلوص ومحبة وتفانى مالك (رض) فى نصرة أمير المؤمنين ولم يرد بذلك تسجيل العصمة والحجية لمالك فليس الأمر كذلك، فإنّ الاستدلال والاستنباط له موازين والاستظهار له موازين، فإنّ التشبيه باب فى علم البلاغة من اللغة العربية، والتشبيه أيضاً له قواعد وموازين، فإنّ التشبيه دائماً يكون فيه جهة شبه وليس فى كل وجوه الشبه فهذه قواعد فى اللغة العربية، والقرآن الكريم والرسول (ص) وأئمّة أهل البيت (عليهم السلام) إنما يتكلمون بلغة العرب وليس بلغة أخرى جديدة أو جفر أو غيرها مما يكون فيها غموض على السامع، لذا فلا بدَّ من إعمال موازين اللغة من الصرف والنحو والبلاغة و ... لأجل منع المهلوسين والطامعين وأصحاب الرايات الضالة...

ضرورة الموازين فى قراءة الدين ...: ص: ۴۹۵

فإنّ تحكيم تلك الضوابط والموازين فيه خلاص من الزيغ والانحراف وعن الوقوع فى مثل تلك التوهمات، فإنّ الله تعالى ورسوله الكريم وآله الأطهار حدّثونا بحسب قوانين اللغة العربية، وإلّا لو أرادوا

، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۹۶

الحديث بلغة جديدة مشفرة فإنّه بحسب الموازين تكون سفسطة، بل هذه الموازين يعملها الإنسان بدقة وعمق أكثر فأكثر ليصل للنتائج الصحيحة، ومع إعمال الموازين بالشكل الصحيح لا مجال للوقوع فى الغموض وأما لو رفع اليد عن الموازين فى استنطاق الأدلّة فإنّ ذلك باب لتدمير الدين والقفز والتمرد على ضرورياته، فإنّ أحد النوافذ التى يستخدمها أصحاب الفرق الضالة هو التذرع بالتأويل بدون موازيين أو التفسير أو الاستظهار والاستنباط والاستنطاق الذوقى بالقريحة والتشهى، فإنّ ذلك يؤدى إلى تكلفات وتمحلات وسفسطات ونحوها ما أنزل الله بها من سلطان، وكل ذلك بدعوى وذريعة معرفة الأسرار والمعارف، فتستخدم تلك الفرق الضالة الهلوسة ونوعاً من غسل الدماغ ونحو ذلك للوصول إلى مآربهم وأطماعهم، مع أن الأنبياء والمرسلين والأئمّة يحاجون بحجج ومنطق وموازين وأدلّة كى تثبت نبوتهم وإمامتهم ومن دون ذلك يكتشف عدم حجيتهم، فكيف يتوهم متوهم ويستجيب لتلك الدعاوى الضالة والهلوسات والاستظهارات واستنطاق الأدلّة بخلاف الموازين، فإنّ فتح مثل هذا الباب على مصراعيه بحيث يصح لكل مهلوس وكيفما يكون لرائق ومتأول أن يُحدث ما يريد و ... فإنّ ذلك يؤدى إلى خراب الدين واضطراب منظومة حجية وموازين وطرق استنطاقه واستدلالاته، وإلّا لِمَ استعمل الله (عزوجل) اللغة لغة اللسان العربى بالذات فما ذلك إلّا لأجل تحكيم ضوابط وموازين وقواعد

اللغة لمعرفة مُرادات الله منّا ولا يُتصور أنه تعالى يبيّن مراداته بألغاز غير منضبطة وإلّا
كانت سفسطة وإنكار الضروريات والديهيات والعياذ بالله.
دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۹۷
أما إذا توسطت الموازين الصحيحة والأدلّة الرصينة فمهما ترامت وتعمقت النتائج وازدادت غموضاً فلا بدَّ من الوصول إلى صحتها ولو بحسب الظاهر كما فى علم الرياضيات أى معادلة بعد معادلة ومرحلة بعد مرحلة حتّى لو أدّى ذلك إلى اكتشاف شيء عجيب لم تعرفه البشرية فإنّه يكون مقبولًا، لأنه ناتج خطوات ومراحل وفق موازين صحيحة وإلّا من دون الموازين الصحيحة نضل الطريق المستقيم ونقع فريسة للطامعين والمضلين.

كفر مُدّعى السفارة ...: ص: ۴۹۷

يذكر الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبة وفى كتب الشيعة الروائية الأخرى التى تحفل بذكر أحداث الغيبة الصغرى وبداية الغيبة الكبرى يذكرون فتوى لابن قولويه وهى: (من ادّعى النيابة الخاصة والسفارة بعد السمرى فهو كافر مُنمس (محتال) ضال) («۱») وهذه الفتوى لم يتبناها ابن
قولويه فقط وإنما الكثير من المتقدمين من فقهاء الغيبة الصغرى والكبرى
،،،،،،،،،،،،
دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۹۸
تبنوها كالشيخ الطوسى إذ يتضح ذلك من كلامه فى الفرق البابية أو التى ادّعت النيابة فى الغيبة الصغرى.
والسؤال فى المقام أن أولئك الفقهاء لِمَ حكموا بكفر المُدّعى للسفارة أو النيابة الخاصة، وهل هناك تخريج صناعى لهذه الفتوى ولِمَ لم يقل الفقهاء عن المدّعين إنهم أهل ضلال وما داموا على الشهادتين فهم مسلمون، إذ لا مانع أن تكون بعض الفرق داخلة فى الإسلام ولكنها ضالة أى ضلت عن إصابة الإيمان أى زاغوا ولم يهتدوا للإيمان؟
يتبيّن ويتجلى التخريج الصناعى لحكم الفقهاء بالكفر بناءً على ما ذكرناه ووضحناه من منظومة الحجج، إذ أن أولئك الذين اعتقدوا بنيابة هؤلاء النواب المدّعين زيفاً حكّموا حجية هؤلاء المدّعين على ضرورات الدين، وهذا بغض النظر عن زيف دعواهم لأنه قد يحكم عليهم بالضلال والافتراء والكذب كما ورد فى التوقيع المبارك، ولكن الأمر الذى دائماً ما يُبتلى به هؤلاء المدّعون زيفاً وحيلة ودجلًا ونصباً للنيابة الخاصة وأتباعهم كذلك، أنهم يتبنون تحكيم قولهم على ضروريات الدين لأنهم يأخذون قولهم بنحو محتم ويتأولون ويلتوون ويلتفون ويقفزون حتّى على ضروريات سنن أهل البيت فضلًا عن سنن النبى (ص) وضرورات فرائض الله، ومن الواضح أن الذى يلتف أو يعتقد فى شخص أن له حجية تهيمن على حجية أئمّة أهل البيت وحجية النبى وحجية الله، فإنّ هذه هى التنبأ أو الألوهية فأولئك المدّعون إما أن يبتلوا
بالألوهية وإن لم يقولوا نحن آلهة وإما أن يدّعوا بأنّ لهم صلاحيات فى تغيير ضروريات دين الله وسُنّة نبيه وبالتالى فإنّ التمرد ولو بالتأويل على ضروريات دين الله فهو تأليه وكفر وخروج عن الإسلام، والتمرد
دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۹۹
على ضروريات سنن النبى (ص) أيضاً خروج عن الإسلام وأما التمرد على ضروريات سنن الأئمّة (عليهم السلام) فهو ليس بمؤمن وبالتالى هو كافر بمعنى الكفر المقابل للإيمان وإن لم يكن كافراً بمعنى الكفر المقابل للإسلام.
وعليه فإنّ أولئك المُدّعين للنيابة أو السفارة أو أتباعهم يتبنون كون حجية المدّعين تعلو ضرورات الدين، فهو تأليه أو تنبأ وإن لم يُسموه إلوهية ونبوة ولذلك كفرهم فقهاء الغيبة الصغرى، فإنّه لا بدَّ من التمسك والانقياد والتخضع لضروريات الدين من قبل الجميع

حتّى الرسول ولابدَّ من التمسك والانقياد والتخضع لضرورات سنن النبى من قبل الجميع حتّى الأئمّة.

ومن يحاول الالتفاف والقفز والتمرد إعتقاداً وتنظيراً وتشريعاً على صلاحيات الله الضرورية أو صلاحيات النبى الضرورية فهو خروج عن الإسلام.

وبالتالى فإنّ كل من يدعى النيابة الخاصة والسفارة بعد السفراء الأربعة (رض) فهو كافر إما كفر فى قبال الإسلام فيما لو تصدى المدّعى والعياذ بالله من خلال نيابته للقفز أو التمرد على ضروريات الدين وفرائض الله وضروريات سنن النبى (ص) فيكون خارجاً من ربقة الإسلام، لأن هؤلاء المدّعين للنيابة عموماً يدّعون النيابة زيفاً لعدم علمهم بمدى وحقيقة وخطورة

• هذا المنصب فتكون دعواهم بالنتيجة مخالفة لضروريات فرائض الله وضروريات سنن النبى (ص).

وإما أن تكون دعواه للنيابة تمرداً وقفزاً على ضروريات سنن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٠٠

الأئمّة ومنهاجهم (عليهم السلام) فهم مارقون من الإيمان فهو كفر فى قبال الإيمان.

وكيف كان فإنّ مدّعى النيابة زيفاً وبطلاناً محكوم عليه بالكفر لأنه خالف الضرورة والبديهية على أحد قسميها.

عناوين دعوى السفارة ...: ص: ٥٠٠

لا يقتصر عنوان دعوى السفارة على خصوص السفير أو النائب الخاص بل هناك عدة أوجه وعناوين وأقنعة قد يتلبس بها المدّعى فمنذ أكثر من اثنى عشر قرناً ظهرت عدة وجوه ومدّعيات وهلوسات أخذت ألواناً ونماذج عديدة جدّاً كلها بالتالى تصب فى حقيقتها إلى ادعاء النيابة أو السفارة ومن تلك العناوين على سبيل المثال:

١ سفير خاص أو نائب خاص.

٢ دعوى الاتصال أو القدرة على الاتصال بالإمام (ع) والقدرة على إيصال الأسئلة وإرجاع الأجوبة للناس من دون عنوان السفير أو النائب.

٣ دعوى القدرة والمكنة من التشرف برؤية الإمام فى أىّ وقت يشاء.

٤ دعوى تلقى الأوامر والنواهى من الإمام مباشرةً.

٥ دعوى أن الإمام (ع) له عناية خاصة به ويرعاه و...

٦ دعوى أن الإمام (ع) يأتيه فى المنام ويتحدّث معه.

٧ دعوى أنه جسر من وإلى المعصوم للاتيان بتوصيات وتعاليم منه (ع).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٠١

وغيرها من العناوين («١») كلها تصب فى دعوى السفارة أو النيابة

الخاصة وإن لم يتسمَ بها، وهذه كلها سواء أكانت على نحو التصريح أم الكناية بالتعريض أم غيرها فإنَّ المهم أن المدعى لها يريد أن يُفهم ويوصل معنى لعموم الناس أنى على ارتباط خاص بالإمام (ع) يريد بذلك إبراز الشأنية لنفسه وجمع ما أمكن من السذج والعمياويين حوله

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٠٢

كأتباع ويكوّنوا لأنفسهم الرئاسات الباطلة ليسود فى متاع هذه الدنيا الدنية.

وفقهاء الإمامية أتباع مذهب أهل البيت قد حكموا بالبراءة واللعن والطرد لكل تلك العناوين وغيرها وبطلان وكفر مدّعيها ومروقهم من الدين على اختلاف الدرجات فى ذلك ضلالًا إذا كانوا يريدون بها ذلك المعنى من الرئاسة والمنصب ونحوها، وليراجع فى

ذلک کلام الشیخ الطوسی فی الغیبة والصدوق فی کمال الدین والنعمانی والنوبختی وسعد بن عبد الله وغیرهم من فقهاء ومراجع الشیعة ورؤساء الطائفة.

وهذا لا ینافی أصل التشرف بلقاء ورؤیة الإمام (ع) فلعلَّ بعض العلماء الأتقیاء الصلحاء یتشرف فی العمر مرة أو مرتین أو أکثر برؤیة ولقاء الإمام (ع) ولکن من دون إبراز ذلک بصیغة المقام والمنصب والوساطة لأن منصب الوساطة والارتباط لا یعطی لأحد مهما کان فإنّ الإمام (ع) نفاه ومنعه.

فإنّ التشرف بالرؤیة غیر ممتنع وقد ذکرت حول ذلک مئات بل آلاف الموارد التی تشرف فیها أعلام متقون صلحاء، ولکن لو افترضنا أن أحد أولئک المتشرفین بالرؤیا أبرز تلک الرؤیا وأظهرها لیدّعی لنفسه تقلد منصب رسمی وتمثیل عن الإمام (ع) فإنّ ذلک دجّال وکذّاب وإن کان حقیقة قد تشرف بالرؤیا فإنّ التشرف بالرؤیا شیء وصلاحیات

التمثیل شیء آخر.

وبمثال أکثر وضوحاً أنه لو فرضنا راوٍ من الرواة فی زمن أحد الأئمّة (علیهم السلام) ویروی عنهم ثمّ یدّعی أنه له الوکالة عنهم (علیهم السلام) فإنّ ذلک لیس بحجة ولا کاشف عن صحة دعواه، فإنّ الروایة شیء والوکالة

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۵۰۳

شیء آخر، وهذا طبعاً من باب التنظیر وإلّا فالفارق کبیر بین دعوی الوکالة ودعوی السفارة والتمثیل الرسمی والنیابة، کما أن الأمر حتّی مع الروایة فی زمن الغیبة مختلف فإنّ أصل الروایة عن الإمام المهدی فی زمن الغیبة لا حجیة لها فضلًا عن ادعاء شیء آخر؟!

حرکات ونهضات رایات سنة الظهور ...: ص: ۵۰۳

وهذا لا ینافی القیام بحرکات تحرریة کما فی سنة الصیحة من السماء لو کانت بعنوان نصرة المذهب أو نصرة الإمام المهدی (ع) لکن بشرط عدم ادعاء أیّ نحو من الحجیة فإنّ مفاد الروایات نفی حجیة الاتصال أو النیابة الخاصة عن الإمام بل حتّی مثل شخصیات الظهور کالیمانی والخراسانی وغیرهم فإنّ مفاد الروایات لیس فیه إعطاءهم أی نحو من الحجیة، نعم غایة ما تثبته الروایات لمثل هذه الشخصیات أنهم علی الحق وأنهم یدعون لنصرة الإمام المهدی (ع) أو لرفع الظلم أو نحو ذلک من دون أیّ منصب ومقام خاص إلّا أنهم علی الحق.

نعم الدّعوة لنصرتهم ومؤازرتهم باعتبار حقانیة دعوتهم وحجیة الثوابت والموازین التی یرفعونها ویطالبون بها إذ الحق بما هو حق یجب أن یتبع بغض النظر عمّن طلبه وکیف طلب ممن هو غیر معصوم ما دام متقیداً بالموازین وملتزماً بالأحکام الشرعیة، وهذه الشخصیات هناک دعوی لنصرتهم بشرط سماع

الصیحة من السماء وظهور قیام دولة السفیانی لا لشخصهم بل لأنهم یدعون للرضا من آل محمّد (ص)، وإلّا فالموجود فی الروایات من المدح والثناء وکَیل الصفات علی الیمانی مثلًا لم یبلغ ما هو مذکور فی حق زید بن علی بن الحسین رضوان الله علیه، ومع کل ذلک لم تکن له أیّ نحو من الحجیة وإنما ذلک المدح

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۵۰۴

له باعتبار أنه کان یدعو للرضا من آل محمّد وهی دعوة حق، فالمدح والثناء کان باعتبار دعوته.

لذا فإنّ بعض الروایات تفید أن الدعوة إن وافقت الموازین وکانت متقیّدة بأحکام الشرع المبین وکان المطلوب فیها هو الحق فلا بدَّ من دعمها وتأییدها قدر الإمکان کما عن المجلسی حیث جزم أن دعوة الصفویین کانت دعوة تدعو إلی التمسّک بأحکام ومنهاج أهل البیت (علیهم السلام) لیست لأنها سیاسیة أو عسکریة أو ... بل لأنهم طلبوا الحق وأرادوا رفع الظلم وإقامة الدین من دون أن یدّعوا أیّ منصب دینی کالسفارة أو النیابة الخاصة أو العصمة أو غیرها وإنما قالوا: نحن عبید الله ومطیعون للأئمّة (علیهم السلام)

وتابعون لفقهاء الإمامية، لذلك فإنّ مجموعة من أساطين وأعلام الفقه الشيعى وظفوا كل إمكاناتهم لنصرتهم كالشيخ جعفر كاشف الغطاء والشيخ الكركى وغيرهم.

وما ذلك إلّا لأنها دعوة سعت إلى التقيّد بأحكام الشرع ووفق الموازين، فالنصرة كانت وتكون للدعوة لا للأشخاص سواء أكان الشخص اليمانى أم الخراسانى أم غيره، نعم لو كان الشخص هو الإمام المعصوم فالنصرة تكون له بما هو بعد أن يثبت أنه الإمام حقاً لأنّا مأمورون باتّباعه هو، وهكذا الحال فى أىّ واحد من أنصار الإمام المهدى (ع) ال- (۳۱۳) فإنّه بحسب الروايات ليس لهم أىّ نحو من

النيابة ولا السفارة ولا أىّ حجية قبل ظهوره.

والحاصل أن أىّ عنوان من هذه العناوين ليس له أىّ حجية حتّى عنوان السفارة أو النيابة الخاصة أو غيره فى فترة الغيبة، نعم بعد الظهور قد تكون لهذه العناوين الحجية التى تعطى حينئذٍ من قبل الإمام (ع).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۰۵

الخلط بين أحوال الرجعة وما قبل الظهور ...: ص: ۵۰۵

ثمّ لا بدَّ من الالتفات إلى أن بعض الروايات وخصوصاً روايات الملاحم إنما تبيّن أحوال الرجعة وليس أحوال ما قبل الظهور فمثلًا المهديون الاثنا عشر فإنّ الروايات تعطيهم بعض الأدوار ولكن ليس قبل الظهور بل ولا بعده وإنما فى فترة الرجعة، فلا بدَّ من التمييز بين هذه المراحل وإلّا وقعنا فى خلط بين بعض العناوين التى لا حجية لها وبين البعض الآخر الذى له نحو من الحجية وبعض الأدوار لكن فى مراحل أخرى.

وبهذا الفهم والادراك والالتفات للمراحل نسد الباب أمام الدجالين والمضلين ولا ينخدع بألاعيبهم حينئذٍ إلّا السذج وقليلوا الفهم والادراك وضعاف البصيرة.

حقيقة السفارة والنيابة الخاصة ...: ص: ۵۰۵

قد يتوهم البعض أن السفارة والنيابة الخاصة هى مجرد تمثيل وتنويب عن الإمام (ع) فينقل السفير عنه ما يسمعه من حديث سماعاً حسياً وينقل الأسئلة والأجوبة الخطية من وإلى الإمام (ع) وهكذا المعنى والمتصور.

وليس كذلك فإنّ حقيقة السفارة ليس ارتباطاً حسياً وإنما السفارة فى الروايات ذكرت باصطلاح ومفهوم خاص وهى النقل بتوسط عالم

الملكوت فهى ارتباط ملكوتى روحى غيبى.

وقد ورد فى الروايات أن الرسول (ص) سفير الله تعالى، ونقرأ فى بعض الزيارات أن الإمام (ع) سفير الله تعالى مثلًا ما ورد فى زيارة ليلة ويوم المبعث لأمير المؤمنين (ع): «السلام عليك يا خاصة الله وخالصته و ... وعيبة علم الله

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۰۶

وخازنه وسفير الله فى خلقه » («... ۱») فالرسول عندما ينقل عن الله تعالى لم يكن ينقل نقلًا حسياً عنه تعالى وإنما بتوسط الملكوت، فعندما يقول الرسول (ص): قال جبرائيل (ع) عن الله تعالى فليس هو عن سماع بدنى وإنما عن طريق الوحى بارتباط روحى ملكوتى غيبى، وهكذا نقل الأئمّة (عليهم السلام) عندما يقال: إنهم (عليهم السلام) محدّثون وتقول: قال الصادق (ع) عن أبيه الباقر عن السجاد عن سيد الشهداء عن أمير المؤمنين عن النبى عن جبرائيل عن الله، أو قال الرسول عن الله فى حديث قدسى، فليس المراد بهذه العنعنة أن أحدهم ينقل عن الآخر حساً وإنما بالارتباط الملكوتى، فإنّ الأئمّة (عليهم السلام) يحدّثون عن الرسول عن الله ولو بعد وفاة

الرسول (ص) لأن ارتباطهم الملکوتی الروحی الغیبی برسول الله لم ینقطع بوفاته (ص)، فمثلًا سید الشهداء الإمام الحسین (ع) عند اعتراض عبد الله بن عبّاس أو محمّد بن الحنفیة أو عبد الله بن جعفر فی خروجه ومسیره للعراق فأجابهم (ع) بأنّ رسول الله (ص) قال لی: «اخرج یا حسین فإنّ الله شاء أن یراک قتیلًا» («۲») وهکذا عندما اعترض علیه فی اخراج النساء والعیال معه فی مسیره وخروجه فإنّه (ع) قال: «إن رسول الله (ص) أخبرنی أن الله شاء أن یراهُنَّ سبایا» («۳») فإنّ ذلک

من سید الشهداء لیس إلّا لأن ارتباطه برسول الله غیر منقطع بل مُفعل عن طریق الملکوت والارتباط الروحی الغیبی، کما أنه (ع) عندما أجاب بذلک لم

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۵۰۷

یعترض علیه ابن عبّاس ولا ابن جعفر ولا محمّد بن الحنفیة لأنهم یعلمون أن الحسین من أهل آیة التطهیر ومن أهل آیة المباهلة إذ احتج به الله (عزوجل) وجعله مطهراً ویعلم الکتاب کله والقرآن شهد بأن المطهرین من هذه الأمّة یعلمون علم الکتاب الذی لا یمسّه إلّا المطهرون والکتاب المبین کتاب مکنون فیه کل شیء من رطبٍ ویابس، قال الله تعالی: وَلا رَطْبٍ وَلا یابِسٍ إِلَّا فِی کِتابٍ مُبِینٍ («۱»).

وهکذا الإمام الرضا (ع) عندما یذکر قصیدة الحمیری («۲») هذه

؛ دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۵۰۸

القصیدة العظیمة التی أمر رسول الله (ص) الرضا (ع) أن یأمر شیعة أهل البیت بحفظها وأن الرسول یضمن لمن حفظها وتداولها الجنّة علی الله فهذه الروایة نقلها الإمام الرضا (ع) عن الرسول (ص) مع أن الحمیری ألّف هذه القصیدة فی زمن الإمام الکاظم أو الصادق (ع) ومن الواضح أن الأمر للإمام الرضا (ع) فی زمن الإمام الرضا (ع) فکیف حصل هذا الأمر، فلیس ذلک إلّا لأن الارتباط بین الأئمّة (علیهم السلام) والرسول (ص) ارتباطٌ مُفعّل لم ینقطع بانتقال الرسول أو الأئمّة السابقین إلی البرزخ أو إلی الآخرة، لذلک فهم سفراء الله لأن قناة علمهم وحدیثهم هی بتوسط الملکوت.

وعندما یقال: نائب خاص أو سفیر عن الإمام المهدی فإنّ ذلک یعنی أنه ینقل بتوسط قناة ملکوتیة نازلة روحیة غیبیة لکن عن الإمام المهدی (ع)، فهذا هو المراد بالسفارة والنیابة الخاصة وإن کان لا یمنع ذلک من الرؤیة الشخصیة کما جاء فی زیارة النواب الأربعة هذه العبارة التی رواها الشیخ الطوسی فی التهذیب: (أشهد أن الله اختصک بنوره حتّی عاینت الشخص فأدیت عنه وأدیت إلیه) («۱») الذی یعنی أنه بلطف

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۵۰۹

الله هناک ارتباط ملکوتی بینه وبین المعصوم وإن لم یکن السفیر معصوماً ولم تکن حجیته مطلقة کما مرَّ بیان ذلک لکن السفارة مقام خطیر لم یفهمها ولم یعها ولم یفقه حقیقتها أولئک الأدعیاء المُدّعون لها زیفاً ودجلًا، فبیان حقیقتها فی المقام أمرٌ لا بدَّ منه فی المعرفة والبصیرة للتحصن ممن تستهویه نفسه للخوض فی الباطل والأفاعیل بسوء الاستفادة منها وهذا البیان ینفع فی تعریة الصوفیة وبعض العرفاء الذی تقمصوا مثل هذا المقام فإنّ جملة منهم ادّعوا هذه المقامات لأن التصوف والصوفیة اقتبسوا جملة معارفهم ونظامهم من الفرق الباطنیة الشیعیة، فالصوفیة نشأةً وتاریخاً وتولداً فی کثیر من مبانیهم ومسالکهم متخذة من الفرق الباطنیة الشیعیة التی انحلت أو انحرفت بعد اطلاعها علی بعض الأسرار.

***

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۵۱۳

الفصل الثامن: مفهوم الغیبة بین الافراط والتفریط ... ص: ۵۱۳

الافراط والتفريط فی الغیبهٔ ...: ص: ۵۱۳

لـدينا ثلاثـة مـذاهب فی تفسير وفهم الغيبـة الكبرى للإمـام (ع) كمـا هو الحـال فی أغلب المسائل الاعتقاديـة فهناک الافراط وهناک التفريط وهناک الوسطية.

فـالبعض أفرط فی معنى الغيبـة لحـد الغلو فيها فصّور الغيبـة بمعنى مزايلـة الإمام عن موقع المسؤوليـة وابتعاده وإقصائه وعـدم التصـدی الفعلی ولو بسـبب الظالمين، فتصور أنها غيبـة حضور أی انقطاع الإمامة فی فترة الغيبة الكبرى وبذلک يكون الإمام (ع) والعياذ بالله قد تخلى عن ساحـة المسؤوليـة والتصـدی للولايـة الإلهيـة، فلما كان الإمام غائباً فهو منقطع ومبتعد وقاصـی عن الناس والرعية ولما كانت النيابـة الخاصـة والسـفارة منقطعـة بالأدلّـة القطعيـة فلا تمثيل للإمام، فبالتالی ليس الإمام موجوداً ولا يوجـد من يمثله وليس هناک أیّ طريق يـدل عليه ولاـ أیّ باب يُنفـذ منه إليه من هنا سـمى النائب باباً إذ منه يُنفـذ للإمام (ع) فالغيبـة تعنی انعـدام وجود الإمامـة وابتعاد الإمام عن مسؤولياته وتصـديه وبالتالی فإنّ مهام ووظائف وواجبات الإمام (ع) معطّلـة لحين ظهوره وتصـديه للقيام بها، ومن تبنى هـذا التفسـير صـار فی حيرة فی توجيه نيابـة الفقهاء فی فترة الغيبـة الكبرى وكيفيـة رسم صـلاحياتهم بعـد أن عطل بحسب مبناه دور الإمام تماماً، فذهب بعض منهم إلى الشورى وبعض إلى إجماع الأمّة وبعض إلى الضرورة والمصلحة وغيرها.

ومن الواضح أن هذا التفسير خاطىء فإنّ الإمامة والإمام لا يمكن

دعوى السفارة فی الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۱۴

انعـدامها، وهو إفراط فی تفسـير معنى الغيبـة، وهـذا المعنى الاـفراطی يُنـاقض أصل معتقـد الإماميـة بالإمامـة لأنه بالتالی يؤدی بنا هـذا التفسـير إلى وجود فترة زمنية ليس فيها إمام فإنّ آخر الأئمّة هو الحسن العسـكری (ع) وباستشـهاده انعدمت الإمامة إلى ظهور المهدی (ع) وبالتـالی ففی فترة الغيبـة الكبرى ليس هنـاک إمام يقوم بأعباء الإمامـة ومسؤولياتها، فتساوی حينئـذٍ فی تلک الفترة مع المـدارس الإسـلاميّة الأـخرى فی القول بعـدم وجود الإمامـة وكأنما أصـبحنا كالواقفيـة يعنی من وقف على إمامـة أحـد الأئمّـة (عليهم السـلام)، وبحسب هـذا القول والتفسـير نكون قد وقفنا على إمامة الحسن العسـكری (ع) ولم نقل بإمامة المهدی (ع)، إذ لا تكون إمامة المهدی إلّا فی الظهور، وهذه الفترة وهی الغيبة الكبرى خلت من أیّ حجةٍ فلا رسل فيها ولا أنبياء ولا أئمّة.

وهذا المعنى الخاطئ صوّرته بعض المذاهب الإسـلاميّة الأخرى بل بعض الكتابات فی وسطنا أيضاً حيث رسمت معنى الغيبة بما يؤدی إلى وجود هذه الفترة الخالية من الإمام (ع)، نعم لا مانع من وجود فترة ليس فيها ظهور للإمام كما هو الصـحيح فی الغيبة لكن من غير الصحيح القول بفترة لا يوجد فيها إمام.

وبالتالی أشـكل عليهم بأن هـذا المعنى يلزمه عـدم التوافق مع الحديث المروی عند الفريقين «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» («۱») بل فی روايات الفريقين ما هو أعظم من ذلک وهی رواية «من

"

دعوى السفارة فی الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۱۵

مات وليس فی عنقه بيعـة لإمام مات ميتة جاهلية» («۱») فليس عـدم معرفـة الإمام بل عـدم بيعته إذ قد يعرفه لكن لا يتضامن مع مساره أی لاـ يتضـامن مع أتبـاع أهـل الـبيت الـذين هم على منهـاج أهـل البيت بـل يتبع منهـاج غيرهم وهو فی الواقع فسـخ البيعـة مع الإمـام المعصوم، فعلى أیّ تقـدير فقـد ورد أن من مات وليس فی عنقه بيعـة للإمام فإنّه مات ميتـة جاهليـة، وبالتالی على هذا القول والتفسـير للغيبة كل من مات فی الغيبة الكبرى حيث ليس فی عنقه بيعة للإمام مات ميتة جاهلية، هذا هو لازم قولهم وهل يمكن الالتزام بذلک؟

وقـد حاول البعض الآخر التخلص من هـذا الإشـكال فصوّر الغيبـة بمعنى آخر حيث اعتقـد بأنه من غير الصـحيح تصوير انقطاع الإمامة بهذا المعنى وهو تفسير باطل وفيه زيغ فی الاعتقاد بالإمام فلا بدَّ أن يكون الإمام ناشطاً قائماً بالأمر وبأعباء المسؤولية وذلک من خلال التمثيل الرسـمی له، فصور هـذا القائل أن للإمام عناصـر تمثله فی العلن، وبالتالی فهو معنى تفريطی حيث إن هذا التفسـير يُنافی حقيقة

الغیبـة کما سیأتی، فهـذا القائل بالمعنی الثانی اعتقـد أنه إذا لم نقل بالتمثیل الرسـمی للإمام فإنّ ذلک یعنی عدم النشاط للإمام وعدم تصدیه للإمامة والمسؤولیة والاصلاح.

فلکی یحافظ هذا القائل علی الدور الفعلی للإمام لا بدَّ من تصدی الإمام مباشرة أو من یمثله، ولما کانت فترة غیبة فلیس المتصدی هو الإمام بل من یمثله سواء أکان سفیراً أم نائباً خاصاً ونحوه.

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۵۱۶

وهـذا المعنی التفریطی أیضاً باطل ومنحرف لأن النشاط والـدور الفاعل والتصـدی للإمام لا یسـتلزم أیّ بروز وإعلان فلو عـدنا لقصـة موسـی والخضـر (ع) وما یقوم به من مسؤولیات، فعندما تفارقا ولم یکن فعل الخضـر ظاهراً لأحد فهل هذا یعنی أن لیس له أدوار بعد ذلـک وأن دوره فقـط الـذی کشف عنه القرآن وإلّـا فقبـل التقائه بموسـی وبعـد فراقهما لیس له أیّ دور وهـذا واضـح البطلان فإنّ له ولغیره من رجال الغیب أدواراً ومسؤولیات لا یعلم بها إلّا الله والأئمّة.

ففی روایـة عن النبی (ص): «لو صبر النبی موسـی مع الخضـر أکثر لرأی عجـائب عظیمـة من الخضـر» («۱») فعـدم ظهور وبروز نشاط الإمام (ع) وعـدم وجود نائب خاص أو سـفیر لا یعنی الجمود وعـدم النشاط، وهـذا المعنی للأسف ارتکز خطأ عند کثیر من الکتابات الإسـلامیّة سواء من المـذاهب الأخری أم فی وسـطنا إذ ارتکز أن النشاط والحیویـة والفاعلیـة والقیام بالمسؤولیة تلازم الاعلان والبروز والظهور، ولیس کذلک فإنّه کما سیأتی من أن أجندة التنظیر فی العلوم الاستراتیجیة والسیاسیة والاجتماعیة تؤکد علی أنه کلما کانت السـریة والخفـاء أکثر کان النشاط والعمل والـدور أکثر حیویـةً وقوةً ونفوذاً واختراقاً وتأثیراً وانسـیابیةً وانـدفاعاً وسـیولةً وبلا أیّ معوق وممـانع والعکس بـالعکس، فالنشـاط یرتبط بالانجاز فی المیـدان الخارجی ولا ربط له بالظهور والاعلان، فلیس لازم النشاط الکشـف والاعلان والاعلام والهرج والمرج والصخب، فالبعض وللأسف عندما یقرأ تاریخ بعض المصلحین من

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۵۱۷

أولاد الأئمّـة (علیهم السـلام) کزید الشـهید أو یحیی بن زید (رض) وغیرهم من الثوار یحسـبون أن معنی النشاط والعمل والتغییر لا بدَّ أن یکون معلناً ومکشوفاً وإلّا کان جموداً، وهـذا من أخطاء الزیدیـة حیث اعتبروا الإمام هو من یقوم بنهضة إصـلاحیة معلنة ساخنة فی حین أن سیرة أهـل البیت (علیهم السـلام) علی عـدم ضـرورة الکشف والاعلاـن للنهضـة والتغییر والقیام بأعباء المسؤولیـة والاصـلاح وهدایة المجتمع لئلّا یمنعهم ویعرقلهم العدو عن ذلک.

وأنه بات واضـحاً إذا أراد الرواد المصـلحون الاصلاح والعمل الاصلاحی فکثیراً ما یکون فی الظل والستار والخفاء لیکونوا أکثر نشاطاً وتأثیراً فإنّ الغیبة والتستر من مصادیق التقیة ومع ذلک لم تفسر التقیة بالجمود والابتعاد وعدم ممارسة المسؤولیة.

إذن الغیبـة لا تعنی عدم الإمامة بمعنی ترک ساحة المسؤولیة والأحداث وعدم وجود الإمام، فإنّ الإمامة فی الواقع ولایة فعلیة وتصدی فعلی لهذه الرایة الکبری من نور الله تعالی ومسؤولیات الإمامة وإلّا صار المعتقد بذلک واقعیاً أو مذهباً مناقضاً لأصل الإمامة.

کما أن الغیبة لا تقتضـی لابدّیة التمثیل والتصدی العلنی والبروز لأجل قیام الإمام بمسؤولیاته ومهامه وإلّا صار المعتقد بذلک زیدیاً أو بابیاً أو مدعیاً للسفارة والنیابة الخاصة کذباً وزوراً وإنما الغیبة أمرٌ وسطی بین المعنیین فهی معنی بین عدم ظهور الإمام مع حضوره فهو موجود بین الناس لکنه غیر معروف عنـدهم بإنه الإمام فیعبر عنه بإنه غائب، فالغیبـة إذن غیبـة ظهور الإمام ولیست بمعنی عدم حضوره وهی انقطاع ظهور وتمثیل لا انقطاع إمامة أی عدم ظهور الإمام (ع) علناً وعدم

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۵۱۸

ظهور أیّ نشاط له فی العلن وعدم بروز أیّ تمثیل رسـمی له، فالانقطاع للسفارة ولیس انقطاع الإمامة، فإنّ انقطاع النیابة لا یعنی انقطاع الإمامـة، وعـدم انقطاع الإمامة وفعلیتها واسـتمرارها لا یقتضـی ولا یوجب ولا یحتم اسـتمرار النیابة والتصدی المعلن وإلّا فمن الخطأ ما فعله البعض من الربط بین انقطاع النیابـة وانقطاع الإمامة والبعض من أن فهم بالعکس اسـتمرار الإمامة بمعنی اسـتمرار النیابة، إذ هناک

عدة أنواع للتصدى لا تنحصر بالسفارة، كما أن عدم أحد أنواع التصدى لا يعنى انقطاع جميع أنواع التصدى.

وإلّا فإنّ الإمام (ع) موجود حاضر متصدى وقائم بمسؤوليات وأعباء خلافته تماماً إذ له (ع) تمام الفاعلية وتمام النشاط وتمام القيام بأعباء المسؤولية والولاية والإمامة من دون أن يكون له ظهور أو تمثيل أو نيابة.

ففى كثير من روايات أهل البيت (عليهم السلام) أن الإمام المهدى (ع) فيه سُنّة من النبى يوسف (ع) حيث كان يتكلم مع الناس ويباشرهم ويديرهم ويدبرهم وهم لا يعلمون أنه النبى يوسف (ع) بل وفى كثير من الروايات أن المهدى (ع) عند ظهوره يقول الكثير من الناس: هذا الذى كنّا نعهده، فعن سدير قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «إن فى القائم شبه من يوسف (ع)»، قلت: كأنك تذكر خبره أو غيبته؟ فقال لى: «ما تنكر من ذلك هذه الأمّة أشباه الخنازير، إن إخوة يوسف كانوا أسباطاً أولاد أنبياء، تاجروا يوسف وبايعوه وهم إخوته وهو أخوهم فلم يعرفوه حتّى قال لهم: أَنَا يُوسُفُ فما تنكر هذه الأمّة أنه يكون الله (عزوجل) فى وقت من الأوقات يريد أن يستر حجته، لقد كان يوسف (ع) إليه ملك مصر، وكان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوماً، فلو أراد الله (عزوجل) أن يعرفه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥١٩

مكانه لقدر على ذلك، والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة مسيرة تسعة أيام من بدوهم إلى مصر، فما تنكر هذه الأمّة أن يكون الله (عزوجل) يفعل بحجته ما فعل بيوسف أن يكون يسير فى أسواقهم ويطأ بسطهم وهم لا يعرفونه، حتّى يأذن الله (عزوجل) أن يعرفهم بنفسه كما أذن ليوسف حتّى قال لهم: هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ* قالُوا أَ إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قالَ أَنَا يُوسُفُ وَهذا أَخِي («١»)» («٢»).

وهذا يعنى أن له حضوراً تاماً فى ساحة الحدث والمسؤولية غاية الأمر أنه (ع) غير معروف، فالغيبة تعنى عدم علمنا ومعرفتنا به (ع) وانعدام النيابة والتمثيل لا انعدام وجوده.

وهذه مسألة عقدية مهمّة فى أحوال وشؤون الإمامة لا بدَّ من الالتفات إليها وفهمها بشكل صحيح ودقيق، فإنّ الجادة الوسطى هى جادة النجاة فلا إفراط ولا تفريط، وإلّا وقعنا فى الزيغ والانحراف وتركنا المذهب الحق مذهب أهل البيت (عليهم السلام) والعياذ بالله.

حقيقة الغيبة والظهور ...: ص: ٥١٩

قد مرَّ أن من ميزات الغيبة الكبرى للإمام (ع) هو انقطاع النيابة الخاصة والسفارة وإن للغيبة معنى وسطياً بين الحضور وبين عدم الظهور ولكن عدم ظهور الإمام هل هذا يعنى أن الإمام (ع) بعيد وغائب عن البشرية، أى هل أن معنى الغيبة يقابل الحضور أم لا، إنما الإمام حاضر دائماً فيكون معنى الغيبة مقابلًا للظهور؟

لو لاحظنا الروايات المروية فى هذا المجال من الفريقين الخاصة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٢٠

والعامة نجد أن انتهاء أمد الغيبة الكبرى يكون بالظهور وليس بالحضور فيكون معنى الغيبة فى مقابل الظهور فالغيبة تعنى الخفاء والسرية وعدم الاعلان وعدم البروز وأما الظهور فهو عدم الخفاء أى البروز والاعلان، وتقدم أن من أدلّة انقطاع النيابة الخاصة والسفارة أن نفس لفظ الغيبة يتضمن عدم التمثيل وعدم التوكيل وعدم التنويب وهذا يعنى أنه (ع) حاضر وموجود لكن ليس على نحو العلن والبروز.

ونجد هذا المعنى أيضاً فى كثير من الأدعية كدعاء الندبة «بنفسى أنت من مغيب لم يخلُ منّا» («١») وعدة فقرات فى هذا الدعاء يتضح منها أنه (ع) حاضر وإنما التأسف فى البحث عنه باعتبار غيبته، أى خفاؤه وسريته!

ومن الغريب أن هذا المعنى فهمه وحققه واكتشفه ووصل إليه بعض الباحثين الاستراتيجيين الغربيين فى حين غاب بل استهزء به وسخر

منه بعض الكتاب الإسلاميين، وما ذلك منهم إلّا لأنهم لم يفهموا معنى الغيبة وفسرّوها بتفسير خاطئ.

فهذا المعنى الخفى الدقيق الخطير للغيبة فهمه أمثال الباحث الاستراتيجى الخطير والمُنظّر الدولى فرانسوا توال الفرنسى («٢») فى كتاب

، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٢١

كتبه حول الجغرافيا السياسية للشيعة، وهذا الكتاب خطير جدّاً وقد نسخ وتُرجم للوقوف بدقة على أبحاثه لأن البحوث الاستراتيجية أشبه بالسرية، وقد ذكر هذا الباحث فى كتابه أن معنى غيبة الإمام المهدى (ع) عند الشيعة بمعنى الخفاء والسرية ليكون الإمام المهدى (ع) أنشط فى حركته وحيويته فى تدبير الأمور فى العلوم الاستراتيجية والأمنية، فإنّ السرية رمز القدرة، والدول ترى فى السرية قدرة وقوة.

فهؤلاء الكتاب وصلوا لهذه المعانى الدقيقة وراء غيبة الإمام عليه (ع) فى حين كتابات من المذاهب الإسلاميّة الأخرى تستخف بعقيدة الغيبة عند الإمامية، بل إن الكثير من الروايات والجماعات الضالة تستخف بالغيبة الكبرى بمعنى السرية الكاملة حيث لا سفارة ولا نيابة خاصة، حيث ظنوا أن معنى هذه العقيدة الضرورية عند الطائفة الإمامية من انقطاع الاتصال الرسمى المعتبر بالحجة (ع) يعنى جمود الحجة بن الحسن (ع) عن مهامه ودوره فى قيادة البشرية ومواصلة مهامها الرسالية، وأنه (ع) نائى فى أقاصى البلاد لا يتصدى للأمور وتاركاً الحبل على الغارب، بينما يعبث بالأمر قوى الطغيان البشرى، بل الحق أنه لو ترك التصدى للأمور يوماً واحداً لساخت الأرض فساداً بأهلها، ولوقعت الحروب والبلايا فى الأصعدة المختلفة على البشرية، كما قال (ع) فى التوقيع الشريف: «نحن وإن كنّا ناوين بمكاننا النائى عن مساكن الظالمين، حسب الذى أراناه الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين فى ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسقين، فإنا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٢٢

أصابكم مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون.

إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء أو اصطلمكم الأعداء فاتقوا الله (جل جلاله) وظاهرونا على انتياشكم من فتنة قد أنافت عليكم يهلك فيها من حم أجله ويحمى عنها من أدرك أمله، وهى أمارة لأزوف حركتنا ومباثتكم بأمرنا ونهينا، والله متم نوره ولو كره المشركون.

اعتصموا بالتقية! من شب نار الجاهلية، يحششها عصب أموية، يهول بها فرقة مهدية، أنا زعيم بنجاة من لم يرم فيها المواطن، وسلك فى الطعن منها السبل المرضية، إذا حل جمادى الأولى من سنتكم هذه فاعتبروا بما يحدث فيه، واستيقظوا من رقدتكم لما يكون فى الذى يليه» («١») بل هو (ع) يدبّر ويدير الأمور البشرية جميعاً عبر أساليب خفية وأدوات غيبية منتظمة تحت الستار، لكن المقرر لتلك الإدارة أن لا تظهر إلى السطح والعلن فى عصر الغيبة قبل الظهور، فالغيبة والانقطاع لا تعنى انعدام حضوره (ع)، فى الساحة الاجتماعية والسياسية البشرية بل تعنى انقطاع الاتصال من طرفنا ومن قبلنا باتجاهه (ع) لا انقطاعه هو (ع) عن التصرف فى أمورنا وأمور البشرية وفى المجتمعات المختلفة، كما قال تعالى: إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً («٢») أى يحول أمام الفساد فى الأرض وسفك الدماء.

ففى الوقت الذى يستخف بعض المسلمين بالغيبة والسرية، فإنّ أولئك الباحثين يفهمونها ويعتبرونها مصدراً للقوة والقدرة والتدبير.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٢٣

وما بيّناه من التفسير الصحيح للغيبة لا- يمنع أن له أعواناً خاصين ونشطاء بل وجهاز عمل كامل إلّا أن المهم أنه ليس له أىّ بروز وإعلان وتمثيل رسمى فى الظاهر وإنما تمام العمل والنشاط والتدبير فى السر والخفاء وليس لجهازه وأعوانه صلاحيات الاعلان والبروز والظهور، لذا فمن يدعى ذلك فى العلن فهو كذّاب ودجّال.

يقول أولئك الباحثون الستراتيجيون: إن السرية فى العلوم الستراتيجية والعلوم السياسية والعلوم العسكرية والعلوم الأمنية هى تمام القدرة، فكلما قلت السرية والخفاء كلما قلت القدرة والمقدرة والقوة، لأن الذى هو فى السر والخفاء يتواجد ويعيش فى سياج وحماية

أمنيـة فلا يمكن لأىّ أحـد أن يصل إليه فليست القضـية حينئذٍ فيزيائية لوجستية حسـية بدنية وإنما هى خفاء وسـرية بمعنى عدم إمكان معرفة وكشف المختفى فلا يمكن عرقلته أو قطع الطريق عليه أو مواجهته أو مصادمته أو الحول بينه وبين تدبيراته.

شواهد التصدى للإمامة الفعلية ...: ص: ٥٢٣

وعليه فمن الخطأ أن تفسـر الغيبـة فى مقابل الحضور لأن معناها حينئـذٍ أن الإمام (ع) فى فترة الغيبـة الكبرى غير حاضـر فما يـذكر من تعابير نحو عصـر الحضور أو زمن الحضور وغيرها تعابير خاطئة، فإنّ الإمام (ع) حاضر بيننا ولم تخل منه الديار وإن كان غائباً إذ كونه غائباً يعنى مستتراً ومختفياً وإلّا فالكثير من روايات أهل البيت (عليهم السلام) تذكر هذا الأمر على أنه واضح وضرورى وأنه (ع) يعيش فى وسط وكبـد الحـدث، ففى روايات الفريقين فى بيان وتفسـير ليلـة القـدر أن هناك برامج وملفات لإدارة الأرض من صـغير الأمور وكبيرها تتنزل عليه من إحصائيات الأرزاق والآجال وإحصائيات البركات التى تزدهر بها الأرض والآفات.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٢٤

وهـذه الاحصائيـات لاـ تـدرى حتّى الـدول العظمى أىّ تـأثير وأثر لمحاسـبات مثـل هـذه الاحصائيـات، فإنّ علم الاحصائيات بات من الواضح أنه هو الذى يرسم استراتيجية المسـتقبل، فكلما كانت الدول أكبر وأعظم كانت أقدر وأكثر اسـتطاعة لأن ترسم لنفسها تدابير أكثر.

وهـذه الملفات والبرامـج التى تنزل على ولى الأمر الإمام المهـدى (ع) كل عام فى ليلة القدر هى ملفات ومعلومات مُذهلة هائلة مهولة إلى الآـن ليست هى فى الوعى العلمى للبشـر والتى يعبر عنها فى العلوم الاستراتيجيـة أو علم القيادة والإدارة بالتـدبير وإمساك الأرض باليـد واختراق الأنظمـة، وهذا المعنى رواه الفريقان من الشـيعة والسُـنّة فى بيان ليلة القدر («١») وفى ذيل سورة الـدخان وسورة النحل وقد ذكرنا بيان ذلك فى كتاب الإمامة الإلهية («٢») كما ذكرنا فيه مقتطفات من أقوال الفريقين.

وهناك آيات أخرى دالة على ذلك كقوله تعالى: وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّی

،،،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٢٥

جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَةً («١») فلم يعبر بالرسول أو النبى بل قال: إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَـةً فهى معادلـة كلية دائمية دائبة إلى نهاية حيـاة البشـرية فى الأـرض، فخلافـة الله على الاـرض ابتـدأت من أول الحيـاة للبشـرية إلى انتهائهـا فحجـة الله على الأرض كما ورد فى الروايات قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق («٢»)، وأوّل مهمّة بيّنها الله للخليفة والحجة على الأرض هى دفع الإفساد والقيام بالاصـلاح فأحد تسـميات الإمامة فى القرآن هو الخليفة لأنه يستخلف فى التدبير والتصرف فى الأمور فهو عنده قدرة التدبير، ومن ثَمَّ أورد تعالى أوّل تفسـير لمعنى الخليفـة قول الملائكة بعد ذلك: قالُوا أَتَجْعَلُ فِیها مَنْ یُفْسِدُ فِیها وَیَسْـفِكُ الدِّماءَ («٣») ذكر اعتراض الملائكة لأنه يريـد أن يتحدّث عن إحـدى وظائف الخليفـة المهمـة فبيّن شأن ومقام وصـلاحيات الخليفة من خلال الجواب على اعتراض الملائكة بالافساد فى الأرض وسـفك الدماء إذ قال تعالى: قالَ إِنِّی أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ يعنى هذان المحذوران اللذان يخشى الملائكة منهما يتم تفاديهمـا ودرؤهمـا وعلاجهما بتوسط الخليفـة فى الأرض كأبرز مهمّـة له فيها وهى دفع الافساد والحيلولـة دون سـفك الـدماء والقيام بالاصلاح.

والمقصود من الافسـاد أى الفسـاد الأكثر بأن تكون نسـبة الفساد إلى الخير والصـلاح أكثر من (٥٠٪) وإلّـا لو كانت (٥٠٪) أو أقل لم تصلح كمادة نقض للملائكة إذ سيكون الخير والاصلاح هو الأكثر.

فالقرآن الكريم يذكر لنا أن الخليفة هو الذى يحول دون الفساد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٢٦

الأکثر فی الأرض سواء أکان ذلک الفساد أخلاقیاً أم صحیاً أم سیاسیاً أم إداریاً أم زراعیاً ... بل إنه سیعمل علی عمارة الأرض وإصلاحها فی جوانب شتی فیحول بین الأنظمة المتحکمة المتغلبة علی البشر وبین وقوع الفساد فإنّ له قدرة إدارة الأرض لأن الله استخلفه فیها وعلمه الأسماء وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ کُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَی الْمَلائِکَةِ فَقالَ أَنْبِئُونِی بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ («۱») فهذا العلم الذی یعطیه الله (عزوجل) للخلیفة یمکنه من إدارة وتدبیر الأرض، وإن هذه الإدارة والتدبیر خفیة سریة وهی مصدر القوة والقدرة لأجل الاصلاح النسبی وإلّا فإنّ الاصلاح التام الکامل سیکون فی الظهور ودولة المهدی (ع) أما الاصلاح النسبی فهو الواقع والممارس منذ آدم (ع) إلی نبینا الخاتم (ص) وإلی أئمّة أهل البیت (علیهم السلام) فإنّ هذه النسبة من الاصلاح والتدبیر کانت لدی کل الأئمّة (علیهم السلام) وإن لم تکن معلنة.

فالباری تعالی یقول للنبی إبراهیم (ع): قالَ إِنِّی جاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِماماً («۲») مع أن التاریخ لم یحدّثنا أن النبی إبراهیم (ع) قد ملک العراق أو الشام أو فلسطین أو مصر أو الجزیرة العربیة، وهکذا أخبرنا الباری تعالی فی القرآن أن یعقوب وإسحاق جعلهما الله أئمّة یهدون بأمره وَجَعَلْناهُ هُدیً لِبَنِی إِسْرائِیلَ* وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً یَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَکانُوا بِآیاتِنا یُوقِنُونَ («۳») وأیضاً لم یحدّثنا التاریخ أبداً عن أنهما تصدیا إلی ملک فی العلن.

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۵۲۷

فإنّ ابراهیم ویعقوب وإسحاق (علیهم السلام) نُسِبت لهم الإمامة والقیادة والتدبیر والاصلاح مع أنهم کانوا یعیشون کالرعیة لأنظمة أخری حسب صورة ظاهر السطح، ولکن التاریخ سجل لنا أن النبی إبراهیم (ع) استطاع أن یُبّدل عقائد وعبادة شعوب وأقوام الشرق الأوسط من عباد وثنیة إلی ملّة توحیدیة حنیفیة.

ومعلوم ومذکور فی العلوم الاجتماعیة والعلوم السیاسیة والعلوم الحضاریة والعلوم الاستراتیجیة أن تبدیل العقیدة والدین لیس من قدرة الحکومات أبداً لأنّ العقیدة حکومة فوق الحکومات، فکیف استطاع إبراهیم (ع) کفرد تبدیل عقائد تلک الأمم ولم تکن وسائط إعلام کما للغربیین الآن ولا غیر ذلک، وقد نجد فی التاریخ الحدیث دولًا عظمی کالاتحاد السوفیتی لم یستطع تغییر دین وعقائد بعض الدول الإسلامیّة مثل أوزبکستان وترکمانستان وأذربیجان فبکل ما أوتی من جبروت وغطرسة وسفک دماء وإرهاب وإعلام... خلال مائة سنة حکم الروس هذه الدول بالتعسف والدم والإرهاب لم یتمکّنوا من تغییر الدین والاعتقاد.

وما قام به إبراهیم (ع) لیس صدفة أو اتفاقاً أو فجأة أو طفرة وإنما هناک شبکة وإدارة خطیرة کان یتحکم فیها النبی إبراهیم فی تلک الشعوب من خلال ذلک استطاع أن یقیم وینجز التغییر العظیم، وهکذا النبی یعقوب أو النبی إسحاق (ع).

فالقرآن الکریم یطلعنا علی أن الإمامة لها جهاز خفی نعرفه لو تأملنا سورة الکهف وقصة الخضر وموسی (ع) فالقرآن یرید أن یبیّن لنا أن الخضر کان فی ضمن مجموعة خفیة لدیها مأموریات ومهمّات

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۵۲۸

وأدوار لا تنافی ضروریات عقائد وأحکام الشریعة، قال تعالی: فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَیْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً («۱») فإنّ تلک الأدوار والمأموریات کما حدّث الخضر النبی موسی أنها علی قسطاس وصراط الشریعة وذلک عندما اعترض علیه النبی موسی (ع) وحاججه بظواهر الشریعة کما مرَّ ذلک.

الغیبة والتقیة وقمّة النشاط ...: ص: ۵۲۸

فإنّ الخضر کان یقوم بتلک الأدوار وفق الموازین الشرعیة ولکن فی السر والخفاء من دون أن یعوقه الظالمون أو المفسدون أو أهل البغی والفجور، فالخفاء والسریة عامل أمنی مصیری مهم خطیر وهو أحد المعانی الصحیحة للتقیة فالغیبة من مصادیق التقیة، وهو من معانی التقیة المغفول عنه للأسف، فإنّ الإنسان لما یتقی یعنی عنده برنامج أمنی وبرنامج ستاری خفی، ولیس معنی التقیة أنه یترک

المسؤولیة ویلتزم الجمود وعدم النشاط والانکفاء والتقوقع، فهذا معنی خاطئ للتقیة، بل التقیة تعنی مفهوماً أمنیاً وإخفاء المسیرة والمسار والقدرة والنشاط والحرکة التی یقوم بها لیکون بفضل ذلک الخفاء والسریة فی قمة النشاط والحرکة والحیویة، إذ الخفاء والسریة نوع من التقیة تکون کدرع حصین لحیویة النشاط والحرکة والقیام بالمهام والمسؤولیات والواجبات علی أتم وجه فی مأمن ومنأی عن العدو.

وإلّا لو کانت البرامج مکشوفة علنیة فمن السهل للعدو عرقلة تلک البرامج.

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۵۲۹

فهذه مقولات متشابکة مختلطة فی معانی التقیة والغیبة قد تعمی الحقیقة إن لم نعمل الدقة فیها، فقد تفهم التقیة بعدم العمل وقد تفهم الغیبة بعدم الحضور والوجود أصلًا، وإلّا فلا بدَّ من العلن، أی قد یخفی کیف یمکن تصویر تقیة وغیبة مع عمل ونشاط وقیام بتمام المهام والمسؤولیات.

وهذا البیان من الله فی سورة الکهف عن الخضر وأن هناک مجموعة إلاهیة عاملة لکی یبیّن الباری تعالی أن للإمام فی الأرض مثل هذه الأعوان والأنصار، فلیس معنی سریة وخفاء وغیبة الإمام عدم الحضور وأنه نائی بعید قاصی ولیس موجوداً فی الساحة وفی الحدث، بل بمعنی عدم الظهور، فالغیبة لا بدَّ من فهمها فی مقابل الظهور لا فی مقابل الحضور وأن تعبیر زمن الحضور تعبیر خاطئ، فإنّه لا یوجد زمن حضور وزمن غیر حضور، بل حضور الإمام دائم، فالصحیح عقائدیاً أن نطلق علیه زمن الظهور فی قبال زمن الغیبة، بمعنی أنه (ع) موجود بین أظهرنا وفی کبد وساحة الحدث إلّا أنه لیس بظاهر بل مستتر مُختف غائب.

ومن خلال ذلک تبطل الکثیر من الإشکالات المثارة من المدارس والمذاهب الإسلامیّة الأخری ضد مدرسة أهل البیت حیث فسروا وفهموا الغیبة فی مقابل الحضور فقالوا بما أنه غائب أی لیس بحاضر فکیف یکون إماماً ویتحمل مسؤولیاته ویدبر أمور الأمّة؟

اتّضح أن الإشکال مبتنی علی تصویر خاطئ لمعنی الغیبة، فلیس الإمام غیر حاضر بل هو حاضر وموجود وإلّا لساخت الأرض بأهلها («۱»).

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۵۳۰

لولا إدارة الإمام لشؤون الحیاة علی الأرض لساخت ...: ص: ۵۳۰

ومعنی لولا الحجة لساخت الأرض لیس إعجازاً محضاً وجبراً تکوینیاً إذ أبی الله إلّا أن یجری الأمور بأسبابها، بل المعنی الصحیح أنه لولا تدبیر الحجة من خلال المعلومات التی تتنزل علیه من الله (عزوجل) لکانت الأرض تنزلق فی الفساد فی مختلف المجالات الصحیة والبیئیة وغیرها کانتشار الأوبئة والأمراض الفتاکة التی تفتک بالبشریة، فکثیر من الأنظمة والقوی العظمی لا تستطیع أن تحول دون انتشار وباء یعصف بکل البشریة بل هم غارقون فی غفلتهم مهما تطورت علومهم وآلیاتهم الصحیة والمختبریة وغیرها فتلک الأنواع من الفساد کأنما جیوش لا یستطیعون التصدی لها، وإنما المتصدی والمانع دون وقوع ذلک الفساد الکبیر فی مختلف المجالات البیئیة والصحیة والزراعیة والحیوانیة والأخلاقیة والحقوقیة والسیاسیة والأمنیة و ... إنما هو الإمام، فهو الحائل دون قطع النسل البشری ووقوع الکوارث الزراعیة والحیوانیة بل وحتّی یحول دون انقطاع النسل الهوائی أی فی مقابل التلوث الهوائی، فهناک مخاطر عجیبة تحدق بالبشریة وأولئک مهما أوتوا من علوم فهم یجربونها دون العلم بعواقبها ولا یلتفتون للوازمها کالطفل الذی یفجر شیئاً لا یعلم تداعیاته ونتائجه، فنلاحظهم رغم کل ذلک یعانون ویهولون لأنفسهم أعمالهم وما یقومون به من معالجات غیر مجدیة لبعض المشاکل من ثقوب الأوزون والتلوث البیئی والانقراض وغیرها من التداعیات

الخطیرة ولا یعلمون کیف علاجها الواقعی.

إذن لا بدَّ لله تعالی من حاکم یحفظ أمن البشر الصحی

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۵۳۱

والاقتصادی والأخلاقی والخلقی، ضد الأعمال والأسالیب الشیطانیة من خلال التدبیر والإدارة، بحیث لا یمکن للعدو إعاقة إدارته وتدبیره، لذا لا بدَّ أن تکون تلک التدابیر ونحوها خفیة سریة فی الأرض، فیکون ذلک الحاکم المدبر خفیاً مستتراً.

فهناک آثار وظواهر عجیبة فی الغرب یشاهدونها ولا یعلمون أسبابها ولا کیفیة علاجها مثلًا انتشار الإسلام فی الغرب وأمیرکا وأماکن کثیرة وذلک من خلال إحصائیات سجلت فی العام الماضی والذی قبله، فإنّها إحصائیات مذهلة، ظنوا أن السبب بعض الفضائیات الإسلامیّة فأغلقوها ولم یکن ذلک منطقیاً فإنّ بعض الفضائیات علی قلتها ما هو تأثیرها فی قبال سیل هائل جارف وأسطول عظیم مهول من الاعلام من فضائیات وغیرها الموظفة للتأثیر علی الشعب الغربی، ثمّ ظنوا أن السبب هو الجالیات الإسلامیّة القلیلة المغلوب علی أمرها فضایقوها وقللوها قدر ما استطاعوا ولم تحل معضلتهم وهی انتشار الإسلام، فمهما سعوا وعملوا لن یکتشفوا سبب ذلک لأنه لیس بالأمر المکشوف کما یتصورون وإنما هو من تدبیر الإمام وجهازه وأعوانه فی السر والخفاء لاصلاح الأرض ودفع فسادها.

جهاز تدبیر الإمام ...: ص: ۵۳۱

کما تقدم فإنّ جهاز تدبیر الإمام لا ینحصر بالنواب والسفراء کی یتوهم متوهم أنه بانقطاع السفارة والنیابة الخاصة یتعطل تدبیر الإمام ونشاطه وإنما الأمر أوسع من ذلک.

فإنّ من الأمر الظاهر الذی لا یتوقف علی ظهور الإمام هناک جهاز

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۵۳۲

عام وهم النواب بالنیابة العامة والفقهاء والإمام یرعاهم ویتابعهم ویشرف علی عملهم وإن لم یکن الفقهاء یرون الإمام کما أن هناک جهازاً خفیاً من الملائکة وغیرها قال تعالی: وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِکَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ («۱») فإنّ ذلک أمرٌ منه تعالی للجمیع دون استثناء، فالمطلوب من کل الخلق السجود والخضوع والإطاعة والتبعیة لخلیفة الله فی الأرض، والقرآن الکریم تعرض فی سبع سور («۲») إلی أن الملائکة خاضعون متبعون للخلیفة ولم یُستثن أحد من الملائکة، والذی یعنی شمول الجمیع بأمر الطاعة والخضوع فحتّی جبرائیل وإسرافیل ومیکائیل وعزرائیل ودردائیل

ومالک خازن النار ورضوان خازن الجنّة وجمیع الملائکة المقربین أو غیر المقربین.

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۵۳۳

قال تعالی: وَالنَّاشِطاتِ نَشْطاً («۱»)، فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً («۲») فالقرآن الکریم یستعرض الکثیر من القدرات التکوینیة فی عدة آیات ثمّ یعزوها ویسندها إلی الملائکة علی اختلافهم وتنوعهم ثمّ أمرهم جمیعاً بالسجود لآدم (ع) أی لخلیفة الله فی الأرض، فالمراد من المأمور بالسجود کل جموع وقبائل الملائکة عظیمهم وبسیطهم مقربهم وغیره، والمراد بالخلیفة لیس فقط آدم، بل جمیع الأنبیاء والأوصیاء، أی کل من تؤول إلیه الولایة فیکون السجود والخضوع والانقیاد بأمر الله للملائکة جمیعاً لآدم ونوح وإبراهیم ومحمّد (ص) وعلی بن أبی طالب (ع) والحسن والحسین (ع) وللخلف الإمام المهدی (ع)، فالمراد من الخلیفة الذی یستخلفه الله وهو الوالی الذی قلنا أن الله بیّن أبرز مهامه فی الأرض وهی دفع الافساد وإقامة الصلاح وأن الله قد رسم وعیّن لولیه جهاز عمله العظیم بهندسةٍ متقنةٍ فکما بینّا هندسة اختیار الفقهاء لارتباط الإمام بالناس کذلک له تعالی هندسة عظیمة فی ترتیب وتنظیم جهاز الإمام الخفی فإنّه تعالی أتبع الملائکة لخلیفته فی الأرض وجعله والیاً علیهم لأن علمه یفوق علمهم إذ قال تعالی: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ کُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَی الْمَلائِکَةِ فَقالَ أَنْبِئُونِی بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ* قالُوا سُبْحانَکَ لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا إِنَّکَ أَنْتَ الْعَلِیمُ الْحَکِیمُ* قالَ یا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَکُمْ إِنِّی أَعْلَمُ غَیْبَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ

وَأَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَما کُنْتُمْ تَکْتُمُونَ («۳») فمنیکون ذا علم أکثر یکون صاحب قدرة أکبر، فتدبیر خلیفة الله فی الأرض بالعلم الذی

يصله ويستلمه من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۳۴

الله تعالى وأن ذلك التدبير من الإمام ينفذه ويمرّره عبر جهاز خاص ليس من البشر فقط، كما يستعرض ذلك لنا القرآن الكريم فى سورة الكهف، إذ هو مطاع من كل مخلوق قال تعالى: وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّی خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ* فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ («۱») فلم يقل: فاسجدوا بل قال: فَقَعُوا فهو أمرٌ انضباطى معجل سريع، أما فاسجدوا ففيه شيء من التراخى.

فهذه القدرة لخليفة الله فى الأرض وآدم (ع) أوّل نموذج فى سلسلة أولياء وخلفاء الله الذين يعملون لاصلاح الأرض على رأس جهاز خاص من جميع الخلق.

وبهذا تندفع الكثير من الإشكالات والاعتراضات على جملة من عقائد الإمامية من الغيبة وغيرها والتى منها أن على بن أبى طالب (ع) كيف يكون خليفة الله فى الأرض وهو جالس فى بيته خمساً وعشرين سنة، فقد اتضح أن عمل خليفة الله فى إصلاح الأرض ليس موقوفاً على توليه السلطة والحكم فى الظاهر والسطح المعلن وإنما للإمام أنماط وأشكال من الحكومات يديرها لاصلاح الأرض ودفع الافساد، ومن أعظم أساليب النفوذ والحكومات التى يديرها هى الحكومات الخفية، فللإمام تدبيرات سرية خفية لم يطلع عليها ولم يفهمها أصحاب العقول الصغيرة والنظرة الضيقة فرأوا أنه (ع) جليس البيت خمساً وعشرين سنة.

ونفس الإشكال أوردوه على الإمام موسى بن جعفر (ع) وهو فى السجن والجواب بات واضحاً فللإمام تدبيرات وفق ما بيّناه وهكذا فى الرسول (ص) إذ نقرأ فى دعاء الندبة: «أوطأته مشارق الأرض

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۳۵

ومغاربها» («۱») فمع أن الرسول (ص) والأئمة (عليهم السلام) لم تتجاوز أسفارهم الشام والعراق والجزيرة بشكل عام فكيف وطأوا مشارق الأرض ومغاربها؟

وما ذلك إلّا بتدبيرات خفية لهم (عليهم السلام)، فالرسول حتّى قبل بعثته كان نبياً وإماماً فإنّ نبوة وإمامة الرسول لم تتأخر إلى سن الأربعين، نعم بعثته الرسمية كرسول تأخرت إلى الأربعين، فلا تخلو الأرض من الإمامة فإنّ النبى والإمام وطأ مشارق ومغارب الأرض ليس فى أسفاره وتنقلاته المتعارفة عندنا، وإنما ذلك بتدبيراتهم ونحوها فى موارد طى الأرض ونحو ذلك.

معنى أعمق للغيبة ...: ص: ۵۳۵

فعندما نقول الغيبة مقابل الظهور يعنى أن فى فترة الغيبة لا بدَّ أن تكون جميع عناصر جهاز الإمام غير ظاهرة أى سرية مخفية فلا نغلو فى معنى الغيبة وانقطاع النيابة الخاصة، فلا يأتى متقمص مُنتحل كذاب دجال مزور ذو ألاعيب يدعى التمثيل الرسمى للإمام وأنه من شبكته

الأمنية أو جهازه التدبيرى أو غير ذلك، فإنّ ذلك ينافى الغيبة ويخالف السرية والخفاء، إذ لا نتصور أنه عنصر أمنى إلهى وليس أمناً بشرياً ويكشف السر الإلهى إذ كونه من جهاز الإمام السرى سراً إلهياً وأن كشفه أوّل الدجل والكذب، فإنّ هؤلاء الأوتاد أو الأبدال ونحوهم لو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۳۶

شم منهم رائحة النشاط الإلهى العلنى أتاهم عزرائيل وأطلق عليهم رصاصة الموت، أى نزع أرواحهم، فالتاريخ يحدّثنا عن كثير من الأوتاد والأبدال فما أن حصلت نوع من الريبة حوله يأتيه الأجل بسرعة، لم ذلك؟ لأن ذلك تصفية وهى مطلوبة وحالة طبيعية فى طبيعة النظام الأمنى، فأىّ عنصر يبرز ويظهر لا بدَّ من تصفيته، لذا فالذى يدعى أنه من جهاز الإمام أو له تمثيل رسمى من الإمام ونحو

ذلك فهو أوّل الدجل لمخالفته السرية إذ لا يتصور الخفاء مع العلن.

فمع أن للإمام دوائر وشعباً إدارية مختلفة وجهاز عمل وتدبير كامل عجزت الدول العظمى كالعبّاسية والأموية عن اكتشاف فردٍ أو عنصر منه لأن مقتضى عمله السرية.

وهكذا النبى موسى (ع) عندما أراد أن يلتقى مع الخضر فلما كان الخضر من عناصر هذه الشبكة السرية لم يلتق به فى البيت الفلانى أو المكان الفلانى أى لم يكن موعده معه موعداً وفق الموازين المتعارفة وإنما أعطاه الله شفرتين لمعرفته ذكرت شفرة فى القرآن وذكرت الأخرى فى الروايات، فالأولى: فَلَمَّا جاوَزا قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَباً* قالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ الْحُوتَ وَما أَنْسانِيهُ إِلَّا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِى الْبَحْرِ عَجَباً* قالَ ذلِكَ ما كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلى آثارِهِما قَصَصاً («١») فالعلامة أن يضيع منه السمك فالله تعالى قال لموسى (ع) إذا ضاع منك السمك ستلقى العنصر الإلهى فى الشبكة الخفية.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٣٧

والعلامة الثانية أن ذلك العنصر يكون مستلقياً ومغطى بلحاف والنبى (ع) لما وجد هاتين العلامتين المنحصرتين رأى الخضر فقال: هَلْ أَتَّبِعُكَ وبدأت القصة.

فموسى (ع) نبى من أولى العزم لم يستأمنه الله إلّا مع إعمال تلك الدقة الأمنية الاستتارية لأن الخضر كان فى ضمن شبكة أمنية خطيرة مخفية وهذه القضايا الأمنية الخطيرة هى سر الله التى عجزت عنه الدول العظمى فلم يتمكنوا من اختراقها لشدة نظمها وخفائها وصعوبة تدبيرها.

وقد تقدم وبيّنا أن كل ذلك من الخضر لم يكن ليتجاوز الضوابط والضروريات واعتراض النبى موسى (ع) إنما هو لإعمال القواعد الرقابية.

فإذا كان الله لا يكشف أحد أفراد تلك الشبكة السرية لنبى من أولى العزم، بل وبعد ما عرفه ورافقه لم يستطع الاستمرار قالَ هذا فِراقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً («١») أى انقطع الاتصال بين النبى وبين الخضر وعادت السرية التامة، فإذا كان ذلك مع موسى (ع) فكيف بآحاد الناس والعاديين منهم، فالقرآن الكريم يقول نبى من أولى عزم لم يعرف فرداً من الشبكة السرية إلّا بشفرتين ولم تدم مرافقتهما

وانقطع الاتصال وعادت السرية، فكيف نقبل ونتصور أن يأتى إنسان عادى وفرد بشرى يدّعى أنه من الشبكة السرية، فلنتعظ ولنأخذ العبر والدروس من القرآن بأنه لا كشف للشبكة السرية فهى سر الله الأعظم ولا ننخدع بألاعيب وتفاهات المغرضين فإنّ أولئك دجالون مزورون

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٣٨

مسيئون قال تعالى: ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤُا السُّواى أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ وَكانُوا بِها يَسْتَهْزِؤُنَ («١») فمن يحاول الدخول من الدجالين على خط خطير وشبكة أمنية سرية أخفاها الله ويكون دخولكم بدعاوى باطلة مغرضة أولئك مصيرهم الهاوية ومنزلقات خطيرة عجيبة.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٤١

الفصل التاسع: التوقيت والظهور ... ص: ٥٤١

كيف ننصر الإمام المهدى (ع ...): ص: ٥٤١

المؤمنون بمقتضى إيمانهم واتّباعهم لأهل البيت (عليهم السلام) ينجذبون ويساهمون فى نصرة الإمام المهدى (ع) وينبغى أن يعلم أن الطريق الوحيد لنصرة الإمام (ع) هو نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، لأن الظهور هو إعلان مشروع الإمام المهدى (ع) من قبله (ع) بشكل علنى أمام البشرية، فإذا كانت البشرية كلها عاصية ومتمردة على مشروع الإمام (ع)، فهل يمكن للإمام (ع) أن ينتصر؟

مما لا شكّ فيه أن البشرية إذا كانت متمرّدة على مشروع الإمام لا يمكن للإمام (ع) حينئذٍ أن ينتصر، لأن الظهور من سنن الله تعالى وأنه تعالى أبى إلّا أن يجرى الأمور بأسبابها وليس بالإعجاز فقط ومحض الغيب، كما بيّن ذلك فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ («١»).

فإنّ الله تعالى كتب لدولة العدل أن تقام على الأرض لكن متى توفرت الشرائط والمعدات لذلك، وهذه توفرها البشرية بأن تستعد وتتقبل ذلك وتقوم به ومن أهم ذلك نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) والقيام به بشكله الصحيح وإلّا استمر تأخير إقامة تلك الدولة.

وهناك عدّة روايات يظهر منها أن ظهور وإقامة دولة العدل ودولة أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) كان مقدّراً فى زمن الإمام الحسين (ع) وكذا فى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٤٢

زمن الصادق (ع) أو الكاظم (ع) («١»)، ولكن بدا لله تعالى تأخير ذلك، لأن أتباع أهل البيت (عليهم السلام) توانوا فى القيام بالدور المناسب، وما ذلك إلّا لأن الظهور ليس أمراً جبرياً ولا تفويضياً بل هو أمر بين أمرين، فإنّ قاعدة الأمر بين أمرين جارية حتّى فى الفعل الاجتماعى والحضارى والسياسى.

وعليه فلما كان الأمر كذلك فلا نتوقع الظهور وقيام دولة الحق مع عدم النصرة وأن النصرة له (ع) لا بدَّ أن تكون من الأفراد ومن المجتمعات والدول ولا نتصور حصول النصرة له من الأفراد والمجتمعات والدول إلّا إذا انتشر الاعتقاد بمشروع ومنهاج أهل البيت (عليهم السلام) وهو مشروع الظهور ومشروع الإمام المهدى (ع).

وقد ورد فى الدعاء: «مؤمن بإيابكم، مصدق برجعتكم، منتظر لأمركم، مرتقب لدولتكم» («٢»)، فإنّ هذا ترتب تصاعدى، مؤمن، ثمّ مصدّق، ثمّ منتظر، ثمّ مترقّب، ولكل درجة ومرتبة من هذه العناوين شرائط ووظائف خاصة كما له مفهومه الخاص، فالمنتظر هو الذى يباشر العمل أى من يقوم بإيجاد مقدمات تتوقف عليها تحقيق نتيجة معينة، والمترقب هو من أنجز العمل ووفر وحقق ما مطلوب منه كمقدمات لذلك العمل ولم يبقَ له إلّا الحصول على هدفه وأخذ النتيجة.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٤٣

فإذا كنّا منتظرين لظهور الأمر وتحققه لا بدَّ من تحمل المسؤولية والعمل على تحقق مقدمات الظهور وهى نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) لنكون بعد ذلك مترقبين للظهور وإقامة دولة العدل والحق، فالانتظار نوع من التفاعل مع عقيدة الظهور وعقيدة إمامة الإمام المهدى وليس إبقاؤها عقيدة تجريدية بل لا بدَّ من تفعيل تلك العقيدة من خلال تفاعل الإنسان بأن عنده مشروع مهدوى.

فإنّ عقائد أهل البيت (عليهم السلام) دوماً واستمراراً تترجم بمشاريع عملية ميدانية اجتماعية سياسية وليست عقائد أهل البيت عقائد تجريدية تظل فى السطور والكتب وتحمل فى القلوب دون تفعيلها وليست هى عقيدة فردية يعيشها الفرد فى نفسه أو فى ظرفه وميدانه الخاص وإنما هى عقائد تقتضى الارتباط بالمجتمع وتحمل المسؤولية بالموقف السياسى والاجتماعى فهى عقائد لها تداعيات وتوجهات وتأثيرات خارجية فعلية، فمثلًا العقيدة بالإمام الحسين (ع) تعنى تحمل مسؤولية النهى عن المنكر الاجتماعى والنهى عن المنكر السياسى والنهى عن المنكر المالى وهكذا...

وكذا تحمل مسؤولية الأمر بالمعروف الاجتماعى والسياسى والمالى و...

لذلك تقول بعض الدراسات الغربية: إن عقيدة الإمام الحسين عقيدة خطرة لأنها تمنع وتمانع وتقاوم الذوبان فى الثقافات الأخرى فإنّ

هذه العقيدة فيها خصائص وصفات تمنع التأثر بالغير حيث إن كل المسلمين ذابوا فى الغرب إلّا أتباع أهل البيت (عليهم السلام) وقد تقدّم بيان هذا المطلب والسبب الرئيسى هو الاعتقاد بالإمام الحسين (ع)

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۵۴۴

ووجود المرجعيات الدينية المتعاقبة الحاملة لهذا الفكر والناشرة والعاملة به، فهو منهج مفعل وعقائد وثقافة تطبيقية لا يمكن القفز عليها، لذا فهى مبادئ غير قابلة للتأثر بالغير لأنها مبادئ عملية تطبيقية.

إذاً مشروع الإمام الحسين (ع) خطر عليهم ويقلقهم لأنه مشروع حيوى ميدانى.

وهكذا الكلام فى العقيدة بالإمام المهدى (ع) فهى إحدى عقائد مدرسة أهل البيت المهمّة وعموم المسلمين، فليست هى عقيدة قلبية بين الفرد ونفسه أو تبقى حبيسة السطور وإنما هى عقيدة فعلية عملية اجتماعية لها تداعياتها وتموجاتها التى تبنى صرح الدولة الإسلاميّة الصحيحة المستقيمة وفى نفس الوقت تهدم كل مخططات الكفر والكافرين.

وقد ذكرنا سابقاً أن هناك كتاباً خطيراً للخبير والباحث الستراتيجى فرانسوا توال باسم الجغرافية السياسية للشيعة إذ يتعرّض فيه لعقيدة الإمام المهدى (ع) ويقول فيه: (إن عقيدة الإمام المهدى عند الشيعة ليست عقيدة تجريدية جمودية بل هى عقيدة مشروع دولى عولمى اممى) ويضيف هذا الكاتب القول: (والمشكلة أن هذا الطموح الخطير لا نجده فى أىّ ملّة ولا نحلة ولا جماعة أخرى) ثمّ يحذّر بالقول: (فلذلك يجب على المراقبين الدوليين أن يلتفتوا إلى خطورة هذه العقيدة فإنّها ليست عقيدة وحسب، بل هى مشروع عالمى متكامل. لاسيّما أن هذا المشروع أكبر شعار لكل مؤمن بالعدالة وهو العدالة المطلقة)، ومعلوم أن العدالة هى أنشودة كل البشرية على طول التاريخ، إذ مذهب أهل البيت يحمل شعار العدالة المطلقة وينفى العرقية والعشائرية والتمييز الطبقى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۵۴۵

والاجتماعى ... والمقياس هو: «كلكم لآدم وآدم من تراب» («١»)، و إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ («٢») وهذه ليست موجودة فى المدارس الإسلاميّة، الأخرى بل ولا الملل والنحل الأخرى.

إذاً نحن لا بدَّ أن نتحمّل المسؤولية إذا كنّا ننتظر الظهور، وذلك بأن نسعى للاعداد للظهور وهذا الإعداد لا يكون إلّا بوسيلة وحيدة وهى الأولى والأخيرة فى تحقيق الظهور وهى نشر مذهب وعقائد أهل البيت، لأن نشر مذهب أهل البيت يعنى نشر شروط وقواعد العدل ونظم العدل الحقيقى وكيفية برمجة العدل والعدالة والحرية والقسط والقسطاس فإنّ أبرز مهام الإمام (ع) عند ظهوره ونهضته وإقامة دولته هى أن يملأ الأرض قسطاً وعدلًا.

فإنّ هذه الميزات هى من خصائص ومنهاج آبائه وأجداده الأئمّة الطاهرين (عليهم السلام) وهنا أكبر برهان قانونى واجتماعى على كون نشر مذهب أهل البيت هو طريق الإعداد للظهور حيث يقول علماء القانون وعلماء الاجتماع وعلماء العلوم السياسية الأكاديمية أنه إذا اريد تطبيق نظام معيّن وإقامته على الواقع الخارجى فلا بدَّ أوّلًا وفى الدرجة الأساس من تثقيف المجتمع على تعاليم ذلك النظام، بل لا بدَّ من التشدد فى تعليمهم ذلك النظام نظرياً أى لا بدَّ من التهيئة النظرية والتى هى عبارة عن الاعتراف والاعتقاد بذلك النظام أوّلًا ومعرفة بنوده وإرشاداته...

وهكذا فى دولة الإمام (ع) فإنّ المنشود منها هو إقامة دولة الحق والتى هى على طبق منهج أهل البيت فلا بدَّ أوّلًا من التهيئة والإعداد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۵۴۶

لذلك بأن يعتنق الناس مذهب الحق ومعرفة عقائده وإرشاداته وبنوده وأمثليته وأمثولته الموجودة فى الكمال كى تأتى المرحلة الثانية وهى التطبيق العملى وإنجاز العمل وهو الظهور.

إذاً مرتبة الإعداد والتهيئة وطلب وانتظار الظهور هى المعرفة النظرية لكافة البشر بأن مشروع الإمام المهدى ودولة الظهور هو الأحق والأكفأ والأجدر والأمثل فى معالجة مشاكل البشر من الظلم والفساد، فحينئذٍ بهذه الطريقة نمهد لظهور الإمام (ع) وإقامة الدولة

المباركة وبسطها على العالم ولا نتصور من دون ذلك تحقق انتصار الإمام وإقامة الدولة إلّا بالمعجزة أو الطفرة، ولكن الله تعالى أبى إلّا أن تكون الأمور بأسبابها ومسبباتها وليس بالمعجزة، كما أن الطفرة باطلة ومخالفة للقوانين والقواعد العقلية، وقد تقدم أن أولى القواعد الرقابية على الحجج هى بديهيات العقل وبديهة العقل تقضى أن لكل مسبب سبباً فلا بدَّ أن تكون دولة الإمام (ع) وفق أسبابها ومقدماتها لا بالطفرة.

وعليه فمسؤولية الانتظار هى الإسهام والعمل والنصرة المؤكّدة للإمام (ع) من خلال نشر مذهب ومنهج أجداده المعصومين لأنه (ع) سيكون مقيماً لكتاب الله ومحيياً لسُنّة رسوله (ص) ومطبقاً لمنهاج وسنن الأئمّة المعصومين (عليهم السلام)، وهذه المهمّة لا تكون إلّا بتقديم المعرفة النظرية لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) وهذه الخطوة من التثقيف والإعداد بنشر عقائد أهل البيت هى التى يحذّر منها فرانسوا توال فى كتابه (الجغرافية السياسية للشيعة) الذى كتبه قبل ست سنوات حيث يقول: (إن أخطر ما فى هذه العقيدة أنها بالإمكان أن تنتشر بين الشعوب والدول بين ليلة وضحاها وأخوف ما أنبه عليه المسؤولين الدوليين أن هذه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٤٧

العقيدة لا تحتاج فى انتشارها إلى مؤونة لأنها تحمل شعاراً تنشده كل الأمم والشعوب وهو الحرية والعدالة المطلقة).

ويضيف هذا الكاتب: (إنّى اقدّر سرعة انتشار هذه الدعوة بأن تكون أسرع من انتشار الشيوعية والاشتراكية) فهو يخاف من سرعة انتشارها لأنها دعوة حق وعدل، والناس متعطّشة لذلك فما أسرع اعتناق الشعوب لهذه المبادئ السامية والنبيلة فى مذهب أهل البيت، وهذا يحتاج للعمل وتحمل المسؤولية فى النشر والتثقيف وإيصال العقائد للشعوب كى ينخرطوا فى اعتناق مذهب الحق.

ولذلك فإنّ الغربيين والملحدين وأصحاب الفكر المنحرف من بعض الديانات لما اكتشفوا مكامن الخطر المحدق بهم وبرئاساتهم وعروشهم بدأوا الحرب ضد دولة الإمام (ع) قبل قيامها وذلك من خلال عرقلة مقدمات إقامتها فحاولوا ويحاولون تبديد طاقات المؤمنين فى دعاوى ضالة تحيد بهم عن الطريق ونشر الخزعبلات والأساطير والخرافات والهلوسات التى لا تمتّ بأىّ صلة لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) فيروجون كل تلك المعرقلات للحدّ من انتشار مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بل ويدخل عملهم أحياناً فى مسار التثقيف السلبى لفكر أهل البيت (عليهم السلام) وهذا أخطر عدو.

فإذاً الأمر مهم جدّاً وحساس وخطير، وهناك ألاعيب وتدابير خلف الكواليس تحاك، وهناك نشر لتعاليم زائفة باطلة عن الإمام ودولته وثقافته وحكمه. ولكن لا بدَّ لنور الله أن يشع ويملأ الأرض، قال تعالى: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ («١»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٤٨

وهذه الآية تعتبر دليلًا آخر على أن طريق تمهيد الظهور هو نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) فإنّ معنى انتشار نور الله هو انتشار لمعتقدات أهل البيت، وهكذا فى قوله تعالى: هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ («١») فإنّ الاظهار يحصل باعتناق الناس للإسلام بحقيقته وهى الإيمان وهو مذهب أهل البيت وليس الإسلام بظاهره القشرى، وهذا لا يكون إلّا بانتشار تعاليم مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

فإنّ قمّة إنجازات دولة الإمام (ع) هو نشر الهداية فى كافة أرجاء الأرض، فالنتيجة تعتمد على استراتيجية دولة الإمام المهدى (ع) ونحن إذا أنجزنا هذه الخطوة وهى نشر التعاليم النظرية فى العالم، فكأنما نحن أنجزنا غاية الإنجازات للدولة بعد الظهور فكيف لا يسهم نشر مذهب أهل البيت فى الظهور وهو يعتمد على نفس استراتيجية دولة ما بعد الظهور بل نشر تعاليمهم ومناهجهم هو عمدة العماد للظهور.

وقد يتوهّم البعض استناداً إلى فهم خاطئ من بعض الروايات التى تقول كما يشيع ويساعد على ذلك أعداء أهل البيت تقول: إن الإمام يظهر ليملأ الأرض عدلًا وقسطاً كما ملأت ظلماً وجوراً («٢»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٤٩

فإنّهم يتوهّمون أن الإمام (ع) يظهر إذا امتلأت الأرض بالفساد والجور والظلم و ... فلا بدَّ من انتشار الفساد لا الصلاح والهداية وهذه من المغالطات التى يروّج لها الأعداء.

وإنما المراد بذلك أمر بين أمرين فمعنى امتلاء الأرض بالفساد والجور يعنى مجتمع معسكر الفساد فى قطب مقابل تجمع معسكر الإعداد للظهور فى قطب آخر، أى فإنّ الأرض كما ملئت ظلماً وجوراً فهى مستعدّة بعد نشر العقائد الحقّة لكى تكون أرضاً خصبة للظهور وامتلائها عدلًا وقسطاً وإلّا فلو امتلأت الأرض كلها بالفساد فكيف ينتصر الإمام وكيف تكون له القيادة والريادة، فهو نظير إرادة انتخاب شخص للرئاسة ونحن نقول لجميع الناخبين لا تنتخبوه؟!

ومما يؤيّد ويساعد على أن الإعداد إنما يكون بنشر المذهب الحق ما ورد من روايات تبيّن أماكن ظهور أنصار الإمام (ع) ال- (٣١٣) فإنّها تبيّن أماكن مختلفة من الهند والصين وأوربا واليابان فهم من كل نقاط العالم وليس من الشرق الأوسط فقط، فكيف يخرج أولئك ما لم ينتشر عندهم مذهب أهل البيت (عليهم السلام).

كما يؤيّد ذلك روايات الملاحم حيث تذكر أن هناك راية فساد معادية واحدة وهى راية السفيانى فى قبال عدّة رايات إصلاح وتمهيد ونصرة كاليمانى والخراسانى وراية من المغرب وأن هناك رايات متعدّدة موالية لأهل البيت (عليهم السلام) فإنّ درجات الموالاة تختلف، وهذا يدلل على أن أكثر العالم يكونون على وعى وإدراك واقتناع بتعاليم دولة الظهور، نعم هناك قلّة تبقى على الضلال وتدخل فى راية السفيانى وتكون معادية لمذهب أهل البيت.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٥٠

فمقتضى الضروريات ومقتضى الإصلاح والمنطق السليم هو أن الإعداد للظهور هو نشر العقائد الحقّة وليس الفساد، فإنّ ما ينشده العالم اليوم من الحداثة والعولمة وحقوق الإنسان والإصلاح والسلم والمساواة و ... كل ذلك تحت عنوان مشروع إصلاحى عالمى منقذ هذا لا ينسجم ولا يتوافق إلّا مع مذهب أهل البيت دون غيره من الأديان والمذاهب الأخرى قاطبة، فهذه المضامين فى العناوين المطروحة على الساحة العالمية عبارة عن دروس ومضامين لا تتّفق مع المسيحية ولا اليهودية ولا المذاهب الإسلاميّة الأخرى فضلًا عن البوذية والهندوسية وكل الأديان المنحرفة الأخرى، وهذا من الملاحم الأديانية الإعجازية أن تنتشر هذه الثقافات والعناوين التى تحتوى بنود منهاج الإسلام عند أهل البيت (عليهم السلام)، لكن لا بدَّ من الإعانة والإسهام فى انتشارها الصحيح وليس الانتشار السلبى والتوظيف المصلحى الهدّام، كما تفعل الدول العظمى حيث تستغل هذه العناوين فى تحقيق أهدافها وأغراضها التى هى فى حقيقتها مخالفة لواقع هذه العناوين.

فالأنظمة الدكتاتورية والمنحرفة والمادية و ... فى نفس الوقت الذى تنشر الفساد هم مضطرون للترويج لهذه الثقافات على نحو المطالب المستقبلية والتأمل فى المستقبل المنشود و ... وهذا ما يساعد على استغلال ذلك لنشر الثقافة الصحيحة وبيان أن المشروع الإصلاحى والمنقذ الوحيد المحقق لتلك العناوين المنشودة، والمطبّق لها على الواقع هو منهاج أهل البيت (عليهم السلام).

والحاصل أنه لا بدَّ لنصرة الإمام من إعداد القاعدة الجماهيرية وليس الكلام عن وزرائه الثلاثمائة وثلاثة عشر وإنما الكلام عن القاعدة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٥١

الواسعة على الأرض وهى الجماهير فلا بدَّ أن يكونوا على مستوى من الوعى والثقافة المهدوية والعلم ببنود وأهداف دولة الإمام ليكونوا عمود قيام تلك الدولة ضد الظلم والظالمين.

لذا فإنّ الانتظار الحقيقى والانتصار والعون الأكبر فى نصرة الإمام المهدى (ع) وطريق الإعداد الوحيد لمشروع الظهور هو نشر منهاج وطريقة وعقيدة أهل البيت (عليهم السلام).

ومن يحاول التحايل على ذلك فليعلم أنه إما يدجّل أو دُجل به وإما يكذب أو كُذب عليه وإما ضل أو ضلل به، لأن إعاقة نشر مذهب

أهل البيت (عليهم السلام) هى إعاقة لمشروع الظهور لا ـ محالة فى حين أن أكبر وأقوى سلاح لعون ونصرة الإمام (ع) ولمشروع الظهور هو نشر معارف وعقائد وتعاليم مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بسداد وصواب وشفافية وبلا أىّ تحريف وتلويث، لأن مشاريع وعقائد أهل البيت (عليهم السلام) هى مشاريع مناهضة للظلم، وهكذا هو مشروع دولة الإمام (ع).

إذاً عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) هى عقيدة مشاريع وهى فى المآل ومنتهى المطاف هى مشروع الإصلاح وإقامة العدل والحريّة أما إذا لم نستطع أن ننشر تعاليم أهل البيت (عليهم السلام) فى أرجاء الأرض فلا نتوقع الظهور ولا يمكن أن نوقّت له فإنّه كلما تلكّأ انتشار مذهب أهل البيت (عليهم السلام) كلما تلكّأ وتأخّر الظهور ولا ريب ولا شكّ بذلك حسب الروايات، فإنّ أصل معنى راية اليمانى وراية الخراسانى وغيرها رايات مناصرة لأهل البيت (عليهم السلام) فى قبال راية واحدة معادية وهذا يعنى أن القاعدة الجماهيرية تهتف بأهل البيت (عليهم السلام) والعالم بأكمله قد استجاب لنداء أهل البيت (عليهم السلام) وصاروا محبّين لهم ومتبعين لتعاليمهم وأن هناك قلّة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٥٢

قليلة ترفع راية ضد مشروع الظهور والذى يعنى أن عقيدة ومنهج أهل البيت (عليهم السلام) انتشر فى جميع العالم.

وعليه فهذه علامة واضحة وتوقيت لا ـ لبس فيه، بل وعلامة حتمية من الأئمّة (عليهم السلام) وهى أنه إذا انتشر منهاج أهل البيت وعقائدهم وتعاليمهم فقد حان وأزف الظهور فإذا والى المسلمون أهل البيت (عليهم السلام) لاسيّما فى بقاع المسلمين لأنها هى منطلق الظهور فقد حان الظهور.

وأما إذا لم ينتشر مذهب أهل البيت بل كان الناس على عداء لهم والعياذ بالله، أو كانوا على قطيعة وبعد من أهل البيت (عليهم السلام) وكانوا يبغضونهم وينفرون من مذهبهم (عليهم السلام) فهذا يعنى تأخّر الظهور قطعاً.

وعليه فهذه علامة حتمية بأيدى الناس يستطيعون تحقيقها وإنجازها ومن خلالها العلم واستعلام الظهور.

فعندما تذكر الروايات أن من أفضل العبادات انتظار الفرج كما عن أمير المؤمنين (ع) قال: قال رسول الله (ص): «أفضل العبادة انتظار الفرج» («١»)، وعن على بن الحسين (ع) قال: «تمتد الغيبة بولى الله الثانى عشر من أوصياء رسول الله (ص) والأئمّة بعده، يا أبا خالد إن أهل زمان غيبته، القائلون بإمامته المنتظرون لظهوره أفضل أهل كل زمان لأن الله تعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة وجعلهم فى ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدى رسول الله (ص) بالسيف أولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً والدعاة إلى دين الله سراً وجهراً» («٢»).

وإن الانتظار صفة المؤمنين الموالين فإنّ للانتظار أدبيات

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٥٣

وواجبات فقد اتّضح أنه من واجبات الانتظار والمنتظر هو السعى لنشر منهاج أهل البيت (عليهم السلام) وأن يكون مترقّباً من خلال نصرة الإمام والنصرة لا تكون إلّا بنشر عقائد وتعاليم سبيل الحق من مذهب أهل البيت (عليهم السلام).

لذا فالذى يكون ناصراً ومنتظراً ومترقباً لأهل البيت ولدولتهم وللمهدى (ع) هو من ينشر مذهب الحق وليس من يحرّف ويعرقل مذهب أهل البيت ويدخل الأساطير والخزعبلات والخرافات و ... فإنّ ذلك لا تستجيب له الفطرة البشرية وعليه فأعداء أهل البيت من الظلمة والطواغيت و ... تجدهم يمنعون نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وذلك من خلال خلق التيارات المنحرفة ونشر الأساطير الباطلة ونحوها.

وهذا لا ينطلى إلّا على السذج والبسطاء وإلّا فإنّ منهاج أهل البيت (عليهم السلام) هو مذهب المنطق والبرهان والدليل والبيان والعقل والعقلانية الذى تهتف به كل فطرة البشر وهو الذى يخافه أعداء أهل البيت (عليهم السلام).

إذاً طريق الظهور والتوقيت له بعلاماته الحتمية، ومسؤولياته هى الانتظار والوظيفة العملية للمؤمنين فى زمن الغيبة هو السعى لتثقيف

البشریة بثقافة السداد والصواب والحق والهدایة والنور وذلک بنشر عقائد مدرسة أهل البیت (علیهم السلام).

فهذا هو السبیل الوحید لتقریب الظهور وتوقیته وهو العلامة الحتمیة علی ذلک، فإنّ الروایات بیّنت أن ضابط الظهور هو مناصرة غالب المسلمین وموالاتهم لأهل البیت (علیهم السلام)، فإنّ ذلک هو أرضیة الظهور وهی مسؤولیة الانتظار.

ولیس کما یبیّن بعض الدجّالین والمضلّین بأن یعیثوا فی الأرض

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۵۵۴

فساداً فی مقابل السداد والتقوی فی منهاج أهل البیت (علیهم السلام) فیذکر بعض المزیّفین والدجّالین أسالیب وألاعیب فی الدین ویترک کل تعالیم الدین والعبث بالضروریات والسنن بدعوی أنه إذا انتشر الفساد فی الأرض فإنّ الإمام یظهر لدفع ذلک.

ولکن من الواضح والجلی جدّاً أن هذا من ألدّ أعداء أهل البیت وأشدّ المعوقین والمانعین للظهور وإقامة دولة الحق وإلّا فقد بیّنا أن تأویل مغزی الروایات هو أن أغلب الرایات التی تظهر هی مناصرة للإمام (ع) وما ذلک إلّا بمعنی انتشار عقیدة أهل البیت (علیهم السلام) وکون أغلب البشریة من الموالین والمحبین لهم (علیهم السلام).

فلا بدَّ أن تکون الأرضیة مؤاتیة للظهور ولا تکون کذلک إلّا بنشر مذهب أهل البیت (علیهم السلام) لا بنشر الفساد والضلال ومعاداة أهل البیت (علیهم السلام).

التوقیت والتفاؤل ...: ص: ۵۵۴

الإنسان تارة یعتقد بشیء فیه الخیر له ولعموم الناس فلا بأس أن یتفائل به، بمعنی أن یرجوه ویطلبه من الله تعالی ویتوقّع وینتظر قرب تحققه، ولا ریب أنّا نعتقد الخیر بل کل الخیر فی ظهور الإمام صاحب العصر والزمان لینشر الحق والعدل وإقامة دولته الکریمة المبارکة، فلا بأس أن نتفائل بذلک ونرجوه من الله تعالی.

ولکن إیّانا أن یکون ذلک الطلب منّا بالتوقیت بمعنی أن نحتّم ادّعاء شیء علی الله تعالی، فإنّ ذلک ممنوع بنصّ کثیر من الروایات منها:

عن إسحاق بن یعقوب، قال: سألت محمّد بن عثمان العمری (رض) أن یوصل لی کتاباً قد سألت فیه عن مسائل أشکلت علیَّ فورد (ت

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲)، ج۲، ص: ۵۵۵

فی) التوقیع بخط مولانا صاحب الزمان (ع): «أما ما سألت عنه أرشدک الله وثبّتک »، ... إلی أن یقول: «وأما ظهور الفرج فإنه إلی الله تعالی ذکره، وکذب الوقّاتون» («۱»)، وعن أبی بصیر عن أبی عبد الله (ع) قال: قلت له: جُعلت فداک متی خروج القائم (ع)؟ فقال: «یا أبا محمّد إنّا أهل بیت لا نوقّت وقد قال محمّد (ص): کذب الوقّاتون، یا أبا محمّد إن قدام هذا الأمر خمس علامات أولاهن النداء فی شهر رمضان، وخروج السفیانی، وخروج الخراسانی، وقتل النفس الزکیة وخسف بالبیداء» («۲»)، لأن الظهور أمر استأثر به الله تعالی وادّعاء العلم به کذب وافتراء وتعدّی لحدود الله.

وبیان آخر: أنه عندنا قیامة صغری وهی ظهور الإمام وقیامة وسطی وهی دولة الرجعة وقیامة کبری وهی المعهودة للأذهان، لذلک فإنّ ظهور الإمام (ع) نوع من الغیب قال تعالی: هُوَ الَّذی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَدینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَلَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ («۳»)، وقال تعالی: یَسْئَلُونَکَ عَنِ السَّاعَةِ أَیَّانَ مُرْساها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّی لا یُجَلِّیها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِی السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لا تَأْتیکُمْ إِلَّا بَغْتَةً یَسْئَلُونَکَ کَأَنَّکَ حَفِیٌّ عَنْها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ وَلکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ («۴»)، وهذه الساعة لها ثلاث مراحل: صغری ووسطی وکبری.

وهذا لا یمنع التوقیت من المعصومین (علیهم السلام) سواء أکان التوقیت بمعنی الحالة أم بمعنی التوقیت الزمانی المشروط أو المعلق

لأنهم (عليهم السلام)

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۵۶

خارجون تخصصاً عن هذا المنع إذ هذا المنع من التوقيت هو منع شرعى وعقلى، أما الشرعى فبمقتضى الروايات، وأما العقلى فلأن الظهور أمر غيبى استأثره الله لنفسه، نعم ذكر لذلك علامات حتمية وغير حتمية لكن البداء يمنع ذكر زمان معيّن محدّد له، فالظهور أمر تابع ومرتبط باللوح والقضاء والقدر وما ينزل من بداء ... لذا لم نجد فى الروايات المؤقّتة أىّ تحديد زمانى تقويمى ولا يمكن لأحد ادّعاءه والأئمّة (عليهم السلام) لم يوقّتوا بالتوقيت الزمانى المطلق بل بالتوقيت العلامى أى هناك علامات إذا تحقّقت بقيت إرادة الله فقط.

أما التوقيت من غير المعصوم فممنوع وغير مقبول بجميع أنواعه وأشكاله لأن الظهور المبارك يبقى فى علمه تعالى ومن أطلعه عليه وهم فقط الأئمّة المعصومون، وهذا نظير الكثير من الأسباب والمسببات التى بينها فى منظومة دينه ولكنه تعالى احتفظ بتقسيم ذلك كالأعمار والأرزاق و ... فإنّها تتأثّر وتتغيّر وفق معادلات دقيقة من الصدقة وصلة الرحم و ... و ... فإنّه تعالى يقول: يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ امُّ الْكِتابِ («۱») إذ لم يبعث الله نبياً من الأنبياء إلّا وأخذ عليه الإيمان بالبداء لكن لا بمعنى الجهل فى الساحة الربوبية وإنما بمعنى أنه لله أن يفعل ما يشاء قضاءً مبرماً وينسخ الله ما يشاء ضمن حكمته تعالى وعلمه الغالب فلا يمكن أن تحتّم شيئاً على الله تعالى ما دام البداء موجوداً.

وهذا لا يمنع من تحقيق مقتضيات الانتظار والترقب كما تقدّم بل لا مانع من متابعة العلامات المبيّنة فى الروايات فإن تحقّقت فنتوقّع

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۵۷

ونتأمل الظهور بإرادته تعالى لا بالتوقيت إذ لا بأس بأن نتفائل بشىء بعد تحقيق أسبابه ومقدماته وأن لا نحتّم شيئاً عليه تعالى أو ادّعاء العلم به، أما من يدّعى العلم به فإما أن يدّعى أنه عنده علم الله وإما أن يدّعى الألوهية من حيث يشعر أو لا يشعر والعياذ بالله من الضلال والمضلّين وقد تقدّم أن أكبر أسباب الظهور هو انتشار منهاج أهل البيت (عليهم السلام) بين الأمم.

وفقنا الله وإيّاكم لأن نكون من أنصاره ومنتظريه والمترقّبين لدولته (ع) وممن يقوم بالواجب والمسؤولية تجاهه ويحمل على عاتقه مثل هذه العقيدة ببصيرة نافذة وصلى الله على محمّد وآله الطاهرين («۱»).

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۵۹

مصادر التحقيق ... ص: ۵۵۹

القرآن الكريم.

الاختصاص: الشيخ المفيد/ ت علىّ أكبر غفارى/ جماعة المدرسين/ قم.

الأمالى: الشيخ المفيد/ ت أستاد ولى/ علىّ أكبر غفارى/ جماعة المدرسين/ قم.

الأمالى: الشيخ الصدوق/ ت قسم الدراسات/ قم/ ط ۱/ ۱۴۱۷ ه-/ مؤسسة البعثة.

الأمالى: السيد المرتضى/ نشر مكتبة المرعشى النجفى/ قم/ ۱۴۰۳ ه-.

أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين/ دار التعارف للمطبوعات/ بيروت.

الاعتقادات فى دين الإمامية: الشيخ الصدوق/ ط ۲/ نشر دار المفيد/ ۱۴۱۴ ه-.

أجوبة المسائل المهنائية: العلّامة الحلى.

الإختصاص: الشيخ المفيد/ جماعة المدرسين/ قم.

إختيار معرفة الرجال: الشيخ الطوسی/ مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)/ قم/ ۱۴۰۴ ه–.
الإحتجاج: الطبرسی/ مطبعة النعمان/ النجف الأشرف/ ۱۳۶۸ ه–.
إعلام الوری: الطبرسی/ مؤسسة آل البيت لإحياء التراث/ قم/ ط ۱/ ۱۴۱۷ ه–.
الإرشاد: الشيخ المفيد/ مؤسسة آل البيت لإحياء التراث/ قم.
الأسرار الفاطمية: المسعودی/ رابطة الثقافة الإسلامية/ لندن/ ۱۴۲۰ ه–.
أنوار الملكوت فی شرح الياقوت: العلّامة الحلی.
أنيس الموحدين: الملّا مهدی النراقی.
أوائل المقالات: الشيخ المفيد: دار المفيد/ الطبعة الثانية/ بيروت ۱۴۱۴ ه–.
البابيون والبهائيون: د. همتی.

بحار الأنوار: المجلسی/ مؤسسة الوفاء/ بيروت/ ۱۴۰۳ ه–..
البرهان فی علامات مهدی آخر الزمان: المتقی الهندی/ مطبعة الخيام/ قم.
البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقی/ ط ۱/ ۱۴۰۸ ه–/ مط دار إحياء التراث العربی.
البيان فی تفسير القرآن: السيد الخوئی/ دار الزهراء/ بيروت/ ط ۴/ ۱۹۷۵ م.
تاج العروس: محمد مرتضی الحسينی الواسطی الزبيدی.
تاريخ أصفهان: الحافظ الأصفهانی.
تجريد الإعتقاد: نصير الدين الطوسی/ ط: مؤسسة النشر الإسلامی/ قم/ ۱۴۰۷ ه–.
تحف العقول عن آل الرسول (ص): ابن شعبة الحرانی/ ت عليّ أكبر غفاری/ ط ۲/ ۱۴۰۴ ه–/ جماعة المدرسين/ قم.
التفسير الكبير: الفخر الرازی.
تفسير البحر المحيط: محمّد بن يوسف الأندلسی الجيانی.
تفسير العياشی: العياشی/ المكتبة العلمية الإسلاميّة/ طهران/ ۱۳۸۰ ه–.
تفسير القمی: علی بن إبراهيم/ مؤسسة دار الكتاب/ قم/ الطبعة الثالثة/ ۱۴۰۴ ه–.
تفسير البرهان: البحرانی.
تفسير ابن كثير: ابن كثير الدمشقی/ دار المعرفة/ بيروت/ ۱۴۱۲ ه–.
تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسی/ دار الكتب الإسلاميّة/ طهران.
جامع أحاديث الشيعة: السيد البروجردی/ المطبعة العلمية/ قم/ ۱۳۹۹ ه–.
الجغرافية السياسية للشيعة: فرانسو توال.
خاتمة المستدرك: النوری الطبرسی/ ت مؤسسة آل البيت/ قم/ ط ۱/ ۱۴۱۵ ه–..
الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندی/ مؤسسة الإمام المهدی/ قم.
الدر المنثور: جلال الدين السيوطی/ ط ۱/ ۱۳۶۵ ه–/ مط الفتح جدة/ دار المعرفة.
دلائل الإمامة: الطبری (الشيعی)/ مؤسسة البعثة/ قم/ ۱۴۱۳ ه–.

رجال النجاشی: النجاشی/ ت الزنجانی/ ط ۵/ ۱۴۱۶ ه–/ جماعة المدرسين/ قم.

رجال الكشى: الكشى/ طبع مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام).
رسائل فى الغيبة: الشيخ المفيد/ تحقيق: علاء آل جعفر.
رسائل المرتضى: الشريف المرتضى/ نشر دار القرآن الكريم/ قم/ ١٤٠٥ هـ..
رسالة فى أصول الدين: المحقق القمى.
روضة الكافى: الكلينى/ دار الكتب الإسلاميّة/ طهران (الطبعة الثالثة)/ ١٣٨٨ هـ.
روضة الواعظين: محمد بن الفتال النيسابورى/ منشورات الرضى/ قم.
رجال أبى داود: الحسن بن على بن داود الحلى/ المطبعة الحيدرية/ النجف ١٣٩٢ هـ.
رجال النجاشى: النجاشى/ جماعة المدرسين/ قم/ ١٤٠٧ هـ.
سر السلسلة العلوية: أبو نصر البخارى/ المطبعة الحيدرية/ النجف ١٣٨١ هـ.
شرح إحقاق الحق: السيد المرعشى النجفى/ مكتبة آية الله المرعشى/ قم.
شرح الأخبار: القاضى النعمانى المغربى/ مؤسسة النشر الإسلامى/ قم.
شرح الفصوص: القيصرى.
شرح أصول الكافى: المازندرانى/ دار إحياء التراث العربى/ بيروت/ ١٤٢١ هـ.
صحيح البخارى: محمّد بن إسماعيل البخارى/ مط دار الفكر بيروت.
صحيح مسلم: مسلم ابن الحجاج النيسابورى/ دار الفكر بيروت.
صحيفة المهدى: جواد القيومى الأصفهانى/ مؤسسة النشر الإسلامى/ ط ٢/ قم.
الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة: ابن حجر العسقلانى.
عيون أخبار الرضا (ع): الصدوق/ مؤسسة الأعلمى/ بيروت/ ١٤٠٤ هـ.
العرائس: الثعلبى.
عوالى اللئالى: ابن أبى جمهور الاحسائى/ الطبعة الأولى/ ١٤٠٣ هـ/ قم.
عمدة القارئ: العينى.
دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥۶٢
عيون أخبار الرضا (ع): الصدوق/ الأعلمى/ بيروت ١٤٠٤/ ت حسين الأعلمى.
الغيبة: الطوسى/ مؤسسة المعارف الإسلاميّة/ الطبعة المحققة الأولى/ ١٤١١ هـ..
الغيبة: النعمانى/ مكتبة الصدوق/ طهران.
غريب الحديث: الهروى/ دائرة المعارف العثمانية/ ط ١/ ١٣٨٤ هـ..
الغرر والدرر: السيد المرتضى.
فرق الشيعة: النوبختى.
فقه الرضا: المنسوب للإمام الرضا/ مؤسسة آل البيت/ قم/ ط الأولى ١٤٠۶ هـ..
القصص: الميرزا التنكابنى.
كامل الزيارات: ابن قولويه القمى/ ت القيومى/ ط ١/ ١٤١٧/ مؤسسة النشر الإسلامى.
كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق/ مؤسسة النشر الإسلامى/ قم/ ١٤٠٥ هـ.
كشف الغمة فى معرفة الأئمة: الأربلى/ ط ٢/ ١٤٠٥ هـ/ دار الأضواء/ بيروت.

كشف المراد فى شرح تجريد الاعتقاد: العلامة الحلى/ مؤسسة النشر الإسلامى/ قم/ ۱۴۱۷ ه–.

كشف الغطاء: الشيخ جعفر كاشف الغطاء/ منشورات مهدوى/ إصفهان.

كنز الدقائق: الميرزا محمد المشهدى/ مؤسسة النشر الإسلامى/ قم/ ۱۴۰۷ ه–.

كنز الفوائد: أبو الفتح الكراجكى.

لؤلؤة البحرين: الشيخ يوسف البحرانى.

اللهوف فى قتلى الطفوف: السيد علىّ بن طاووس/ ط ۱/ ۱۴۱۷ ه–/ مط مهر.

المحاسن: أحمد بن محمّد البرقى/ ت جلال الدين الحسينى/ دار الكتب الإسلاميّة.

المزار: الشهيد الأوّل/ تحقيق ونشر مدرسة المهدى (ع)/ قم/ ط: الأولى ۱۴۱۰ ه–.

المزار: الشيخ المفيد/ ط ۱/ مط مهر/ قم/ تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدى (ع).

المزار: محمد بن المشهدى/ مؤسسة النشر الإسلامى/ قم/ الطبعة الأولى/ ۱۴۱۹ ه–.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۶۳

مشارق أنوار اليقين: رجب البرسى/ مؤسسة الأعلمى/ بيروت/ ۱۴۱۹ ه–.

معجم رجال الحديث: السيد الخوئى/ الطبعة الخامسة/ ۱۴۱۳ ه–.

معجم أحاديث الإمام المهدى: مؤسسة المعارف الإسلاميّة/ قم/ ط ۱/ ۱۴۱۱ ه–.

مفاتيح الجنان/ الشيخ عبّاس القمى/ الطبعة الأولى/ قم/ ۱۴۲۱ ه–.

مجمع البحرين: فخر الدين الطريحى.

مجمع البيان: الطبرسى/ مؤسسة الأعلمى/ بيروت/ الطبعة الأولى/ ۱۴۱۵ ه–.

معانى الأخبار: الشيخ الصدوق/ ت علىّ أكبر غفارى/ ط ۱۳۶۱ ه–/ انتشارات إسلامى.

معجم رجال الحديث: السيد الخوئى/ ط ۵/ ۱۴۱۳ ه–/ ت لجنة.

معالم العلماء: ابن شهر آشوب.

مجمع الزوائد: الهيثمى/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ ۱۴۰۸ ه–.

مصباح الشريعة: الإمام جعفر الصادق (ع)/ مؤسسة الأعلمى/ بيروت/ ۱۴۰۰ ه–.

مصباح المتهجد: الشيخ الطوسى/ مؤسسة فقه الشيعة/ بيروت/ ۱۴۱۱ ه–.

مصباح البلاغة: حسن المير جهانى الأصفهانى/ ۱۳۸۸ ه–.

مستدرك الوسائل ومستنبط الوسائل: النورى/ مؤسسة آل البيت/ ط ۱/ ۱۴۰۸ ه–.

مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل/ طبع ونشر دار صادر/ بيروت.

مشكاة الأنوار: أبو الفضل على الطبرسى/ دار الحديث/ قم/ الأولى.

من لا يحضره الفقيه: الصدوق/ جماعة المدرسين/ قم/ ط ۲/ ۱۳۹۲ ه–.

المقالات والفرق: سعد بن عبد الله بن أبى خلف الأشعرى القمى.

الملل والنحل: الشهرستانى/ دار المعرفة/ بيروت.

مكارم الأخلاق: الشيخ الحسن بن الفضل الطبرسى/ الطبعة السادسة/ ۱۳۹۲ ه–.

الملاحم والفتن: ابن طاووس/ مؤسسة صاحب الأمر/ قم/ ط: الأولى ۱۴۱۶ ه–.

مناقب آل أبى طالب: ابن شهر آشوب/ ت مجموعة ط ۱۳۷۶/ مط الحيدرية/ النجف.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۶۴
منتخب الأثر: لطف الله الصافى الكلبايكانى/ مكتب المؤلف/ ط ۱/ ۱۴۲۲ ه‍-.
الميزان فى تفسير القرآن: السيد الطباطبائى/ مؤسسة النشر الإسلامى/ جماعة المدرسين/ قم.
ميزان الحكمة: محمّد الرى شهرى/ دار الحديث/ قم/ الطبعة الأولى.
نهج البلاغة: خطب الإمام علىّ (ع)/ ت محمّد عبده/ الناشر دار المعرفة/ بيروت.
النور المبين فى قصص الأنبياء والمرسلين: نعمة الله الجزائرى.
وسائل الشيعة: الحر العاملى/ ط ۲/ ۱۴۱۴/ مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)/ مطـ مهر/ قم.
ينابيع المودة: سليمان القندوزى الحنفى/ ت علىّ الحسينى/ ط ۱/ ۱۴۱۶ ه‍-/ دار الأسوة.

***

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فى تلخيص بحـار الأنـوار، للعلاّمـة فيض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللّهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللّهُ تعالی؛ و اللّهُ ولیّ التوفیق.


مركز القائمية اصفهان للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩